

اجاثا كريستي
جريمة بلا شك



أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

جريمة بلا شك

The listerdale Mystery and Other Stories

كتاب يشتمل على تسع قصص قصيرة هي: (بيت الأسرار - كوخ «فيلوميل» - فتاة القطار - شجاعة «إدوارد روبنسون»- حادث - «جين» تبحث عن عمل- عطلة مثمرة - عجلة الحظ - زمردة المهراجا).

تحدثت هذه القصص عن جرائم قتل، وقعت في كل قصة جريمة تختلف عن غيرها في بقية القصص الأخرى، لكل منها عنوان يلائم محتواها، تُمتع كل من يقرؤها. وتعتبر من أروع إبداعات «أجاثا كريستي» التي تميزت بسلاسة الأسلوب وسهولة العبارة.

أعطت «أجاثا كريستي» لكل شخصية دورها المناسب، وجمعت بين الجدية والفكاهة حسبما أرادت للتعبير عن الأحداث. ندعوك - عزيزي القارئ- إلى الاستمتاع بقراءتها، ومتابعة أحداثها، وستجد في كل قصة «جريمة بلا شك».

ثمن الكتاب

لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الأردن	1.5 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال

ISBN 9953383979
9789953383972

جريمة بلا شك

بونارد الأسطه
يقدّم
الرواية المعربّة

جريمة بلا شك
(91)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية
أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل
عمر عبد العزيز أمين

الناشر
دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع
تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00
ص.ب 374 جونيه – لبنان
www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع
المركز الدولي – دار البشير

تاليف

Agatha Christie

الاسم الأصلي للكتاب

The Listerdal Mystery, and Other Stories

(1934)

الغلاف بريشة الفنان

فرج حسن

- 5 -

بيت الأسرار

أهم الشخصيات

– السيدة "**سانت فنسانت**" : من طبقة النبلاء.

– "**بربارا**" : ابنة "**سانت فنسانت**" .

– "**روبيرت**" : ابن السيدة "**سانت فنسانت**" .

– اللورد "**ليستردیل**" : رجل ثري يساعد الفقراء.

– "**كوينتن**" : رئيس الخدم.

- 1 -

راحت السيدة "**سانت فنسانت**" تجمع الأرقام التي كتبتها بعضها فوق بعض، وتنهدت مرة أو مرتين وهي تمر بيدها على جبينها المصدع. كانت تكره الحساب طوال حياتها، وكان من سوء حظها أن حياتها أصبحت الآن مرهونة بمبلغ معين من المال، والأرقام الصغيرة قد بلغت حداً أثار دهشتها وجزعها بصورة مخيفة.

محال.. لا يمكن أن يكون الأمر قد بلغ هذا الحد. وانحنت فوق الأرقام، ولكن جملة المبلغ كانت صحيحة فيما عدا غلطة بسيطة في الملاليم.

تنهدت السيدة "**سانت فنسانت**" مرة أخرى. كان الصداع قد بلغ حداً لا يطاق حقًّا. ورفعت عينيها حين فُتح الباب ودخلت منه ابنتها "**بربارا**" ، وهي فتاة على قسط كبير من الجمال لها ملامح أمها الرقيقة، ونفس هيئتها الشامخة وهي تدور برأسها فيما حولها. ولكن عينيها كانتا سوداوين على النقيض من أمها، فقد كانت هذه الأخيرة زرقاء العينين، وكان فمها يختلف عن فم أمها، كذلك فهو فمٌ أحمر عابس لا يخلو من فتنة وسحر، وقالت:

– أواه يا أماه، أما زلت تتعاركين مع حساباتك العقيمة... اطرحيها في النار.

قالت السيدة "**سانت**" بحيرة:

– يجب أن نعرف موقفنا. هزت الفتاة كتفيها وقالت بعنف:

– إنها نفس القصة دائما... أصبحنا الآن نعيش على الكفاف. تنهدت السيدة "**سانت فنسانت**" وقالت:

– أتمنى أن.. ولم تزد فقالت "**بربارا**" بصوت جاف:

– يجب أن أعثر على عمل.. وبأسرع ما يمكن.. إن معي شهادة تدل على أنني درست الاختزال وأجيد الكتابة على الآلة الكاتبة، ولكن هناك مليون فتاة غيري معهن مثل هذه الشهادة ولا يجدن عملا... وكالمعتاد سيسألني صاحب العمل.. هل معك شهادات خبرة؟ كلا، ولكن... أوه شكرا لكِ، طاب يومُك... سنكتب إليكِ... ولكنهم لا يفعلون أبدا... يجب أن أجد نوعا آخر من العمل... أي عملٍ؟ فقالت الأم:

– لا تتعجلي يابنتي... انتظري قليلا... مضت "**بربارا**" إلى النافذة وأطلت منها على البيوت المتراصة أمامها دون أن تراها وقالت ببطء:

– أشعر بالندم في بعض الأحيان؛ لأنني ذهبت إلى "**مصر**" مع ابنة عمي في الشتاء الماضي.. أوه، إنني أعلم أنني استمتعت بتلك الرحلة، وهي الوحيدة التي استمتعت فيها بأي شيء، وأظن أنه لن تعرض لي مثل هذه الفرصة فيما بعد.... إنني استمتعت بها حقًا... استمتعت بها كلية ولكنني أتذكر ذلك وأرى نفسي أمام هذا المنظر الكئيب... لو أن أبي لم يضارب أو يقترض... قالت السيدة "**سانت فنسانت**":

– أي ابنتي العزيزة.. إن أباك لم يكن بأي حال من الأحوال من رجال الأعمال. نطقت السيدة "**سانت فنسانت**" بهذا القول برقة فلم تملك "**بربارا**" إلا أن تسرع إليها وتطبع على جبينها قبلة وهي تتمتم قائلة:

– مسكينة يا أماه... لن أنطق بشيء بعد الآن. أمسكت أمها بالقلم ثانية فوق المكتب. وعادت "**بربارا**" إلى النافذة ولم تلبث أن قالت:

– أماه... لقد اتصل بي "**جيم ماسترتون**" صباح اليوم، وهو يريد أن يأتي لزيارتنا. ألقت السيدة "**سانت فنسانت**" القلم من يدها ونظرت إلى ابنتها بحدة وهتفت:

– هنا؟! أجابت الفتاة بسخرية:

– حسنا.. لا يمكننا على كل حال أن ندعوه لتناول العشاء في فندق "**الرتيز**". ارتسمت أمارات الكدر على وجه أمها، ورددت البصر حولها في الغرفة بيأس شديد وقالت "**بربارا**":

– معك الحق... إنه مكان بغيض... فقر مهذب... يبدو على ما يرام... كوخ مطلي بالجير في الريف... مفروشات رخيصة ذات رسومات بديعة... زهريات الزهور، طقم شاي من الصيني تغسلينه أنت بنفسك... كل هذا خيالي ولكن في الحياة الحقيقية، حين يكون لك ابن يشتغل ليحصل لنا على لقمة العيش، فإن هذا معناه "**لندن**"؛ حيث ربَّات البيوت مشعثات الشعور، والأولاد يلعبون على السلالم وهم يلبسون ملابس قذرة والسكان من كل الطبقات، وفي الفطور سمك غير طازج... بدأت السيدة "**سانت فنسانت**" تقول:

– لو أنني أستطيع... ولكنني في الواقع أخشى أنني لن أستطيع الاحتفاظ بهذا المسكن أكثر من ذلك.

– معنى هذا أنه يجب أن ننتقل إلى غرفة واحدة نستخدمها للمعيشة والنوم معا... يا للفظاعة... وأن ينتقل "**روبيرت**" إلى حجرة ضيقة تحت السلم، وحين يأتي "**جيم**" لزيارتنا يجب أن أستقبله في تلك الغرفة الصغيرة، أمام أعين العجائز اللاتي يشتغلن بالإبرة ويحملقن إلى كل رائح وغاد وهن يسعلن سعالهن الديكي الفظيع. وساد الصمت لحظة وقالت السيدة "**سانت فنسانت**" أخيرا:

– "**بربارا**"... هل تعنين... هل يروقك... وأمسكت وقد احمر وجهها قليلا:

– لا داعي لمثل هذا الحرج يا أماه، فهذا شعور لم يعد يحس به أحد في أيامنا هذه.. هل تعنين إذا كان يروقني أن أتزوج بـ "**جيم**"؟ ليته يطلب ذلك مني، ولكنني أخشى ألا يفعل أبدا.

– أوه يا عزيزتي "**بربارا**"!

– حسنا.. بعد أن رآني مع ابنة عمي "**آمي**" أختلف إلى المجتمع، وبعد أن أُعجب بي ها هو ذا قادم لزيارتي في هذا المسكن الحقير.. إنه رجل غريب الأطوار، شديد الحساسية، محافظ.. وهذا ما يعجبني فيه بالذات، ويذكرني بـ "**أنستيس**" والقرية.. وكل الماضي، ولكنني... أوه... لا أدري... إنه أصبح بعيدا. وضحكت

وقد أحست بشيء من الخجل من حدتها. وقالت السيدة "**سانت فنسانت**" ببساطة:

– أود أن تتزوجي بـ "**جيم ماسترتون**" حقًّا، فهو واحد منا، وهو ميسور الحال أيضًا، ولكنني لا أهتم بهذا الأمر كثيرا. قالت "**بربارا**" :

– ولكنني أهتم به، فكفاني ما أعانيه من ضيق وضنك.

– لكن يا "**بربارا**" .. ليس الأمر...

– بل هذا هو السبب... أواه يا أماه... حقًّا... ألا تدركين ذلك؟ بدا الحزن على السيدة "**سانت فنسانت**" وقالت باكتئاب:

– وددت لو يراك في مكانك الحقيقي يا عزيزتي. قالت "**بربارا**" :

– أوه... حسنا.. ولماذا هذا الانزعاج؟ إن في مقدورنا أن نحاول أخذ الأشياء على علاتها.. يؤسفني أنني شكوت... ابتهجي يا حبيبتي. وانحنت فوق أمها وطبعت على جبينها قبلة ثم انصرفت. وتخلت السيدة "**سانت فنسانت**" عن كل محاولاتها المالية وجلست فوق الأريكة غير المريحة، وراحت أفكارها تدور كالحلقات، كالعصفور في القفص، وحدثت نفسها قائلة:

"يمكن للمرء أن يقول ما يحب ويشتهي، ولكن الإنسان يحكم بالظواهر دائمًا. لو كانا مخطوبين لتغير الموقف بالتأكيد، فإنه سيعرف كم هي رقيقة وحلوة عندئذ، وأن من السهل جدا أن يتطبع الإنسان بطباع الآخرين. و "**روبيرت**" الآن قد تغير كثيرا، وليس معنى هذا أنني أرمي أولادي بالغرور، ولكنني أكره أن يخطب هذه الفتاة البغيضة التي تعمل في محل سجائر.. قد تكون فتاة جميلة حقًّا لكنها لا تنتمي إلى طبقتنا.. كل هذا عسير... مسكينة "**بربارا**"... لو أستطيع أن أفعل شيئا... أي شيء... لكن من أين لي ما أريد من مال... إننا بعنا كل ما لدينا في سبيل "**روبيرت**"، ولا نستطيع مواجهة هذا الموقف حقًّا".

ولكي تسرِّي عن نفسها التقطت جريدة "**المورننج بوست**"، وألقت نظرة على الإعلانات التي بها. كانت تعرف مضمون الغالبية منها عن ظهر قلب. أشخاص يبحثون عن رؤوس أموال ويريدون استثمارها مقابل كمبيالات، وآخرون يريدون شراء أسنان (وطالما تساءلت عن السبب الذي يحدوهم إلى ذلك)، وأشخاص يريدون بيع معاطف من الفرو وثياب ويطلبون أثمانا خيالية نظيرها. وفجأة أثار

اهتمامها بضعة أسطر قرأتها مرة بعد مرة. "للنبلاء فقط... بيت صغير في "**وستمنستر**"، مفروش نقدمه إلى مَنْ يستطيع أن يعنى به... الإيجار زهيد جدا. لا وسطاء". إعلان عادي جدا قرأت مثله كثيرا، أو قرأت ما يشابهه على الأقل... إيجار ضئيل جدا، في هذه الكلمات البسيطة يكمن الشرك. ولما كانت تحرص على أن تفلت من أفكارها فقد ارتدت قبعتها وركبت الحافلة إلى العنوان المذكور في الإعلان. واتضح أنه عنوان مكتب للسماسرة، ولم يكن مكتبا جديدا صاخبا، وإنما كان عتيقا متداعيا. وأخرجت السيدة "**سانت فنسانت**" الإعلان في شيء من التردد، وكانت قد اقتطعته، وطلبت زيادة في الإيضاحات. ونظر إليها الرجل العجوز ذو الشعر الأبيض الذي استقبلها وهو يحك ذقنه في تفكير وقال:

– هذا حسن... هذا حسن يا سيدتي. إن البيت المذكور في الإعلان هو رقم 7 بميدان "**شفيوت**".. هل تريدين زيارته؟ قالت السيدة "**سانت فنسانت**":

– بل أحب أولا أن أعرف قيمة الإيجار.

– آه لم تحدد قيمته الحقيقية بعد، ولكنني أستطيع أن أذكر لك أنه سيكون إيجارا اسميًّا تقريبا.

– إن الإيجار الاسمي يمكن أن تكون له معان كثيرة. سمح الرجل العجوز لنفسه أن يبتسم ثم قال:

– نعم، هذه خدعة قديمة، لكن يمكنك أن تصدقيني يا سيدتي إن الأمر مختلف هذه المرة.. ربما جنيهان أو ثلاثة جنيهات في الأسبوع، ولا أكثر من ذلك. عقدت السيدة "**فنسانت**" النية على زيارة البيت. لم يكن لديها أي احتمال بالتأكيد في مواجهة الإيجار مهما كانت قيمته، ولكن مهما يكن من أمر فإن في مقدورها أن تزوره وأن تراه، فلا ريب في أن هناك علة مرتبطة به لكي يعرض المنزل للإيجار بمثل هذه القيمة الزهيدة. ولكن قلبها ركض بين ضلوعها بمجرد أن رأت البيت رقم 7 بميدان "**شفيوت**" من الخارج. كان جوهرة يرجع تاريخه إلى عهد الملكة "**آن**" وفي حالة جيدة. وفتح الباب رئيس خدم له شعر أبيض وفودان خفيفان، بدا لها كما لو كان من الأساقفة المفكرين.. أخذ منها التصريح ببشاشة وقال:

– بكل تأكيد يا سيدتي، سأطوف بك بالبيت كله.. إنه معد للإقامة فورا.

وتقدمها وهو يفتح الأبواب ويشير إلى الغرف قائلا:

- غرفة الاستقبال... وهذه غرفة المكتبة... وغرفة الحمام يا سيدتي.

كان كل شيء جميلا... أشبه بحلم من الأحلام وكانت المفروشات كلها حديثة، وكل قطعة منها تدل على أنها استعملت قبل ذلك لكنها كانت نظيفة وملمعة بطريقة تدل على أنها تلقى عناية خاصة. وقطع البساط الثمينة كانت في حد ذاتها مجموعة من الألوان الجميلة الساحرة وإن كانت باهتة بعض الشيء. وفي كل غرفة زهريات بها أزهار طازجة، والبيت نفسه يطل من الخلف على حديقة "**جرين بارك**"... صفوة القول كان البيت في مجموعه عبارة عن مكان مشرق ساحر. وامتلأت عينا "**سانت فنسانت**" بالدموع، ووجدت صعوبة كبيرة في ردها. كان "**أنستيس**" يبدو هكذا... "**أنستيس**". وتساءلت إذا كان رئيس الخدم لحظ انفعالها، وإذا كان هذا قد حدث حقا فإنه كان مهذبا بما فيه الكفاية بحيث لم يظهر عليه ما ينم على ذلك. كانت تحب هذا النوع من الخدم، فهم قوم تقدمت بهم السن وتشعر معهم بالأمان... كانوا أشبه بالأصدقاء، وقالت برقة:

- إنه بيت جميل... جميل جدا... يسرني أني رأيته.

- أهو لإقامتك أنت وحدك يا سيدتي؟

- بل لإقامتي أنا وابني وابنتي، ولكنني أخشى أن...، وأمسكت... شد ما تتوق إليه... إنها تتوق إلى الإقامة فيه حقا. وأحست -بشيء من الغريزة- أن رئيس الخدم يفهم موقفها. ولم يكن ينظر إليها وهو يقول بغير تحيز:

- إنني أعلم يا سيدتي أن صاحب البيت يريد أناسا لائقين للإقامة فيه ولا يهمه الإيجار في شيء... يريد أن تقيم بالبيت سيدة تقدره حق قدره وتستطيع أن تعتني به العناية اللازمة. قالت السيدة "**سانت فنسانت**" بصوت خفيض:

- إنني لأقدره كل التقدير. وتحولت خارجة وهي تقول بلهجة دمثة:

- أشكرك على استقبالك لي.

- العفو يا سيدتي. ووقف بالباب باعتدال وأدب جم وهي تبتعد في الشارع، وقالت تحدث نفسها:

«إنه يعرف. وهو يرثي لي. إنه من هؤلاء القوم المهذبين ويتمنى أن أكون أنا التي أقيم به... إنه لا يريد عاملا أو صانعا... إن الذين من بيئتي يختفون ولكنهم يتساندون». واستقر عزمها على ألا تعود إلى مكتب السماسرة فلم يكن هناك

جدوى من ذلك، إنها تستطيع مواجهة الإيجار ولكن هناك مسالة الخدم، فلابد من بعض منهم في مثل هذا البيت. وفي صباح اليوم التالي جاءتها رسالة من مكتب السماسرة، يعرضون عليها الإقامة بالبيت رقم 7 بميدان "**شفيوت**" لمدة ستة أشهر بإيجار جنيهين في الأسبوع. واستطردت الرسالة تقول: "وأظن أنك أخذت في الاعتبار أن الخدم باقون، وأنهم على حساب صاحب البيت. وهذا عرض فريد حقا". وكان الأمر كذلك حقا، وقد كانت من الدهشة بحيث إنها قرأت الرسالة بصوت مسموع، وتلا ذلك سيل من الأسئلة، وراحت تصف زيارة الأمس. وصاحت "**بربارا**":

– يا لك من أم صغيرة كتوم... هل المكان بديع حقا كما تقولين؟ وسعل "**روبيرت**" وبدأ استجوابا حصيفا بأن قال:

– هناك شيء خلف هذا كله... فإنه لأمر مريب... مريب جدا. وقالت "**بربارا**" وهي تجعد أنفها:

– أوه... ولماذا يكون هناك شيء خلف هذا كله؟ إنك تجد الغموض والأسرار في كل شيء يا "**روبيرت**"، وكل هذا بسبب الروايات البوليسية التي تقرؤها. قال الشاب:

– إن هذا الإيجار مزحة. وأردف يقول بشيء من الجد:

– إن الأشياء الغريبة تبدو للرجل العاقل فوراً... أقول لك إن هناك شيئا مريبا في هذه المسألة. قالت "**بربارا**":

– هراء.. إن البيت ملك لرجل ثري يملك أموالا طائلة، وهو مولع به ويريد أن يقيم فيه أناس محترمون في أثناء غيابه بالخارج... أو شيء من هذا القبيل... لا يهمه المال في شيء. قال "**روبيرت**" يسأل أمه:

– ما عنوانه يا أماه؟

– 7 ميدان "**شفيوت**". ارتد الشاب في مقعده إلى الخلف وقال:

– أوه.. هذا شيء مثير حقا... إنه البيت الذي اختفى لورد "**ليسترديل**" فيه. سألته السيدة "**سانت فنسانت**" متشككة:

– هل أنت واثق؟

– كل الثقة.. إنه يملك بيوتا كثيرة في "**لندن**"، ولكن هذا البيت بالذات هو

الذي كان يقيم فيه، وقد غادره ذات ليلة قائلا إنه ذاهب إلى ناديه ولكن لم يره أحد بعد ذلك، والمظنون أنه مضى إلى "**إفريقيا**" الشرقية أو إلى أي مكان آخر، لكن لا يدري أحد السبب، وإذا صدقنا ما يقال فإنه قتل في ذلك البيت... تقولين إن جميع جدرانه مكسوة بالألواح الخشبية؟ أجابت السيدة "**سانت فنسانت**" بضعف:

– نعم... ولكن... ولم يدع لها "**روبيرت**" الفرصة للاستمرار وأردف بحماس كبير:

– ألواح خشبية... ظهر ما خفي من أمر إذن... لا ريب في أن هناك مخبأ سريًا في مكان ما منه وأنهم أخفوا الجثة فيه، ولعلهم حنطوها قبل ذلك. قالت أمه:

– "**روبيرت**"... لا تنطق بمثل هذه السخافات. وقالت "**بربارا**":

– لا تكن غبيا... إنك أخذت فتاتك الشقراء إلى السينما أكثر مما يجب.

نهض "**روبيرت**" في وقار بكل ما سمحت له سنه غير الملائمة وقال أخيرا بتحد:

– خذي البيت يا أماه... سوف أجلو هذا السر وسوف ترين. وانصرف على عجل خوفا من أن يصل إلى المكتب متأخرا. وتبادلت المرأتان النظر وتمتمت "**بربارا**" وهي ترتجف.

– هل هذا ممكن يا أماه؟ أوه، ليتنا نستطيع. قالت السيدة "**سانت فنسانت**" بحزن:

– إن الخدم يأكلون كما تعلمين... ربما نستطيع أن نستغني عنهم ولكن من يقوم بعملهم... في مقدورنا أن ندبر الأمر بسهولة لو أن البيت كان ملكا لنا. ونظرت إلى ابنتها بطريقة يرثى لها فأطرقت الفتاة برأسها، وقالت الأم:

– يجب أن نفكر في هذا الأمر. ولكن نيتها كانت قد استقرت في الواقع وهي تقول ذلك، فقد رأت الوميض الذي لمع في عيني ابنتها وقالت تحدث نفسها: «يجب أن يراها "**جيم ماسترتون**" في بيئتها الحقة. وهذه فرصة... فرصة رائعة... يجب أن أنتهزها». وجلست إلى مكتبها وسطرت رسالة للسماسرة تقبل فيها عرضهم.

*****

- 2 -

- "**كوينتن**"، من أين أتيت بزهور السوسن هذه؟ إنني لا أستطيع حقا أن أشتري مثل هذه الزهور الغالية. قال رئيس الخدم:

- إنها جاءتنا من "**كينجز شفيوت**" يا سيدتي... هذه عادة قديمة. وانسحب رئيس الخدم وتنهدت السيدة "**سانت فنسانت**" بارتياح. ماذا كان يمكنها أن تفعل من غير "**كوينتن**"؟ إنه يجعل كل شيء سهلا ميسورا، وقالت تحدث نفسها: "وهذا جميل ولا يمكن أن يدوم. سأصحو بعد قليل... أعلم أنني سأصحو وسأجد أنني في حلم.. إنني سعيدة جدا هنا... مضى بي شهران، مَرًّا كأنهما برق خاطف". كانت الحياة جميلة بشكل مذهل حقا. فقد راح "**كوينتن**" رئيس الخدم يتصرف كما لو كان هو الحاكم الآمر في البيت رقم 7 بشارع "**شفيوت**". كان قد قال لها باحترام:

- لو تتركين لي كل شيء يا سيدتي فستجدين كل شيء على ما يرام. كان يأتيها كل أسبوع بكشف الحساب. كانت المصروفات منخفضة بشكل مدهش. لم يكن هناك غير خادمتين: طاهية ووصيفة كانتا مهذبتين وتقومان بعملهما خير قيام. لكن كان "**كوينتن**" هو الذي يتولى إدارة البيت. كانت اللحوم والطيور تظهر أحيانا على المائدة فتتسبب في مخاوف السيدة "**سانت فنسانت**". ولكن "**كوينتن**" كان يسارع بإدخال الطمأنينة إلى قلبها فيقول لها إنها جاءت من مزرعة لورد "**ليسترديل**" في "**كينجز شفيوت**" أو من أراضيه في "**بوركشير**"، ويردف قائلا:

- وهذه عادة قديمة يا سيدتي. وكانت إذا ما خلت إلى نفسها تتساءل عما إذا كان لورد "**ليسترديل**" الغائب يوافق على هذا؟ كانت تميل إلى الظن أن "**كوينتن**" يسلب سلطة سيده. وكان واضحا أنه يميل إليهم؛ وأنه بسبب ميله هذا لا يستكثر عليهم شيئا. وأثارت تصريحات "**روبيرت**" فضولها وحاولت أن تجمع بعض المعلومات عن لورد "**ليسترديل**" عندما ذهبت بعد ذلك إلى مكتب السماسرة. وأجابها الرجل العجوز ذو الشعر الأشيب فوراً فقال لها إن لورد "**ليسترديل**" في "**إفريقيا الشرقية**" حقا وإنه هناك منذ ثمانية عشر شهرا. وأردف يقول وعلى شفتيه ابتسامة عريضة:

– إن عميلنا هذا رجل غريب الأطوار إذا أردت الحقيقة... غادر "**لندن**" بطريقة غامضة كما لعلك تتذكرين، فلم يكتب كلمة واحدة لأي أحد. وسمع الصحفيون بذلك، وقامت "**سكوتلانديارد**" ببعض التحريات. ولحسن الحظ جاءت أخبار من اللورد "**ليستردیل**" نفسه من شرق "**إفريقيا**". ومنح ابن أخيه العقيد "**كارفاكس**" السلطة ليتولى الإشراف على مصالحه. وهو الذي يتولى الآن إدارة أملاك "**اللورد**" كلها. وهذا أمر غريب حقا. ولكن اللورد "**ليستردیل**" كان رحالة قضى طوال عمره في الغابات والأحراش، ومن المحتمل أنه لن يعود إلى "**إنجلترا**" إلا بعد سنوات طويلة. وسألته السيدة "**سانت فنسانت**" وقد عادت إلى مخيلتها صورة رجل له لحية يبدو كبحار من عهد الملكة "**أليزابيث**" كانت قد رأتها مرة في إحدى المجلات المصورة.

– ولكنه ليس عجوزا جدا بالتأكيد. فقال الرجل ذو الشعر الأشيب:

– إنه بين عمرين.. يقال إنه في الثالثة والخمسين من عمره. نقلت السيدة "**سانت فنسانت**" هذا الحديث إلى "**روبيرت**" وهي تنوي تعنيفه ولكن "**روبيرت**" لم يرتدع وإنما قال:

– إن الأمر يبدو أكثر غموضا وريبة من قبل.. مَن العقيد "**كارفاكس**" هذا؟ لا ريب في أنه سيرث اللقب إذا ما حدث شيء للورد "**ليستردیل**". ومما لا شك فيه أن الرسالة التي أتت من شرق "**إفريقيا**" مزورة... فبعد ثلاث سنوات أو أكثر قليلا سيدعي "**كارفاكس**" هذا أن اللورد "**ليستردیل**" لقي حتفه ثم يستولي هو على اللقب. وفي أثناء ذلك يتولى إدارة أملاكه وأمواله. كل هذا مريب. وكان من الرقة بحيث تنازل وأبدى استحسانه بالبيت، ولكنه راح في أوقات فراغه يقرع الألواح الخشبية ويأخذ المقاسات الدقيقة بحثا عن غرفة سرية محتملة، غير أن اهتمامه بسر اللورد "**ليستردیل**" أخذ يضعف يوما بعد يوم، وكذلك فقد حماسه فيما يتعلق بابنة بائع السجائر، فقد أحدث الجو تأثيره. أما "**بربارا**" فقد كان البيت مدعاة لارتياحها الشديد، فقد أقبل "**جيم ماسترتون**" لزيارتها فيه، وأصبح زائرا مستديما. وتفاهم فوراً مع السيدة "**سانت فنسانت**" وقال يخاطب "**بربارا**" ذات يوم مثيرا حيرتها:

– هل تعلمين أن هذا البيت هو الإطار اللائق بأمك؟

– لأمي؟!

– نعم.. لكأنه شيد من أجلها، ثم إنها تَمُت إليه بطريقة غريبة كما لو أن هناك شيئا غريبا بخصوص هذا البيت... شيئا غريبا يجعله يبدو كما لو كان مسكونا. توسلت "**بربارا**" إليه قائلة:

– لا تتشبه بـ "**روبيرت**"... إنه مقتنع بأن العقيد "**كارفاكس**" الشقي قتل اللورد "**ليسترديل**" وأخفى جثته تحت الأرضية. ضحك "**ماسترتون**" وقال:

– إنني أعجب بحماس "**روبيرت**" البوليسي... كلا، لم أكن لأقصد شيئا من هذا... إنما أقصد أن هناك شيئا في الجو... شيئا لا يفهم المرء ما هو بالضبط. وكان قد مضى على إقامتهم بالبيت ثلاثة أشهر عندما جاءت "**بربارا**" إلى أمها وهي متلألئة الوجه وقالت:

– خطبني "**جيم**"... نعم... الليلة الماضية... أواه يا أمي... إنها لتبدو قصة من قصص الخيال وقد تحققت.

– أوه يا حبيبتي... إنني جد مسرورة... مسرورة جدا. وتعانقت الأم وابنتها وقالت "**بربارا**" أخيرا وهي تضحك ضحكة خبيثة:

– هل تعلمين أن "**جيم**" مفتون بك تماما تقريبا كما هو مفتون بي؟ اصطبغ وجه السيدة "**سانت فنسانت**" بطريقة جميلة وقالت ابنتها:

– إنه لكذلك.. كنت تعتقدين أن هذا البيت إطار جميل بالنسبة إليَّ، والحقيقة أنه إطار جميل لك أنت... أنا و "**روبيرت**" لا نمت إلى هذا البيت كثيرا.. أما أنت... قاطعتها الأم قائلة:

– لا تنطقي بمثل هذا السخف يا حبيبتي.

– ليس هذا سخفا.. إنه بيت جميل أنت فيه أميرة ساحرة و "**كوينتن**"... أوه، ساحر كريم. ضحكت السيدة "**سانت فنسانت**" وسلمت بالرأي الأخير. وقابل "**روبيرت**" بهدوء كبير نبأ خطبة أخته وتمتم يقول برزانة:

– كنت أتوقع شيئا كهذا. وتناول هو وأمه الغداء وحدهما، أما "**بربارا**" فقد خرجت مع "**جيم**". ووضع "**كوينتن**" الشراب أمام "**روبيرت**" ثم انسحب بسكون، فقال الشاب وهو يشير بذقنه إلى الباب:

– هذا الرجل غريب الأطوار حقا... إن أمره غريب ولا أدري... قاطعته السيدة

"**سانت فنسانت**" وهي تبتسم ابتسامة واهنة:

– أليس فيه شيء مريب؟ سألها الشاب بجد:

– كيف عرفت أنني كنت أنوي أن أقول لك ذلك؟

– إنها كلمة أصبحت لازمة عندك يا حبيبي.. إنك تظن أن كل شيء مشبوه وأظن أن لديك فكرة في أن "**كوينتن**" قتل لورد "**ليستردیل**" ودفنه تحت الأرض. قال "**روبيرت**" مصححا:

– بل خلف الألواح الخشبية.

– كلا.. إنني تحريت ذلك، وكان "**كوينتن**" في "**كينجز شفيوت**" في ذلك الوقت. ابتسمت السيدة "**سانت فنسانت**" وهي تنهض من مكانها أمام المائدة وتمضي إلى غرفة الاستقبال: ومع ذلك فقد أخذتها الدهشة فجأة، ولأول مرة بسبب مغادرة لورد "**ليستردیل**" لـ "**إنجلترا**" هكذا فجأة. ولا ريب في أن هناك سببا قد دفعه إلى هذا القرار. وكانت لا تزال تفكر في ذلك الموضوع حين أقبل "**كوينتن**" ومعه صينية القهوة فقالت له فجأة:

– إنك أقمت مع لورد "**ليستردیل**" مدة طويلة، أليس كذلك يا "**كوينتن**"؟

– بلى يا سيدتي.. منذ أن كنت فتى في الحادية والعشرين من عمري، قبل أن يموت "**اللورد**" الكبير.. بدأتُ الخدمة بصفتي وصيفا ثالثا.

– لا ريب في أنك عرفت لورد "**ليستردیل**" معرفة وثيقة.. أي نوع من الرجال هو؟ أدار "**كوينتن**" الصينية بطريقة خاصة بحيث تستطيع أن تأخذ ما تريد من السكر ثم قال بلهجة عادية:

– إن لورد "**ليستردیل**" كان رجلا أنانيا جدا يا سيدتي... لا يشعر بأي اعتبار نحو الغير. ورفع الصينية وانصرف من الغرفة. وجلست السيدة "**سانت فنسانت**" وفنجان القهوة في يدها وقد ارتسمت أمارات الحيرة في عينيها. وكان في حديث رئيس الخدم شيء أثارها... شيء لم تلبث أن أدركته فجأة، فقد قال "**كوينتن**" وهو يتحدث عن سيده "كان رجلا" ولم يقل "إنه رجل... إنه يظن إذن... بل إنه يعتقد..". وهبت واقفة... إنها من السوء مثل "**روبيرت**" تماما.

ولكنها مع ذلك تملكها شيء من الضيق. وبدأت شكوكها التي تملكتها فيما بعد ابتداء من هذه اللحظة. الآن وقد ضمنت سعادة "**بربارا**" ومستقبلها فقد

أصبح لديها الوقت الكافي لكي تفكر في نفسها. وقد راحت هذه الأفكار تدور في رأسها على الرغم منها حول سر اللورد "**ليستردیل**" . ما قصته الحقيقية؟ ومهما يكن من أمر فإن "**كوينتن**" يعرف شيئا عنها وإلا ما نطق بكلماته "كان رجلا أنانيا جدا" . "لا يشعر بأي اعتبار نحو الغير" ، لكن ماذا خلف هذه الكلمات. إنه نطق بها بطريقة القاضي الذي يصدر حكما نزيها بعيدا عن المحاباة.. هل اشترك "**كوينتن**" في اختفاء "**ليستردیل**" ؟ هل قام بأي دور فعال في أية مأساة وقعت بصورة ما؟ مهما يكن فإن ذلك الخطاب الذي جاء من "**إفريقيا الشرقية**" يفتح الباب لكل الريب والشكوك تماما كما قال "**روبيرت**" . ولكنها مع ذلك وعلى الرغم من محاولاتها لم تستطع أن تعتقد أي سوء من ناحية "**كوينتن**" ، فراحت تحدث نفسها مرارا وتكرارا بأن "**كوينتن**" رجل طيب، واستخدمت هذه الكلمة الأخيرة كما يستخدمها الطفل. كان "**كوينتن**" طيبا ولكنه كان يعرف شيئا ما. ولم تحدثه بعد ذلك عن سيده قط. وبدا كأن الموضوع قد طواه النسيان، فإن "**روبيرت**" و "**بربارا**" كانا لديهما مشاغلهما الخاصة. ولم يطرقا موضوع اختفاء اللورد "**ليستردیل**" بعد ذلك. لكن في أواخر شهر آب (أغسطس) تحولت ظنونها إلى حقائق، فقد رحل "**روبيرت**" لكي يقضي إجازة مع صديق له يملك دراجة بخارية ومقطورة، وبعد انقضاء نحو عشرة أيام على رحيله دهشت السيدة "**سانت فنسانت**" وهي تراه يندفع إلى الغرفة حيث كانت تجلس وتكتب فصاحت:

– "**روبيرت**" !

– إنني أعرف يا أماه أنك ما كنت تتوقعين أن تريني قبل ثلاثة أيام، لكن حدث شيء لم يكن في الحسبان، فإن زميلي "**أندرسون**" لم يدر أين يذهب فاقترحت عليه أن نمضي لنلقي نظرة إلى "**كينجز شفيوت**" :

– "**كينجز شفيوت**" ؟! ولماذا؟

– تعرفين تماما يا أماه أنني طالما أحسست أن هناك شيئا مريبا في هذه القصة.. حسنا.. إنني ألقيت نظرة إلى المكان... إن القصر مؤجر، ولا يوجد به أي شيء، على أنني لم أكن لأتوقع أن أرى شيئا حقا، وإنما أردت أن ألقي نظرة فحسب.

نعم هذا صحيح. كان "**روبيرت**" أشبه بالكلب في هذه اللحظة، يدور ويدور بحثا عن شيء مبهم غير محدد المعالم ولكنه مع ذلك نشيط وسعيد. وأردف يقول:

– وبينما كنا نمر بقرية تبعد بنحو ثلاثة عشر أو أربعة عشر كيلومتراً رأيته..

– رأيته.. من تعني؟

– "**كوينتن**".. رأيته يدخل كوخا صغيرا هناك، وقد أثار ذلك شكوكي، فأوقفت المقطورة وعدت إلى الكوخ وطرقت الباب وكان هو نفسه الذي فتح لي.

– ولكنني لا أفهم.. إن "**كوينتن**" لم يغادر البيت لحظة واحدة.

– سأذكر لك كل شيء يا أماه إذا أصغيت إليَّ ولم تقاطعيني.. كان "**كوينتن**" ولم يكن "**كوينتن**" إذا كنت تدركين ما أعنيه. وكان واضحا أن السيدة "**سانت فنسانت**" لا تدرك شيئا ولهذا أردف يقول يجلو لها السر:

– كان الرجل الذي رأيته هو "**كوينتن**" حقا... ولكنه لم يكن "**كوينتن**" الذي يقوم بمهام رئيس الخدم هنا... إن الذي رأيته هو "**كوينتن**" الحقيقي.

– "**روبيرت**"...

– أصغي إليَّ يا أماه... إنني دهشت في بادئ الأمر وبادرته قائلا: «أنت "**كوينتن**"، أليس كذلك؟»، وأجابني الرجل العجوز عندئذ فقال: «بلى يا سيدي هذا هو اسمي، ماذا أستطيع أن أؤدي لك؟» ورأيت عندئذ فقط أنه ليس رجلنا وإن كان يشبهه في كل شيء حتى في صوته. وألقيت عليه بضعة أسئلة أدركت منها كل شيء.. لم يكن الرجل العجوز يدري أن هناك شيئا مريبا. كان يعمل كرئيس خدم عند لورد "**ليستردیل**" واعتزل الخدمة لكبر سنه، وهو يتقاضى الآن معاشا، ويقال إن اللورد "**ليستردیل**" سمح له بالإقامة في ذلك البيت في نفس الوقت الذي مضى فيه إلى "**شرق إفريقيا**"... أترين أين يقودنا كل هذا الآن؟ إن هذا الرجل دُعي ليقوم بدور "**كوينتن**" لغرض في نفسه، ونظريتي هي أنه أقبل في تلك الليلة إلى المدينة وادعى أنه رئيس خدم قادم من "**كينجز شفيوت**" وتبادل حديثا مع اللورد "**ليستردیل**" ثم قتله بعد ذلك وأخفى جثته خلف بعض الألواح الخشبية. والبيت قديم ولا ريب في أن به غرفة سرية... قاطعته السيدة "**سانت فنسانت**" تقول بحدة:

– أوه.. لا تبدأ من جديد، فإنني لم أعد أحتمل هذا... ثم لماذا يقتله؟ وإذا كان قد فعل هذا، ولست أصدق ذلك دقيقة واحدة.. فلأي سبب؟ قال "**روبيرت**":

– إنك على حق، إن الدافع هو الذي يهم، ولكنني تحريت وعلمت أن لورد

"**ليستر ديل**" يملك مجموعة كبيرة من البيوت. وقد اكتشفت في اليومين الأخيرين أن كلا من هذه البيوت قد أُجِّرَتْ في خلال الثمانية عشر شهرا الأخيرة إلى أناس مثلنا بإيجار زهيد وقد اشترط في العقد أن يبقى الخدم كما هم وفي كل من هذه الحالات كان "**كوينتن**" نفسه، وأعني به الرجل الذي يدعو نفسه "**كوينتن**"، قد قضى بعضا من الوقت في هذه البيوت بصفته رئيس الخدم، ويبدو من هذا كما لو أن هناك شيئا... مجوهرات أو مستندات في أحد بيوت اللورد "**ليستر ديل**"، وأن العصابة لا تعرف في أي بيت هي، وأنا شخصيا أعتقد أن في الأمر عصابة، ولكن مَنْ يدري، لعل هذا المدعو "**كوينتن**" يعمل لحسابه الخاص. إن هناك... قاطعته السيدة "**سانت فنسانت**" بحزم قائلة:

- "**روبيرت**"... الزم الصمت لحظة واحدة.. إنك أصبتني بصداع شديد. ومهما يكن من أمر فإن ما تقوله لا يعدو أن يكون هراء.. فيما يتعلق بالعصابات والمستندات المخبأة. قال "**روبيرت**":

- هناك نظرية أخرى وهي أن "**كوينتن**" هذا يمكن أن يكون شخصا أهانه اللورد "**ليستر ديل**"، وقد ذكر لي رئيس الخدم قصة طويلة عن رجل يدعو نفسه "**صامويل لو**"، كان يعمل بستانيا ويشبه "**كوينتن**" جسما وقامة، وهو يحقد على لورد "**ليستر ديل**". أجفلت السيدة "**سانت فنسانت**" وقد عادت إلى ذهنها هذه الكلمات: «لا يشعر بأي اعتبار نحو الغير". وفي استغراقها هذا لم تصغ إلى ابنها تقريبا، وتكلم هذا بعجل عن شيء لم تدرك ما هو ثم أسرع بمغادرة الغرفة. ولكنها لم تلبث أن ردت على نفسها.. أين ذهب "**روبيرت**"؟ وماذا ينوي أن يفعل؟ إنها لم تصغ إلى كلماته الأخيرة... لعله أسرع إلى الشرطة... في هذه الحالة. ونهضت على عجل ودقت الجرس. وأقبل "**كوينتن**" مسرعا كعادته وقال:

- هل دقت سيدتي الجرس؟

- نعم، أرجو أن تدخل وتغلق الباب. أطاع رئيس الخدم. ولزمت السيدة "**سانت فنسانت**" الصمت لحظة وهي تراقبه بعينين جادتين، وقالت تحدث نفسها: "إنه كان رفيقا معي، ولا يمكن لأحد أن يعلم إلى أي مدى كان كريما.. إن "**روبيرت**" وأخته لا يفهمان. إن قصة "**روبيرت**" الشرسة ما هي إلا هراء، لكن من ناحية أخرى، قد يكون في قصته شيء من الحقيقة... ولماذا يحكم المرء؟ لا يمكن

لأحد أن يعرف ما هو الخير وما هو الشر.. أعني أنني سأجازف بحياتي.. نعم.. إنني سأفعل، وأراهن على أنه رجل شهم". وتكلمت وقد اضطرم وجهها وارتعش صوتها فقالت:

- "**كوينتن**".. إن السيد "**روبيرت**" قد عاد لتوه، كان قد مضى إلى "**كينجز شفيوت**".. وإلى قرية أخرى قريبة منها.. وأمسكت وقد لحظت الإجفالة القصيرة التي لم يسعه إخفاؤها، واستطردت تقول بلهجة لها معناها:

- وقد رأى.. رأى شيئا. وقالت تحدث نفسها:

"إنني حذرته الآن.. مهما يكن فقد أنذرته". وبعد تلك الإجفالة السريعة التي عرته كان "**كوينتن**" قد استرد جأشه وهدوءه لكن عينيه ظلتا تحدقان إليها، وكانتا حادتين ثاقبتين فيهما شيء لم تره فيهما من قبل. كانتا لأول مرة عيني رجل لا عيني خادم. وتردد لحظة ثم قال بصوت تغيرت نبراته هو الآخر:

- لماذا تقولين لي ذلك يا سيدة "**سانت فنسانت**"؟ وقبل أن تتمكن من الرد انفتح الباب على مصراعيه ودخل "**روبيرت**" الغرفة وبصحبته رجل وقور في منتصف العمر ذو فودين قصيرين ويبدو كما لو كان من رجال الدين الذين يحبون عمل الخير. وقال "**روبيرت**":

- هذا هو "**كوينتن**" الحقيقي. تركته ينتظر بالخارج في سيارة أجرة، والآن يا "**كوينتن**"، انظر إلى هذا الرجل وقل لي أليس هو "**صاموبل لو**"؟ كانت لحظة انتصار بالنسبة إلى "**روبيرت**" ولكنها كانت قصيرة الأمد فقد لحظ فوراً أن هناك شيئا خاطئا، فبينما بدا "**كوينتن**" الحقيقي خجولا شديد الارتباك، كان "**كوينتن**" الثاني يبتسم ابتسامة عريضة تتسم بالمرح والاستمتاع. وربت ظهر سميه المرتبك وقال له:

- لا بأس يا "**كوينتن**". كان لابد من أن ينكشف الأمر ذات يوم على كل حال. يمكنك أن تذكر لهما الآن من أنا. اعتدل الغريب في وقفته وقال بلهجة العتاب:

- هذا السيد هو مولاي... اللورد "**ليستورديل**" يا سيدي. شاهدت الدقيقة التي تلت أحداثا كثيرة أولها الانهيار التام لـ "**روبيرت**" الواثق بنفسه، وقبل أن يفيق من دهشته وجد نفسه مدفوعا نحو الباب وهو لا يزال فاغر الفم من أثر الصدمة التي أصابته وسمع الصوت المألوف والذي تغيرت نبراته في أذنيه مع ذلك يقول له:

– الأمر على ما يرام يا بني. لم يقع شيء. ولكني أريد أن أتحدث إلى أمك. إنك قمت بعمل رائع بأن كشفت أمري بهذه الصورة. وألفى الشاب نفسه واقفا بالخارج ينظر إلى الباب المغلق، وكان "**كوينتن**" الحقيقي واقفا بجواره تتدفق الإيضاحات من بين شفتيه. وفي الداخل كان اللورد "**ليستردييل**" يواجه السيدة "**سانت فنسانت**" قائلا:

– دعيني أشرح لك الأمر... إذا استطعت. كنت شيطانا أنانيا طوال حياتي، وتبدت لي حقيقتي ذات يوم، وخطر لي أن أغير من أمري وأن أنسى أنانيتي وأفكر في عمل الخير للآخرين، وبدأت مهمتي بطريقة خيالية، فتبرعت بمبالغ كبيرة للجمعيات الخيرية ولكنني أحسست بحاجة إلى عمل شيء آخر... حسنا... شيء خاص، وكنت طالما شعرت بالأسى لتلك الطبقة التي لا تستطيع أن تطلب والتي تتألم في صمت، وأعني بها طبقة النبلاء الفقراء، وأنا أملك عددا كبيرا من البيوت والقصور وقد خطر لي أن أؤجرها إلى.. إلى القوم الذين يحتاجون إليها ويقدرونها... عروسان مقبلان على الزواج... أرامل يعشن مع أولادهن يشقون حياتهم في هذه الدنيا. وكان "**كوينتن**" أكثر من رئيس خدم بالنسبة إليَّ... كان صديقا، فاستعرت شخصيته بموافقته ومعاونته لي، وكنت أملك موهبة التمثيل وخطرت لي الفكرة وأنا ماض إلى النادي ذات ليلة، فذهبت قدما وتحدثت بشأنها مع "**كوينتن**". وعندما وجدت أنهم أثاروا جلبة لا داعي لها بمناسبة اختفائي دبرت أمري بحيث جاءتهم رسالة مني من "**إفريقيا الشرقية**" ضمنتها تعليماتي لابن عمي "**موريس كارفاكس**"... حسنا... هذه هي القصة. وأمسك بطريقة يرثى لها وهو ينظر إلى محدثته نظرة كلها توسل ورجاء. ووقفت السيدة "**سانت فنسانت**" معتدلة القامة. وقابلت نظرته قائلة:

– هذه فكرة كريمة.. فكرة غريبة تشرفك... إنني... إني شاكرة لك كثيرا... ولكنك تفهم بالتأكيد أننا لا نستطيع البقاء. قال:

– كنت أتوقع هذا... إن كبرياءك لا تسمح لك بتقبل ما قد تعتبرينه صدقة وإحسانا. سألته في حدة:

– أليس الأمر كذلك؟ أجاب:

– كلا، لأنني أطلب شيئا مقابله.

– شيئا؟

– بل كل شيء ورن صوته في أرجاء الغرفة، وكان صوت رجل اعتاد على إصدار الأوامر وتوقع الطاعة دائما واستطرد يقول:

– عندما كنت في الثالثة والعشرين تزوجت بالفتاة التي أحببتها، ولكنها ماتت بعد سنة واحدة، ومنذ ذلك الوقت وأنا أعيش وحيدا... وطالما تمنيت أن ألتقي بسيدة معينة.. سيدة أحلامي. فتمتمت:

– أأكون أنا هذه السيدة؟... ولكنني امرأة عجوز... ذابلة... ضحك وقال:

– عجوز؟... إنك أصبى من أي من ولديك، أما أنا فعجوز حقا. ضحكت بدورها، وكانت ضحكة رقيقة يشوبها المرح وقالت:

– أنت؟... إنك ما زلت صبيا... صبيا يحب أن يتنكر. وبسطت يديها إليه فأمسك بهما بدوره.

*****

كوخ فيلوميل

أهم الشخصيات

- "**أليكس مارتن**" : ورثت ثروة هائلة بموت ابن عمها.
- "**ديك وينديفورد**" : أحب "**أليكس**" ولم يتزوجها.
- "**جيرالد مارتن**" : تزوج "**أليكس**" طمعًا في مالها.

– إلى اللقاء يا عزيزي.

– إلى اللقاء يا حبيبتي. وقفت "**أليكس مارتن**" معتمدة بظهرها على الباب الريفي الصغير وراحت تتابع بعينيها زوجها وهو يمضي في طريقه إلى القرية، ولم يلبث أن دار في المنعطف واختفى. وبقيت "**أليكس**" مكانها حالمة تداعب بشرود خصلة من شعرها الأسمر الغزير تهدلت على وجهها. لم تكن "**أليكس مارتن**" جميلة، بل لم تكن مليحة إذا توخينا الدقة. ولكن وجهها، وهو وجه امرأة لم تعد بعد في عنفوان شبابها، كان متألقا رقيقا إلى درجة كانت تحمل زملاءها القدامى في المكتب على التردد قبل معرفتها، كانت امرأة مرتبة، واقعية، ذات كفاءة ومقدرة عاليتين وإن كانت غريبة الأطوار نوعا ما. نشأت "**أليكس**" في مدرسة الحياة القاسية، وقضت خمسة عشر عاما، أي منذ أن بلغت الثامنة عشرة من عمرها حتى الثالثة والثلاثين وهي تكد في سبيل لقمة العيش، تشتغل مختزلة وكاتبة على الآلة الكاتبة وقضت سبعة أعوام منها وهي تعني بأمها المريضة. وقد أضناها الجهد في العمل إلى حد أن قسمات وجهها الرقيق الناعم اكتسبت صلابة وخشونة باديتين.

وصحيح أنه وقعت لها مغامرة أو شبه ذلك مع زميل لها في المكتب يدعى "**ديك وينديفورد**"، فقد طالما أحست بإحساس المرأة بأنه يهتم بها، ولكنها تظاهرت بأنها لا تلحظ ذلك. لم يكونا أكثر من صديقين في الظاهر. ولم يكن

لديه غير مرتبه الضئيل، وكان لابد له فوق ذلك من أن ينفق على دراسة أخيه الصغير، ولهذا لم يكن في مقدوره أن يواجه فكرة الزواج في الوقت الحالي. وفجأة تخلصت الفتاة من متاعبها ومشاكلها اليومية فجأة وبطريقة غير متوقعة، فقد مات ابن عم بعيد لها وخلف لها ثروة كانت عبارة عن بضعة آلاف من الجنيهات كانت كافية لأن تدر عليها دخلا سنويا لا يقل عن مائتي جنيه. وكان هذا الدخل بالنسبة إليها بمثابة الحرية والاستقلال، ولم تعد بها أو بـ "**ديك**" أية حاجة إلى الانتظار بعد ذلك.

ولكن "**ديك**" تصرف تصرفا غريبا. لم يكن قد صارح الفتاة بحبه قط، وبدا الآن أنه أقل ميلا من أي وقت مضى لكي يصرح لها به فراح يتجنبها، وغدا عبوسا متجهما. وأدركت "**أليكس**" الحقيقة فوراً فهي قد أصبحت ذات دخل، وقد منعته رقته وكبرياؤه من أن يسألها أن تغدو زوجة له. وازداد حبها له وراحت تتساءل بينها وبين نفسها هل تقوم هي بالخطوة الأولى حين وقع ما ليس في الحسبان. فقد التقت بـ "**جيرالد مارتن**" في حفلة أقامها بعض الأصدقاء، ووقع في هواها فوراً، وكان حبه عنيفا فلم يمر أسبوع حتى أعلنا خطبتهما. وكانت "**أليكس**" تظن نفسها أنها ليست من ذلك النوع الذي يقع في الحب فجأة، ومع ذلك فقد فقدت رأسها بأسرع ما يمكن. ودون أن تدري وجدت الطريقة لكي تثير عاشقها القديم، فقد أسرع "**ديك ويندیفورد**" إليها وهو في شدة الغضب وصاح بها:

– إن هذا الرجل غريب عنك تماما، ثم إنك لا تعرفين عنه شيئا.

– ولكنني أعرف أنني أحبه.

– وكيف تعرفين ذلك؟ في أسبوع واحد. صاحت "**أليكس**" محنقة:

– لا يحتاج المرء إلى إحدى عشرة سنة لكي يعرف أنه يحب فتاة. شحب وجهه وقال:

– إنني أحببتك منذ أن رأيتك، وظننت أنك أنت أيضا تحبينني. وأخلصت "**أليكس**" في ردها عليه فقالت:

– حسبت ذلك، ولكني لم أكن لأعرف ما هو الحب عندئذ. وعصف الغضب بـ "**ديك**" مرة أخرى، وأخذ يتوسل إليها ويرجوها، بل راح يهددها، وانصب تهديده على الرجل الذي أخذ مكانه. وقد دهشت "**أليكس**" حين رأت البركان

الثائر الذي يكمن خلف مظهر ذلك الرجل الهادئ الذي كانت تظن أنها تعرفه حق المعرفة. وعادت أفكارها إلى ذلك الحديث الآن، وهي تستند بظهرها إلى باب البيت الريفي في ذلك الصباح المشرق. كانت قد تزوجت منذ شهر، وكانت سعيدة كل السعادة، وعلى الرغم من غياب زوجها، ذلك الغياب المؤقت، وعلى الرغم من أنه أصبح كل شيء في حياتها، فقد خيمت على سعادتها سحابة من القلق، وكان السبب في قلقها هذا هو "**ديك وينديفورد**". ذلك أنها رأت نفس الحلم ثلاث مرات منذ زواجها بـ "**جيرالد**". كان المنظر يتغير في كل مرة ولكن الأحداث الحقيقية كانت هي نفسها في كل مرة. فقد رأت زوجها ملقى على الأرض جثة هامدة و"**ديك وينديفورد**" واقفا بجواره، وكانت تعلم علم اليقين أنه هو الذي أصاب زوجها بالضربة القاتلة. لكن على الرغم من بشاعة الأمر، فقد كان هناك ما هو أبشع منه مع ذلك. وكانت تلك البشاعة لا تبدو إلا حين تصحو، ففي الحلم كان كل شيء يبدو طبيعيا ولابد منه، لقد كانت تشعر بأنها سعيدة بموته. وكانت تبسط يديها إلى القاتل شاكرة، بل إنها كانت تنطق بكلمات الشكر أحيانا. وكان الحلم ينتهي بنفس الطريقة دائما. كانت تجد نفسها بين ذراعي "**ديك وينديفورد**" وهو يضمها إليه بقوة. لم تذكر شيئا من أحلامها هذه لزوجها، ومع ذلك فقد أزعجتها إزعاجا كبيرا أكثر مما أرادت أن تقر به، فهل كانت هذه الأحلام إنذارا... إنذارا ضد "**ديك وينديفورد**"؟ وأيقظها رنين التليفون من أفكارها فدخلت وأخذت السماعة، وسرعان ما ترنحت واستندت بيدها إلى الحائط وهي تقول:

– من تقول؟

– ماذا حدث لصوتك يا "**أليكس**"؟ ما كنت لأعرفه.. أنا "**ديك**". فقالت:

– أوه... أوه... أين... أين أنت؟

– في فندق "**ترافيلرز آرمز**"... لكن لعلك لا تعرفين أنه يوجد بالقرية التي تقيمين بها فندق بهذا الاسم... إنني في إجازة، وأقضي وقتي في صيد السمك... هل تمانعين أن أزوركما بعد العشاء؟ فقالت "**أليكس**" بحدة:

– كلا... يجب ألا تأتي. وساد صمت قصير ثم تكلم "**ديك**" فقال بلهجة مهذبة وقد تغير صوته:

– ألتمس معذرتك.. إنني لا أريد إزعاجكما بالتأكيد و... أسرعت "**أليكس**" تقاطعه، ولا ريب في أنه استغرب تصرفها هذا، فقد كان تصرفا غريبا حقًّا. ولا ريب في أن أعصابها قد أفلتت منها. وقالت وهي تحاول أن يبدو صوتها طبيعيا بقدر الإمكان:

– إنما أردت أن أقول إننا مرتبطان بموعد الليلة... هلا... هلا أتيت لتناول العشاء معنا غدا؟ لكن لا ريب في أن "**ديك**" أحس بفتور دعوتها هذه لأنه قال بنفس اللهجة المهذبة:

– أشكرك كثيرا، ولكنني قد أرحل في أي وقت، فإنني أنتظر مجيء بعض الأصدقاء.. إلى اللقاء يا "**أليكس**". وأمسك هنيهة ثم أسرع يقول بصوت متغير:

– أتمنى لك كل سعادة يا عزيزتي. وأعادت "**أليكس**" السماعة وهي تحس بارتياح كبير وراحت تحدث نفسها قائلة:

« يجب ألا يأتي هنا... أوه! ما أغباني... كيف أضع نفسي في هذا الموقف؟ ولكنني مسرورة على كل حال لأنه غير قادم». وأخذت قبعة من القش فوق المنضدة وخرجت إلى الحديقة للمرة الثانية، ووقفت تنظر إلى الاسم المحفور على مدخل الباب وهو كوخ "**فيلوميل**"، وكانت قد قالت لـ "**جيرالد**" ذات مرة قبل أن يتزوجا:

– أليس اسما غريبا؟ ولكنه ضحك وأجاب برفق:

– لله أنت يابنة المدينة.. لا أظنك سمعت البلابل وهي تشدو ولو لمرة واحدة، ويسرني هذا، فإن البلابل يجب ألا تشدو إلا للعشاق فحسب، وسنسمعها معا في ليالي الصيف في حديقة بيتنا بالذات. وتذكرت "**أليكس**" أنهما سمعا شدو البلابل فعلا. واصطبغ وجهها وطغت عليها السعادة وهي واقفة بباب البيت تستعيد هذه الذكرى. كان "**جيرالد**" هو الذي اهتدى إلى كوخ "**فيلوميل**"، وقد أسرع إلى لقاء "**أليكس**" وهو يشتعل انفعالا وحماسا، فقد عثر على المكان الذي خلق لهما... المكان الوحيد... بل الجوهرة... فرصة حياتهما، وعندما رأت "**أليكس**" البيت أخذ بلبِّها هي الأخرى. صحيح أنه في مكان منعزل، فقد كان يبعد عن القرية بنحو ثلاثة كيلومترات، ولكنه كان جميلا بشكله العتيق وبما فيه من وسائل الراحة، ففيه غرفة استحمام، وهو فوق ذلك مزود بالمياه الساخنة

والكهرباء والتليفون؛ حيث وقعت تحت تأثير سحره فوراً. ولم تصادفهما غير عقبة واحدة تمثلت في صاحبه، فقد كان رجلا ثريًّا له نزواته، وقد صمم على أن يبيعه ولم يقبل أن يؤجره لهما. وعلى الرغم من أن "**جيرالد**" كان يملك دخلا إلا أنه كان في موقف لا يسمح له بأن يقرب رأسماله، فلم يستطع أن يجمع أكثر من ألف جنيه. وكان صاحب الكوخ قد طلب ثلاثة آلاف جنيه ثمنا له. وكان البيت قد أعجب "**أليكس**" فمدت "**أليكس**" إلى "**جيرالد**" يد المساعدة، وكانت ثروتها سهلة التحقيق فقد كانت عبارة عن أسهم وسندات لحاملها، فباعت نصفها لكي تسهم في شراء البيت. وهكذا أصبح كوخ "**فيلوميل**" ملكا لهما، ولم تندم على اختيارها دقيقة واحدة. صحيح أن الخدم لا يقدرون على مثل هذه العزلة الريفية، ومهما يكن من أمر فإنهما لا يحتاجان إليهم في الوقت الحالي. وكانت "**أليكس**" قد حُرمت من الحياة العائلية فوجدت متعتها في إعداد شتى أنواع الطعام، وفي الاهتمام بشؤون بيتها. وكانت الحديقة تزخر بالأزهار الجميلة اليانعة، وكان هناك رجل عجوز يأتي من القرية مرتين في الأسبوع للعناية بها. وحين دارت "**أليكس**" بالبيت أدهشها أن ترى البستاني المذكور منهمكا في العناية بالورد والأزهار، وقد أدهشها ذلك لأن الرجل كان معتادا القدوم كل يوم اثنين وكل يوم جمعة، وكان اليوم بالذات يوم الأربعاء، فقالت وهي تقترب منه:

– صباح الخير يا "**جورج**"... ماذا تفعل هنا اليوم؟ اعتدل العجوز ولمس حافة قبعته وقال:

– كنت أعلم أن وجودي سيثير دهشتك يا سيدتي، ولكن هناك حفلة في القصر يوم الجمعة، فقلت لنفسي إن السيدة "**مارتن**" وزوجها لن يمانعا إذا أنا أتيت يوم الأربعاء بدلا من يوم الجمعة؟ قالت "**أليكس**":

– لا بأس يا "**جورج**".. أرجو أن تستمتع بوقتك في هذه الحفلة. أجاب "**جورج**" ببساطة:

– أرجو ذلك.. إنه لأمر جميل أن يأكل المرء ويشبع وأن يدفع غيره الثمن. إنهم يقدمون الشاي والفطائر والحلوى في القصر. وقد خطر لي كذلك أن أراك يا سيدتي قبل رحيلك لكي أسألك كيف تريدين أن يكون السياج... أظنك لا تعرفين متى تعودين يا سيدتي؟

– ولكنني لن أرحل. ارتسمت أمارات الدهشة على "**جورج**" وقال:
– ألا ترحلين إلى "**لندن**" صباح الغد؟
– كلا، من قال لك هذا؟ طوح "**جورج**" برأسه إلى الوراء وقال:
– إنني التقيت بالسيد وهو في القرية أمس، وقد قال لي إنكما مسافران إلى "**لندن**"، وإنه لا يدري متى تعودان. قالت "**أليكس**" ضاحكة:
– هراء... لا ريب في أنك أسأت الفهم. وعجبت في الوقت نفسه ماذا يمكن أن يكون "**جيرالد**" قد قاله للرجل العجوز بحيث جعله يخطئ مثل هذا الخطإ.. يرحلان إلى "**لندن**"؟! إنها لم تفكر في الرحيل إلى "**لندن**"قط، وقالت بحدة فجأة:
– إنني أمقت "**لندن**". وقال "**جورج**" ببرود:
– آه! لا ريب في أنني أسأت الفهم حقًا، ومع ذلك فقد تكلم بوضوح، ومهما يكن فيسرني أنك باقية.. إنني لا أحب القوم الذين يذهبون ويأتون، ولا أحب "**لندن**"، ولم أفكر في الذهاب إليها قط، فإن فيها سيارات كثيرة وهذه وحدها مشكلة من مشاكل وقتنا هذا، فإن الشخص الذي يمتلك سيارة لا يمكنه البقاء في مكان واحد.

*****

لم تزعج "**أليكس**" نفسها بالنقاش معه، ومضت إلى أحواض أخرى وأخذت تلتقط زهورا من هنا ومن هناك حتى جمعت باقة جميلة منها، وبينما هي في طريقها إلى البيت مع حملها المعطر لفت نظرها شيء صغير أخضر اللون بين بعض الأوراق في أحد أحواض الورد، فتوقفت والتقطته وعرفت فيه مفكرة زوجها الصغيرة. وفتحتها وراحت تقلب صفحاتها الأولى وقد طاب لها ذلك. كانت قد لحظت منذ الأيام الأولى لزواجها أن "**جيرالد**" على الرغم من اندفاعه وسرعة تأثره كان شديد الدقة في معيشته ومواعيده، يرسم خططه ومشاريعه كل يوم ويتبعها كالساعة التي لا تقدم ولا تؤخر. وبينما هي تقلب صفحات المذكرة ابتسمت وهي ترى جملة مكتوبة بتاريخ 14 أيار (مايو): تزوجت "**أليكس**" في كنيسة "**سان بطرس**" في الساعة الثانية والنصف. وتمتمت "**أليكس**" تحدث نفسها وهي تقلب الصفحات: "يا للمغفل الكبير". وتوقفت فجأة وهي تقول:

– الأربعاء 28 حزيران (يونيو)، ولكنه تاريخ هذا اليوم بالذات. كان "**جيرالد**" قد كتب العبارة التالية بخطه الدقيق الواضح: "الساعة التاسعة مساء..." ولم يزد، وتساءلت "**أليكس**" ماذا تراه ينوي أن يفعل في تلك الساعة. وابتسمت وهي تفكر في أنها طالما قرأت قصصا كشفتْ فيها مفكرةٌ صغيرةٌ كهذه أشياء مذهلة. كانت شبه واثقة بأنها ستجد اسم سيدة ما ولكنها راحت تقلب الصفحات الواحدة إثر الواحدة عبثا، فقد وجدت مذكرات سرِّية خاصة ببعض الأعمال ولكنها لم تعثر على اسم امرأة غيرها. ودست المفكرة في جيبها ومضت في طريقها إلى البيت وهي تشعر ببعض الضيق، فقد عادت كلمات "**ديك وينديفورد**" إلى ذهنها وسمعتها كما لو كان واقفا بجوارها ويرددها "ثم إنك لا تعرفين عنه أي شيء". وكان هذا حقًّا، فلماذا كانت تعرف عنه؟ لم تكن لتعرف عنه شيئا فيما عدا أنه في الأربعين من عمره، ولا ريب في أنه عرف نساء كثيرات قبلها. وأخيرا، قررت وهي خجلة من نفسها تقريبا ألا تطلعه على شيء. كان هذا أول سر تخفيه عن زوجها، وقد جعلها هذا الشعور تحس بإحساس المذنب.

*****

حين سمعت "**جيرالد**" يعود من القرية قبل الغداء بقليل أسرعت إلى المطبخ وتظاهرت بأنها مشغولة في إعداد الطعام لكي تخفي اضطرابها. وكان من الواضح أنه لم ير "**ديك ويندفورد**". وأحست "**أليكس**" فوراً بالارتياح والضيق في آن واحد، فقد تورطت الآن وأصبح لها أسرارها الخاصة التي تخفيها عن زوجها. ولم تتذكر "**أليكس**" المفكرة إلا بعد أن فرغا من تناول الطعام وأخذا مجلسهما في غرفة الصالون المكسوة جدرانها بخشب البلوط، وقد فتحت نوافذها على مصاريعها لكي ينساب منها هواء الليل البليل وأريج البنفسج، فقالت وهي تلقي بالمفكرة في حجره:

– هاك شيئا كنت تروي به الزهور.

– هل وقعت مني في الحديقة؟

– نعم، وإنني أعرف كل أسرارك الآن. قال "**جيرالد**" وهو يهز رأسه:

– أنا غير مذنب.

– ما هذا الموعد المحدد له الساعة التاسعة من هذه الليلة؟

– أوه... إنه... وبدا أنه أخذ على غرة لحظة، ثم ابتسم كما لو كان قد تذكر شيئا خاصا أطربه وقال:

– إنه موعد مع فتاة جميلة يا "**أليكس**"، لها شعر أسمر وعينان زرقاوان وتشبهك كل الشبه. قالت "**أليكس**" وهي تتظاهر بالشدة والصرامة:

– إنني لا أفهم... إنك تتهرب من الموضوع.

– كلا، إنني لا أتهرب... الواقع أن هذا الموعد تذكرة لي يجب أن أقوم بتحميض بعض الصور الليلة وأريد أن تساعديني. كان "**جيرالد مارتن**" يهوى التصوير هواية كبيرة، وكان يملك آلة عتيقة للتصوير ولكنها ذات عدسات رائعة، وكان يقوم بتحميض صوره في قبو صغير أعده بنفسه وجعل منه غرفة سوداء. وقالت "**أليكس**" تستثير حنقه:

– وهل لابد أن يتم هذا في تمام الساعة التاسعة؟ بدا على "**جيرالد**" كدر خفيف وقال بشيء من الحدة:

– أي طفلتي الصغيرة، يجب أن يخطط المرء لأي عمل وأن ينجزه بكل دقة وإتقان. لزمت "**أليكس**" الصمت دقيقة أو دقيقتين وهي تتأمل زوجها وقد جلس في مقعد يدخن مطوحا برأسه إلى الوراء وقد انعكست قسمات وجهه الحليق على الحائط المظلم خلفه، وفجأة ودون أن تدري السبب طغت عليها موجة من الذعر بحيث لم تملك إلا أن تصرخ قائلة:

– أوه يا "**جيرالد**"... وددت لو أعرف عنك المزيد. نظر زوجها إليها مشدوها وقال:

– ولكنك تعرفين عني كل شيء يا عزيزتي "**أليكس**".. حدثتك عن حياتي في "**نور ثمبرلاند**"، وفي "**إفريقيا الجنوبية**" وعن السنوات العشر الأخيرة التي قضيتها في "**كندا**" وأصبت فيها نجاحا. قالت عابسة:

– أوه... إنني لا أعني الأعمال. ضحك "**جيرالد**" فجأة وقال:

– أعرف ما تعنين... تقصدين مغامراتي النسائية... إنكن معشر النساء سواء. أحست "**أليكس**" بالجفاف في حلقها وهي تتمتم بغير وضوح:

– حسنا... لا ريب في أنه وقعت لك بعض المغامرات الغرامية... وددت لو

أعرف عنها شيئا. ساد الصمت دقيقة أو دقيقتين مرة أخرى. وكان "**جيرالد مارتن**" قد قطب حاجبيه مترددا، وحين تكلم أخيرا بلهجة الجد وقد اختفت نبرات الهزل من صوته قال:

– هل تعتقدين أن من الحكمة أن نتكلم في هذا الموضوع يا "**أليكس**"؟ لقد كانت هناك نساء في حياتي بالتأكيد وأنا لا أنكر هذا، ولو أنني أنكرت لما صدقتني ولكنني أستطيع أن أقسم لك أن ما من واحدة منهن أثارت اهتمامي في شيء. كانت هناك رنة من الصدق والصراحة في صوته استراحت زوجته لها. وسألها وهو يبتسم:

– هل استراح قلبك يا "**أليكس**"؟ ثم نظر إليها بشيء من الفضول وقال:

– ما الذي جعل هذا الموضوع البغيض يدور برأسك هذه الليلة دون غيرها بالذات؟ نهضت "**أليكس**" وراحت تذرع الغرفة على مضض، وقالت:

– أوه... لا أدري... كنت فقط شديدة الانفعال طوال اليوم. قال "**جيرالد**" بصوت منخفض كما لو كان يحدث نفسه:

– هذا غريب... هذا غريب جدا!

– ولماذا؟

– لا تنظري إليَّ هكذا يا فتاتي العزيزة.. قلتُ إن الأمر غريب.. لا لشيء إلا لأنك عادة رقيقة وهادئة. اغتصبت "**أليكس**" ابتسامة وقالت:

– لقد تآمر كل شيء عليَّ اليوم لإثارة جزعي وإزعاجي.. حتى "**جورج**" العجوز خطرت بذهنه فكرة سخيفة بأننا سنذهب إلى "**لندن**" وقال إنك قد حدثته بذلك. سألها "**جيرالد**" بحدة:

– متى رأيته؟

– أقبل لإنجاز عمله اليوم بدلا من يوم الجمعة. صاح محنقا:

– هذا المغفل العجوز. نظرت "**أليكس**" إليه مشدوهة. كان وجهه قد تغير لفرط حنقه. لم يسبق أن رأته قط وهو في مثل هذا الحنق. وإذ رأى "**جيرالد**" دهشتها المفرطة بذل جهدا خارقا لكي يتمالك نفسه وقال:

– الحق أنه مغفل عجوز.

– ماذا قلت له لكي يخطر له هذا الخاطر؟

– لم أقل له شيئا مطلقًا، على الأقل.. أوه، نعم إنني أذكر الآن.. قلت مازحا إنني سأعود إلى "**لندن**" غدا وأظنه حمل قولي هذا محمل الجد أو لعله أساء الفهم. لعلك قلت له إنه مخطئ؟ وانتظر ردها بقلق وقالت له:

– بالتأكيد. ولكنه من هؤلاء الناس الذين يتعذر تغيير أفكارهم أو الاعتراف بخطئهم. ثم ذكرت له إصرار "**جورج**" فيما يتعلق بثمن شراء البيت. ولزم "**جيرالد**" الصمت دقيقة أو دقيقتين ثم قال ببطء:

– كان "**أيمس**" يطلب ألفين من الجنيهات نقدا أما الألف الثالث فعلى آجال... ولا ريب في أن هذا هو سبب الخطإ. ووافقته "**أليكس**" قائلة:

– هذا جائز. ثم نظرت إلى الساعة وأشارت إليها بإصبعها بخبث قائلة:

– يجب أن نهبط الآن يا "**جيرالد**" فقد تأخرت خمس دقائق. ارتسمت على وجه "**جيرالد**" ابتسامة غريبة جدا وقال بهدوء:

– إنني غيرت رأيي.. لن أقوم بتحميض الصور اليوم.

غريب عقل المرأة حقًّا، فحين ذهبت "**أليكس**" إلى الفراش في ذلك اليوم، وكان يوم أربعاء، كانت تشعر بارتياح كبير فالسعادة المؤقتة التي غمرتها فاضت بها وتبددت شكوكها، لكن في مساء اليوم التالي أدركت أن بعض القوى الخبيثة كانت تعمل لتقويض هذه السعادة؛ فإن "**ديك ويندیفورد**" لم يتصل بها ثانية، ولكنها مع ذلك أحست بأنه يسيطر بنفوذه على تلك القوى، وراحت تتذكر ما بين لحظة وأخرى كلماته" إن هذا الرجل غريب عنك تماما ثم إنك لا تعرفين عنه أي شيء". ومع هذه الكلمات كانت ترى وجه زوجها وما ارتسم عليه من ملامح وهو يقول لها "هل تعتقدين أن من الحكمة أن نتكلم في هذا الموضوع يا "**أليكس**"". لماذا قال ذلك؟! كانت كلماته هذه تنطوي على إنذار.. بل على شبه تهديد. كان كأنه يقول لها إن من الأوفق ألا تتدخلي في حياتي يا "**أليكس**"، فقد تصابين بصدمة بغيضة إذا أنت فعلت.

وفي يوم الجمعة أقنعت "**أليكس**" نفسها بأنه كانت في حياة "**جيرالد**" امرأة، وأنه كانت له معها مغامرة غرامية يحاول جاهدا أن يخفيها عنها. واستيقظت غيرتها الخامدة وبدأت تؤرقها. أهي امرأة تلك التي كان سيلتقي بها في الساعة التاسعة في تلك الليلة؟ وهل كانت قصته عن تحميض الصور أكذوبة لفقها عفوا

لساعته؟ قبل ذلك بثلاثة أيام ما كانت لتتردد عن القسم بأنها تعرف كل شيء عن زوجها. أما الآن فقد بدا لها أنه غريب لا تعرف عنه أي شيء. وتذكرت غضبه الذي لم يكن له أي سبب ضد "**جورج**" العجوز، وهو غضب يناقض هدوءه المعتاد، وقد يكون هذا شيئا تافها ولكنه أكد لها أنها لا تعرف الرجل الذي تزوجته حقًّا.

وكانت أشياء كثيرة احتاجت إليها يوم الجمعة المذكور، واقترحت في أصيل ذلك اليوم أن تذهب لقضائها في حين يهتم هو بالحديقة، لكن ما كانت أشد دهشتها حين اعترض زوجها على ذلك وأصر على أن يذهب هو نفسه لقضائها وأن تبقى هي بالبيت. واضطرت "**أليكس**" إلى الإذعان ولكن إصراره أثار دهشتها وأزعجها... لماذا أصر على أن يمنعها من الذهاب إلى القرية؟!

وفجأة تكشف لذهنها اكتشاف وَضَّحَ لها كل شيء، أفليس من الجائز أن "**جيرالد**" قد التقى بـ "**ديك وينديفورد**" ولم يحدثها بذلك؟ واستيقظت غيرتها وكانت قد هجعت منذ زواجهما. أفلا يمكن أن يكون الأمر مع "**جيرالد**" حدث في الوقت نفسه واستيقظت غيرته هو الآخر؟ أليس من الجائز أنه يحرص على ألا ترى "**ديك**" ثانية؟ بدا لها هذا التفسير مؤيدا بالحقائق وأحست بالارتياح لذلك بحيث تشبثت به برضا وسعادة.

لكن حين جاءت ساعة تناول الشاي وولت كان قد استبد بها القلق من جديد وراحت تناضل إغراء طغى عليها منذ انصراف "**جيرالد**". وأخيرا هدّأت ضميرها قائلة إن الغرفة تحتاج إلى عملية تنظيف وتنسيق، فصعدت إلى غرفة زوجها وأخذت معها ممسحة توكيدا لنيتها في تنظيف الغرفة، وكانت لا تفتأ تقول محدثة نفسها:

«لو أستطيع أن أتأكد.. لو أستطيع». وعبثا حدثت نفسها بأن كل ما قد يعرضه للشبهة لابد من أنه أعدمه منذ وقت طويل، ولكنها اعترضت على هذا الظن بأن الرجال يحتفظون في بعض الأوقات بأدلة تدينهم، لا لشيء إلا بدافع الغرور أو ربما بدافع الضعف.

واستسلمت "**أليكس**" في النهاية لنداء الإغراء. وراحت تفتش في أوراقه وقد اضطرمت وجنتاها خزيا وخجلا مما تقوم به، وقلبت رسائله ومستنداته، وفتحت

الأدراج، حتى جيوبه لم تفلت من التفتيش. ولم يستعص عليها غير درجين، فقد كان الدرج الأخير من دولاب المستندات والدرج الأيمن للمكتب مغلقين بالمفتاح. ولكن "**أليكس**" كانت قد تخلت عن كل حيائها بعد أن اقتنعت بأنها ستجد في أحد هذين الدرجين الدليل على وجود تلك المرأة الخيالية التي صورها الوهم لها في حياة زوجها السابقة. وتذكرت أن "**جيرالد**" ترك مفاتيحه بغير اكتراث فوق مائدة الطعام في الدور الأرضي. فهبطت وبحثت عنها وجربتها واحدا واحدا. ودار المفتاح الثالث في درج المكتب ففتحته "**أليكس**" باهتمام، ووجدت فيه دفتر شيكات ومحفظة عامرة بأوراق النقد، ووجدت في آخر الدرج حزمة من الرسائل مربوطة بشريط.

وتسارعت أنفاسها وفكت الشريط، وما كادت تفعل حتى صعد الدم إلى وجهها. وأعادت الرسائل إلى الدرج وأغلقته كما كان بالمفتاح، فقد كانت الرسائل رسائلها هي إليه كتبتها له قبل زواجها به. وتحولت بعد ذلك إلى الدرج الأخير للدولاب تدفعها الرغبة في الشعور بأنها لم تترك مكانا تتوقع أن تجد فيه شيئا إلا وفتشته. ولكن ساءها أنها لم تجد بين كل المفاتيح مفتاحا يدور في قفل الدرج. ولم تشأ أن تقر بالهزيمة فذهبت إلى الغرفة الأخرى. وعادت ومعها مجموعة من المفاتيح. وما كان أشد ارتياحها حين وجدت أن مفتاح الدولاب الخاص بالملابس يدور في الدرج ففتحته. ولكنها لم تجد به شيئا غير ربطة من قصاصات الجرائد كانت كلها قذرة قد اصفر لونها لطول العهد بها.

تنهدت "**أليكس**" بارتياح. ومع ذلك فقد نظرت إلى القصاصات وقد دفعها الفضول لمعرفة المقالات التي أثارت اهتمام "**جيرالد**" إلى حد الاحتفاظ بها حتى اصفر لونها. كانت كلها عبارة عن جرائد أمريكية يرجع تاريخها إلى سبع سنوات وتدور كلها حول محاكمة نصاب مزواج يدعى "**شارلس ليميتر**" اشتبه في أنه تخلص من زوجاته، وقد عثروا على هيكل عظمي مدفون في أرضية بيت من البيوت التي استأجرها. وقد اختفت أكثر النساء اللاتي تزوج بهن ولم يظهر لهن أثر، ودافع عن نفسه بحذق وبراعة وعاونه في ذلك بعض المحامين المشهورين بـ"**الولايات المتحدة**". ولعب الشك دورا كبيرا فبرأه المحلفون من تهمة القتل لكن المحكمة حكمت عليه بالسجن مدة طويلة للتهم الأخرى التي ثبتت ضده.

تذكرت "**أليكس**" الاهتمام الشديد الذي أثارته هذه القضية وقتها وتذكرت الانفعال الذي أحدثه هروب "**ليميتر**" من سجنه بعد ذلك بثلاث سنين. ولم يعثر رجال الشرطة عليه بعد ذلك ولم يتمكنوا من القبض عليه. وقد نشرت الجرائد الإنجليزية في ذلك الوقت المقالات الضافية عن شخصية الرجل وسلطانه الكبير على النساء، كما نشرت أنباء محاكمته واحتجاجاته الشديدة وانهياره الفجائي في أثناء المحاكمة وقيل يومها إنه ضعيف القلب كما أنه ممثل موهوب. وكانت هناك صورة له في إحدى القصاصات، وراحت "**أليكس**" تتأملها بشيء من الاهتمام. كانت صورة لرجل وسيم ذي لحية طويلة.

وجعلت تتساءل بمن يذكرها وجه الرجل. وفجأة أدركت بشيء من الفزع أنه وجه "**جيرالد**" نفسه. كانت العينان والحاجبان تشبه عينيه وحاجبيه كل الشبه، ولعله احتفظ بالصورة لهذا السبب، ووقعت عيناها على الكلام المنشور تحت الصورة ومضمونه أن بعض التواريخ كانت مسجلة في مفكرة المتهم، وقد ثبت أنها نفس التواريخ التي اختفت فيها ضحاياه. وقد شهدت امرأة ضده وعرفته بصورة تقطع الشك؛ فقد قالت إن هناك شامة برسغ يده اليسرى، تحت راحته بالذات. أفلتت "**أليكس**" القصاصة وترنحت، ففي رسغ اليد اليسرى لزوجها، تحت راحته بالذات أثر ندبة صغيرة.

*****

دارت الغرفة بها. وبدا لها بعد ذلك بقليل أن من الغريب أنها لم تفطن إلى هذه الحقيقة قبل ذلك. كان "**جيرالد مارتن**" هو "**شارلس ليميتر**" نفسه. تأكدت من ذلك وقبلته كحقيقة ساطعة لا تقبل الجدل، وتصاعدت إلى ذهنها حقائق راحت تدور وتتلاحم كما تتلاحم قطع اللغز قطعة بعد قطعة: المبلغ الذي دفعه للبيت من مالها، ومن مالها هي فحسب، والأسهم التي لحاملها والتي عهدت بها إليه، حتى حُلمها بدا لها في معناه الحقيقي، بدا لها في أعمق أعماقها، ظل عقلها الباطن يخشى "**جيرالد مارتن**" ويتمنى أن يفر منه، ويحولها إلى "**ديك ويندیفورد**" لطلب مساعدته وعونه. ولهذا السبب تقبلت الحقيقة ببساطة ودون شك أو تردد. إنها ستكون الفريسة المقبلة لـ "**ليميتر**" .. ومن يدري.. ربما يأتي دورها قريبا جدا..

وأفلتت منها نصف صرخة وهي تتذكر شيئا.. يوم الأربعاء الساعة التاسعة مساء.. القبو ببلاطه الذي يسهل خلعه.. إنه سبق أن دفن إحدى ضحاياه في قبو منزل.. كان كل شيء مرسوما لكي ينفذ جريمته مساء يوم الأربعاء.. لكن كان من الجنون أن يكتب كل شيء قبل أن يحدث وبكل هذه الدقة. كلا.. بل كان هذا منطقيا، فإن "**جيرالد**" كان يسجل كل شيء. وكانت جريمة القتل بالنسبة إليه صفقة كغيرها من الصفقات.. لكن ما الذي أنقذها؟ ماذا حدث وأنقذها؟! هل تردد في آخر لحظة؟ كلا.. وجاءها الرد في ومضة.. إن "**جورج**" العجوز هو الذي أنقذها. أدركت الآن سبب الغضب الذي تملك زوجها ولم يستطع أن يتحكم فيه. لم يكن هناك شك في أنه قد مَهَّدَ الطريق بأن أعلن للجميع أنهما راحلان إلى "**لندن**" في اليوم التالي، لكن أقبل "**جورج**" للعمل على غير انتظار وذكر لها أمر الرحلة فلم تؤيد له القصة، وكان من الخطر أن يقتلها في تلك الليلة فمن الجائز أن يعيد "**جورج**" حديثهما على أحد. وكان في ذلك نجاتها.. وأية نجاة! لو أنها لم تذكر له قدوم "**جورج**" في تلك الليلة.. وسرت في بدنها قشعريرة.

لكن يجب ألا تضيع الوقت الآن.. يجب أن تهرب فوراً قبل عودته. وأعادت القصاصات مكانها مسرعة وأغلقت الدرج وأدارت المفتاح بالقفل. ولكنها ما كادت تفعل حتى وقفت مكانها جامدة كما لو كانت قد تسمرت، فقد سمعت صرير الباب الخارجي للحديقة.. وعرفت أن زوجها قد عاد. وقفت "**أليكس**" مكانها لحظة كالمصعوقة، ثم أسرعت إلى النافذة ووقفت خلف الستارة ونظرت إلى الخارج. نعم.. إنه زوجها.. كان يبتسم لنفسه ويدندن بأغنية ما، وكان يمسك في يده شيئا جعل قلب المرأة يركض بين ضلوعها فزعا، فلم يكن ذلك الشيء غير جاروف جديد يلمع. وأدركت "**أليكس**" بغريزتها أن جريمة القتل ستتم الليلة. لكن مازالت هناك فرصة، فقد مضى "**جيرالد**" خلف البيت وهو لا يزال يدندن ومن غير أن تتردد لحظة اندفعت إلى السلم وهبطت درجاته وهي تكاد تركض، ولكنها ما كادت تخرج من الباب حتى اصطدمت بزوجها وهو قادم من الناحية الأخرى، وهتف يقول:

– ما الخبر؟ ما بالك تركضين هكذا وبمثل هذه العجلة؟ بذلت "**أليكس**" جهدا مستميتا لكي تبدو هادئة كعادتها. ضاعت فرصتها مؤقتا، لكن إذا حرصت على

ألا توقظ شكوكه فقد تسنح لها الفرصة مرة أخرى، وربما تسنح لها الآن بالذات.
وقالت بصوت منخفض بدا لها ضعيفا يفتقد الإقناع:

– كنت خارجة لكي أتجول حتى آخر الطرقة ثم أعود. قال "**جيرالد**" :

– لا بأس.. إنني قادم معك.

– كلا، أرجوك يا "**جيرالد**" .. إنني أشعر بصداع وبشيء من الضيق، وأفضل أن أذهب وحدي.. نظر إليها مليا، وخيل إليها أنها ترى وميضا من الشك في عينيه. وقال:

– ما الخبر يا "**أليكس**"؟ إنك شاحبة.. وترتعشين.. غالبت نفسها وتكلفت الابتسام وقالت:

– لا شيء بي.. إن بي صداعا وهذا كل شيء.. ونزهة صغيرة تفعل بي خيرا..
قال "**جيرالد**" وهو يضحك ضحكة خفيفة:

– حسنا، لكن ليس من الصواب أن ترفضي صحبتي.. إنني قادم معك أردت أم لا. لم تجرؤ على الاحتجاج أكثر من ذلك، فلو أنه ارتاب في أنها تعرف... وبذلت جهدا جبارا لكي تسترد جاشها، لكن خامرها إحساس غريب بأنه ينظر إليها نظرة جانبية من وقت إلى آخر كما لو كان لا يشعر بارتياح. وأحست بأن شكوكه لم تهدأ نهائيا. وعندما عادا إلى البيت أصر على أن تتمدد وجاءها بالكولونيا ومسح وجنتيها. عاد كما كان الزوج المخلص. وأحست "**أليكس**" بأنها وقعت في فخ لا تستطيع منه فكاكا.

لن يدعها بمفردها دقيقة واحدة بعد الآن. ومضى معها إلى المطبخ وساعدها في إعداد الطعام البارد الذي كانت قد جهزته. وكان العشاء ثقيلا عليها ولكنها أرغمت نفسها على الأكل وعلى أن تبدو مرحة عادية. كانت تعلم الآن أنها تناضل من أجل حياتها. كانت بمفردها مع ذلك الرجل، على بعد كيلومترات من أي عون وتحت رحمته تماما. كانت فرصتها الوحيدة هي أن تهدئ من شكوكه بحيث يتركها وحدها لحظات قلائل تستطيع في خلالها أن تمضي إلى التليفون وأن تطلب النجدة. كان هذا هو أملها الوحيد الآن. وتذكرت كيف تخلى عن خطته قبل ذلك، فراودها أمل خفيف احمر له وجهها. هبها تقول له إن "**ديك**

وينديفورد" قادم الليلة لزيارتهما؟

واضطربت الكلمات على شفتيها، ولكنها تغلبت على نفسها ولم تنطق بكلمة منها، فإن هذا الرجل لن يرتد مرة أخرى. كان هناك تحت هدوئه تصميم وزهو اشمازت لهما. لن يكون لقولها هذا من نتيجة إلا التعجيل بارتكاب الجريمة.. سيقتلها فورا ثم يتصل بـ "**ديك**" بعد ذلك ويقول له بهدوء إنه جاءتهما دعوة مفاجئة.. أوه، ليت "**ديك وينديفورد**" يأتي إلى البيت الليلة.. لو أنه... وثبتت في ذهنها الفكرة فنظرت بحدة إلى زوجها، نظرة جانبية، كما لو كانت تخشى أن يقرأ ما يدور في رأسها. وازدادت الفكرة رسوخا وتحولت إلى خطة أعادت لها رباطة جأشها وسيطرت على أعصابها بهدوء غريب أثار دهشتها، فأعدت القهوة ومضت بها تحت سقيفة الباب حيث اعتادا الجلوس في الليالي المقمرة. وقال "**جيرالد**" فجأة:

– على فكرة، سنقوم بتحميض الصور الليلة. شعرت "**أليكس**" بالقشعريرة تسري في بدنها ولكنها أجابت بغير اكتراث:

– ألا يمكنك أن تدبر أمرك دوني.. إنني متعبة الليلة. بدا كأن قولها قد أحزنه. وارتجفت "**أليكس**". لابد لها من أن تنفذ خطتها الآن فورا وإلا ضاعت منها الفرصة إلى الأبد. نهضت واقفة وهي تقول بغير اكتراث:

– سأتكلم بالتليفون مع الجزار.. لا تزعج نفسك وابق مكانك.. سأعود حالا.

– مع الجزار؟! في مثل هذه الساعة من الليل؟

– إن محله مغلق بالتأكيد أيها الغبي.. ولكنه موجود في بيته الآن.. وغدا السبت وأريد أن يأتيني ببعض شرائح اللحم للبفتيك قبل أن تنفد؟ إنه رجل ظريف ولا يرفض لي طلبا. ودخلت البيت مسرعة وأغلقت الباب خلفها وسمعت "**جيرالد**" يقول:

– لا تغلقي الباب. فأجابته دون تردد:

– ذلك لكي أمنع فراشات الليل من الدخول فإنها تثيرني ولا أستطيع احتمالها.. هل تخاف أن أغازل الجزار أيها الغبي؟ وأسرعت ترفع سماعة التليفون وأدارت رقم فندق "**ترافيلرز آرمز**". وحصلت على المكالمة فوراً فقالت:

– هل السيد "**وينديفورد**" موجود؟ هل أستطيع أن أتحدث إليه؟ ثم ركض

قلبها بين ضلوعها فقد فتح الباب ودخل زوجها فقالت غاضبة:

– اخرج يا "**جيرالد**".. إنني أكره أن يصغي أحد إليّ وأنا أتكلم بالتليفون. ولكنه اكتفى بأن ضحك وتهالك فوق مقعد وهو يقول:

– هل صحيح أنك تتكلمين مع الجزار؟ تملكها اليأس، فقد فشلت خطتها. بعد دقيقة سيأتي "**ديك وينديفورد**" إلى التليفون، فهل تغامر بكل شيء وتصرخ في طلب النجدة؟ وفجأة، وبينما هي تضغط بعصبية وتوتر على مفتاح الجهاز الذي يسمح بسماع الصوت أو عدم سماعه في الناحية الأخرى، ومضت في ذهنها خطة جديدة. وقالت تحدث نفسها:

"سيكون ذلك صعبا، ولابد لي من الاحتفاظ بصفاء ذهني، ومن التفكير في الكلمات التي يجب أن أنطق بها وألا أتلعثم.. ولكني أعتقد أنني أستطيع أن أفعل؟ بل يجب أن أفعل". وفي هذه اللحظة سمعت صوت "**ديك وينديفورد**" في الناحية الأخرى من الخط فأخذت نفسا عميقا ثم ضغطت على المفتاح بعزم وقالت:

– السيدة "**مارتن**" تتكلم من كوخ "**فيلوميل**".. أرجوك أن تأتي (ورفعت إصبعها عن المفتاح) غدا صباحا ومعك ست شرائح من اللحم. (ثم ضغطت على المفتاح من جديد) إن الأمر عاجل (ورفعت إصبعها عن المفتاح) أشكرك كثيرا يا سيد "**هكسترثي**"، أرجو ألا يضيرك أن أتصل بك في بيتك في مثل هذا الوقت المتأخر؛ ولكن الحق أن هذه الشرائح بالنسبة إليّ (وضغطت على المفتاح) مسألة موت أو حياة (ورفعت إصبعها) حسنا جدا.. غدا صباحا (وضغطت على المفتاح) بأسرع ما يمكن. وأعادت السماعة مكانها وتحولت تواجه زوجها وهي تتنفس بصعوبة. وقال "**جيرالد**":

– أهكذا تتكلمين مع الجزار؟ فقالت "**أليكس**" باستخفاف:

– إنه الطابع النسائي. كانت ترتجف من الانفعال فإن زوجها لم يشك في شيء، وسيأتي "**ديك**" حتى إذا لم يكن قد فهم شيئا. وقال "**جيرالد**" وهو ينظر إليها بفضول:

– أراك شديدة الابتهاج الآن. أجابت:

– نعم، فقد زال ما بي من صداع. وجلست على مقعدها العادي وابتسمت

لزوجها وهو يجلس على مقعده المقابل لها. لقد نجت الآن.. كانت الساعة قد بلغت الثامنة والدقيقة الخامسة والعشرين ومازال هناك وقت طويل قبل التاسعة يكون "**ديك**" قد أقبل في أثنائه. وقال زوجها متذمرا:

– إن طعم هذه القهوة غريب.. إنها مرة المذاق.

– إنها من بُنٍّ من نوع جديد.. لن أشتري منه ثانية إذا كان لا يروقك يا عزيزي. وتناولت "**أليكس**" قطعة من القماش لتطريزها وبدأت تشتغل. وقرأ "**جيرالد**" بضع صفحات من كتابه ثم نظر إلى الساعة وأطبق الكتاب وهو يقول:

– منتصف التاسعة.. آن الأوان لكي نهبط ونقوم بتحميض هذه الصور. أفلت التطريز من بين أصابع "**أليكس**" وقالت:

– أوه! كلا.. ليس الآن.. لننتظر حتى التاسعة.

– كلا يا فتاتي.. منتصف التاسعة.. هذا هو الوقت الذي حددته لنفسي.. وبهذا يمكنك أن تمضي إلى فراشك في وقت مبكر.

– بل أفضل أن أنتظر حتى الساعة التاسعة.

– تعرفين جيدا أنني أتمسك بالوقت الذي أحدده، تعالي يا "**أليكس**".. لن أنتظر دقيقة واحدة أكثر من ذلك. رفعت "**أليكس**" عينيها إليه، وعلى الرغم منها أحست بموجة من الذعر تطغى عليها. زال القناع أخيرا، وأخذ "**جيرالد**" يلوي أصابعه بتوتر وومضت عيناه ببريق الانفعال وراح يبلل شفتيه الجافتين بلسانه ما بين لحظة وأخرى، ولم يعد يهمه إخفاء مشاعره. وفكرت "**أليكس**":

« هذا صحيح.. إنه لا يستطيع الانتظار فهو أشبه بمجنون ». وتقدم نحوها وألقى يده على كتفها وأرغمها على الوقوف وهو يقول:

– تعالي يا فتاتي وإلا حملتك بين ذراعي. كانت لهجته مرحة، لكن كانت هناك رنة من القسوة المستترة خلفها ملأتها ذعرا. وبذلت جهدا خارقا فحررت كتفها منه وتشبثت بالحائط. كانت بلا حول ولا قوة. لم يكن بمقدورها الهرب.. بل لم يكن بمقدورها أن تفعل شيئا.. واقترب منها قائلا:

– هلمي بنا يا "**أليكس**".

– كلا... كلا. صرخت وبسطت يديها إلى الأمام كما لو كانت تريد أن تمنعه من التقدم وقالت:

– قف يا " **جيرالد** " ... إن لديَّ شيئا أريد أن أفضي إليك به.. شيئا أريد أن أعترف لك به. سألها بفضول:

– تعترفين؟! بأي شيء؟

– نعم.. أريد أن أعترف لك.. كانت قد نطقت بهذه الكلمة مصادفة واتفاقا ولكنها تشبثت بها بيأس محاولة استثارة اهتمامه، وارتسمت على ملامحه نظرة ازدراء وهو يقول:

– لعلك تريدين أن تعترفي لي بمغامرة غرامية وقعت لك. قالت:

– كلا.. بل أريد أن أعترف لك بشيء آخر.. بجريمة.. نعم، بجريمة قتل. وما كادت تنطق بكلماتها الأخيرة حتى أدركت أنها ضربت على الوتر الحساس، فقد بدا الاهتمام في عينيه، وإذ رأت ذلك استردت جأشها وأحست بأنها أصبحت سيدة الموقف مرة أخرى، وقالت بهدوء:

– من الأوفق أن تعود إلى الجلوس. ومضت بثقة إلى مقعدها فجلست فوقه. بل إنها توقفت والتقطت تطريزها. ولكنها كانت تحت هدوئها المصطنع تفكر وتحاول أن تختلق قصة تثير اهتمام زوجها وتستأثر به إلى أن تخف إليها النجدة. وبدأت تقول بهدوء:

– قلت لك إنني كنت أعمل على الآلة الكاتبة وأزاول الاختزال لمدة خمسة عشر عاما. وليس هذا حقيقيا تماما فقد انقطعت عن العمل في هذه المدة فترتين، الأولى وأنا في الثانية والعشرين من عمري حين التقيت برجل كهل كان يملك بيتا صغيرا أحبني وطلب مني أن أتزوجه. وقبلت وتزوجنا (وأمسكت لحظة) وأقنعته بعد ذلك بأن يعقد وثيقة تأمين على حياته لصالحي. رأت اهتماما شديدا مفاجئا يلمع في عينيه فأردفت تقول وقد زاد ثباتها:

– وكنت قد عملت فترة في أثناء الحرب في أحد المستشفيات حيث عالجت كل أنواع المخدرات والسموم تقريبا. وأمسكت وهي تفكر. كان زوجها يصغي إليها باهتمام شديد، ولم يكن هناك أي شك في هذا فإن أي قاتل لابد أن يهتم بجريمة قتل يأتي ذكرها على لسان غيره، وهي قد قامرت على هذه النقطة وكسبت. واسترقت نظرة إلى الساعة. كانت قد بلغت الثامنة والدقيقة الخامسة والثلاثين. واسترسلت:

– وهناك سم معين... عبارة عن مسحوق أبيض ناعم... ذرة صغيرة منه فيها الموت الزؤام... لعلك تعرف شيئا عن السموم؟ كانت قد ألقت هذا السؤال وهي ترتجف شيئا ما، فقد كان يتعين عليها أن تكون شديدة الحرص فلو أنه يعرف شيئا عن السموم.. ولكنه أجابها قائلا:

– كلا.. لا أعرف عنها إلا القليل. تنهدت بارتياح وقالت:

– لكن لعلك سمعت عن سم "**الهيوسين**" .. هو مخدر شديد الفتك ولا يتخلف عنه أي أثر، ولا يمكن لأي طبيب إلا أن ينسب الوفاة إلى توقف القلب، وقد سرقت كمية صغيرة منه واحتفظت بها معي. وأمسكت ريثما ترتب أفكارها، فقال "**جيرالد**" :

– استمري...

– كلا.. إنني خائفة.. لا أستطيع أن أقول لك... ربما في مرة أخرى.. ولكنه قال بفارغ الصبر:

– بل تكلمي الآن.. إنني أريد أن أعرف.

– لم يكن قد مر على زواجنا شهر واحد، وكنت كريمة جدا مع زوجي، وقد أحسنت معاملته وأخلصت له وامتدحني أمام الجميع، وعلم الجيران كلهم مبلغ إخلاصي له. وكنت أعد له القهوة بنفسي كل مساء، وفي ذات ليلة، ونحن بمفردنا وضعت ذرة من السم في فنجانه. وأمسكت "**أليكس**" وبدأت تطرز بحذر، وهي التي لم تقم بالتمثيل في حياتها، بذت أكبر الممثلين العالميين في هذه اللحظة وفاقت عليهم. تقمصت شخصية المرأة التي تقتل ضحاياها بدس السم لهم وبدت طبيعية تماما وهي تقول:

– وقد حدث كل شيء بهدوء، وجلست أنظر إليه. ولم يلبث أن شهق وطلب المزيد من الهواء ففتحت النافذة، وعندئذ قال إنه لا يستطيع أن يتحرك من مقعده، ولم يلبث أن مات. وأمسكت وهي تبتسم.. كانت الساعة قد بلغت التاسعة إلا الربع.. ولن تتأخر النجدة عنها كثيرا الآن.. وسألها "**جيرالد**" :

– وكم كان مبلغ التأمين؟ قالت:

– نحو ألفين من الجنيهات، وقد ضاربت بهما في البورصة وخسرتهما، وعدت إلى عملي السابق في المكتب، ولكني لم أقصد البقاء فيه طويلا، والتقيت برجل آخر، وكنت قد استعرت اسمي وأنا فتاة، ولم يكن الرجل ليعرف شيئا عن زواجي

الأول، وكان أصغر سنا وأكثر وسامة من الأول، وتزوجنا بهدوء في مقاطعة "**سوكس**"، ولم يرض أن يُؤَمِّنَ على حياته ولكنه حرر وصيته في صالحي، وكان يحب أن أعد له القهوة تماما كزوجي الأول. وابتسمت "**أليكس**" بتفكير وقالت ببساطة:

– وأنا أجيد إعداد القهوة. وأردفت تقول بعد هنيهة:

– وكان لي أصدقاء كثيرون في القرية التي كنا نقيم فيها، وقد رثى الجميع لي ولزوجي الذي مات بعد العشاء ذات ليلة، ولا أعتقد أنني شعرت بأي ميل نحو الطبيب، ولا أظن أنه ارتاب في أمري، ولكنه دهش بكل تأكيد لوفاة زوجي هكذا فجأة، ولا أدري لماذا عدت إلى المكتب ثانية، وأعتقد أن العادة هي التي جعلتني أعود إليه، وقد خلف لي زوجي الثاني نحو أربعة آلاف جنيه، ولم أضارب بها هذه المرة بل استثمرتها... ثم جئت أنت... ولكنها اضطرت إلى التوقف عن حديثها، فإن "**جيرالد مارتن**" أشار إليها بإصبع مرتعشة، وقال وهو يلهث وقد صعد الدم إلى وجهه:

– القهوة... يا إلهي... القهوة. حدقت "**أليكس**" إليه في حين أردف يقول:

– فهمت الآن سبب مرارتها الشديدة. يا لك من شيطانة.. إنك عدت إلى ألاعيبك ثانية. وتقبضت يداه على مسندي المقعد، وقال وهو يهم بالنهوض:

– إنك دسست السم لي. ارتدت "**أليكس**" حتى الموقد وقد تملكها الذعر، وفتحت شفتيها لكي تنكر ولكنها لم تلبث أن أمسكت. سيهجم عليها في الدقيقة التالية. وجمعت كل قواها وواجهت نظرته وقالت:

– نعم.. إنني دسست السم لك، وهو يأتي بمفعوله الآن.. إنك في هذه اللحظة لا تستطيع أن تتحرك. لو تستطيع أن تمنعه عن الحركة ولو لبضع دقائق.. آه.. ما هذا.. وقع خطوات على الطريق.. صرير الباب.. ثم وقع أقدام في الحديقة. وصرير الباب الخارجي وهو يفتح. وعادت تقول ثانية:

– لن تستطيع أن تتحرك. ثم مرت به واندفعت خارج الغرفة حيث وقعت مغمى عليها بين ذراعي "**ديك ويندفورد**". وصاح الشاب يقول:

– يا إلهي.. "**أليكس**".. ثم تحول إلى الرجل الذي معه، وهو رجل طويل القامة يرتدي ثياب الشرطة وخاطبه قائلا:

– ادخل وانظر ما الذي حدث في هذه الغرفة. وحمل "**أليكس**" إلى أريكة

ومددها فوقها برفق وهو يقول:

– أي فتاتي الصغيرة المسكينة.. ماذا فعلوا بك؟ واضطرب جفناها ونطقت شفتاها باسمه. وتنبه "**ديك**" إلى الشرطي وهو يلمس ذراعه ويقول في الوقت نفسه:

– لا شيء في تلك الغرفة يا سيدي غير رجل جالس في مقعد، يبدو عليه ذعر شديد و...

– نعم؟

– حسنا يا سيدي.. وقد فارق الحياة. وأجفل كل منهما حين سمعا "**أليكس**" تتكلم كأنها في حلم وعيناها مطبقتان:

– ولم يلبث أن مات.

*****

فتاة القطار

أهم الشخصيات

- "**جورج راولاند**" : ثري من النبلاء.
- "**ويليام راولاند**" : عم "**جورج**" .
- "**أليزابيث جيج**" : زوجة "**جورج**" .
- "**ألكسا**" : الدوقة الكبيرة.
- الأمير "**أزريك**" : عم "**ألكسا**" .
- "**جارولد**" : مفتش سري.

قال "**جورج راولاند**" بصوت حزين وهو يرفع عينيه إلى الواجهة الشامخة السوداء للبيت الذي غادره منذ لحظة:

– هكذا..! كان يمكن أن يُعَبِّر قول "**جورج**" عن قوة المال.. وذلك المال الذي يتمثل في شخص "**ويليام راولاند**"، عم "**جورج**" المذكور والذي قال كلمته الأخيرة، ففي خلال فترة وجيزة لا تزيد على عشر دقائق أصبح "**جورج**" الذي كان تفاحة في عين عمه ووريث ثروته والذي يفتح له المستقبل. أصبح "**جورج**" هذا فجأة فردا في جيش العاطلين الكبير. وقال "**جورج**" باكتئاب:

– وبثيابي هذه لن يوافقوا على منحي الإعانة المقررة لكل عاطل.. أما كتابة القصائد والأشعار والطواف بها من باب إلى باب وعرضها مقابل بنسين أو "ما تجودين به يا سيدتي" . فلا قِبل لي بذلك. والواقع أن "**جورج**" كان مفخرة الترزي الذي يحيك له ثيابه، فقد كان يرتدي ثيابا أنيقة غالية. ولكن المرء لا يستطيع أن يعيش من ثيابه إلا إذا كان قد خضع لتمرين شديد. وكان السيد

"**راولاند**" يعرف ذلك حق المعرفة. وتمتم يقول بحزن:

– وكل هذا بسبب تلك الحفلة البغيضة. كانت الحفلة التي يتكلم عنها قد أقيمت في الليلة الماضية في قاعة "**كوفنت جاردن**"، وقد عاد السيد "**راولاند**" منها في وقت متأخر جداً أو إذا توخينا الدقة في وقت مبكر جداً من الصباح. والواقع أنه هو نفسه لا يذكر شيئا عن عودته، ولكن "**روجرز**"، رئيس خدم عمه، وهو رجل خدوم كان في مقدوره أن يمده بتفاصيل أكثر في هذه الناحية.. رأس مصدع وقدح من الشاي القوي والمضي إلى المكتب في الثانية عشرة إلا خمس دقائق بدلا من التاسعة والنصف. كل هذا عجل بالكارثة. فإن السيد "**راولاند**" الكبير –وكان قد قضى أربعا وعشرين سنة تغاضى في أثنائها عن كل شيء وسدد ديون ابن أخيه كما يفعل أي قريب لبق– تخلى عن لباقته فجأة وكشف نفسه تحت يوم جديد. وكان من نتيجة ردود "**جورج**"، وكانت رأسه لا تزال مصدعة تتفتح وتنطبق كما كانت تفعل آلات التعذيب أيام محاكم التفتيش، كان من نتيجة ردوده أن أثارت استياء عمه، وكان هذا الأخير لا يحجم أبدا عن اتخاذ ما يراه من قرارات رادعة، فجعل من ابن أخيه بكلمات قليلة وجيزة عاطلا في جيش العاطلين الذين تزخر بهم مدينة "**لندن**"، ثم حوَّل اهتمامه إلى دراسته البترولية التي كان قد قطعها قبل دقائق.

نفض "**جورج**" غبار مكتب عمه عن حذائه وخرج إلى مدينة "**لندن**". وكان "**جورج**" رجلا عمليا فرأى أن غداء دسما ضروري لمراجعة موقفه. فمضى وتناوله ثم ذهب إلى بيت الأسرة: وفتح له "**روجرز**" الباب، ولم يبد على وجهه المهذب ما يدل على دهشته لرؤية "**جورج**" في هذه الساعة غير العادية.

– طاب يومك يا "**روجرز**".. هل لك أن تحزم حقائبي، فإنني سأغادر الدار.

– نعم يا سيدي.. أتقوم برحلة قصيرة؟

– بل سأغادرها إلى الأبد يا "**روجرز**".. إنني سأسافر إلى المستعمرات مساء اليوم.

– حقًّا يا سيدي؟!

– نعم.. أعني إذا وجدت باخرة ملائمة.. هل تعرف شيئا عن البواخر يا "**روجرز**"؟

– أية مستعمرة تنوي أن تسافر إليها يا سيدي؟

– لم أقرر ذلك بعد.. أية واحدة تفي بالغرض.. لنقل "**أستراليا**".. ما رأيك فيها يا "**روجرز**"؟ سعل "**روجرز**" بصوت خافت وقال:

– حسنا يا سيدي.. سمعت أن فيها مكانا لكل من يريد أن يعمل.. حدق سيد "**راولاند**" إليه باهتمام وإعجاب وقال:

– إنني أوضحت الأمر بما فيه الكفاية يا "**روجرز**". وهذا ما كنت أفكر فيه أنا نفسي.. لن أذهب إلى "**أستراليا**".. ليس اليوم على كل حال.. ابحث لي عن دليل مواعيد القطارات، سأبحث فيه عن مكان أقرب. أحضر "**روجرز**" الدليل المطلوب وفتحه "**جورج**" وراح يقلب صفحاته على عجل وهو يتمتم قائلا:

– "**بيرث**".. إنها بعيدة جداً.. "**بوتني بريدج**" قريبة جداً.. "**رامسجيت**"؟ لا أظن ذلك.. و "**ريجيت**" لا تثير اهتمامي هي الأخرى. ولكن.. ما أغرب هذا! إن هناك مدينة معروفة باسم "**راولاند كاسل**".. هل سبق أن سمعت عنها يا "**روجرز**"؟

– أظن أنه لابد أن تصل إليها عن طريق "**واترلو**" يا سيدي.

– أنت رجل مدهش يا "**روجرز**".. إنك تعرف كل شيء.. "**راولاند كاسل**".. إنني لأتساءل ما شكل هذه المدينة؟

– إنها ليست مدينة بمعنى الكلمة يا سيدي.

– هذا أفضل.. إذن لن يكون هناك منافسون كثيرون، فإن هذه القرى الصغيرة الهادئة تحتفظ بطابع إقطاعي جميل، كما أن آخر سلالة "**راولاند**" يجب أن يستقبلوه بكل ترحيب، ولن أشعر بأية دهشة إذا ما انتخبوني عمدة بعد أسبوع. وأطبق الدليل بعنف وقال:

– قُضي الأمر.. أعدَّ لي حقيبة صغيرة يا "**روجرز**"، وأسرع.

– هل أستدعي سيارة أجرة؟ تردد "**روجرز**" ثم تقدم خطوة وقال:

– أرجو المعذرة إذا تجاوزت حدودي يا سيدي، ولكني لو كنت مكانك لما أبديت اهتماما يذكر لأقوال السيد "**راولاند**" هذا الصباح، فإنه اضطر إلى حضور حفلة عشاء أمس بسبب العمل و... قاطعه "**جورج**" قائلا:

– لا تقل المزيد فإنني فهمت.

– وهو كما تعرف يشكو من داء النقرس.

– إنني أعلم.. إنني أعلم.. كانت أمسية عسيرة بالنسبة إلينا معا يا "**روجرز**" – أعني أنا وهو – ولكنني قررت أن أحمل الناس على الحديث عني في "**راولاند كاسل**".. مهد أسرتي التاريخي.. سيكون لهذه الكلمات أجمل الوقع في الخطب، أليس كذلك؟ برقية لي هناك أو إعلان صغير في جرائد الصباح وأسرع بالعودة خاصة إذا أعدت لي وليمة، والآن إلى "**واترلو**" كما قال "**ويلنجتون**" ليلة المعركة المشهورة.

لم تكن محطة "**واترلو**" في أجمل أوضاعها في ذلك الوقت من بعد الظهر. واكتشف "**راولاند**" أن هناك قطارا ينطلق به إلى وجهته، ولكنه كان قطارا عاديا متواضعا.. قطارا لم يكن أحد ليهتم كثيرا بركوبه. وأخذ السيد "**راولاند**" مقصورة بالدرجة الأولى في أول عربة. وكان الضباب يهبط بصورة غامضة على العاصمة. كان يتبدد ثم لا يلبث أن يهبط من جديد. وكان الرصيف خاليًا ولم يكن يقطع صمت المكان غير صوت القاطرة المتتابع الرتيب. ثم بدأت الأحداث تدور فجأة وبسرعة تثير الحيرة. جاءت أولى هذه الأحداث على صورة فتاة فتحت باب المقصورة بسرعة واندفعت إلى الداخل فانتزعت السيد "**راولاند**" من نعاسه وصاحت تقول:

– أوه.. خبئني.. أوه.. أرجوك.. خبئني. وكان "**جورج**" رجلا سريع التصرف بالفطرة، يبدأ بالعمل ثم يبحث عن الأسباب فيما بعد، ولم يكن هناك من مكان يختبئ به أحد في عربة القطار غير تحت المقاعد، ففي سبع ثوان كانت الفتاة قد اختفت تحت المقعد ووضع "**جورج**" حقيبته الكبيرة أمام المكان الذي اختفت فيه. ولم تمر لحظة على ذلك حتى ظهر بنافذة المقصورة وجه غاضب صاح صاحبه:

– ابنة أخي.. إنها معك.. أريد ابنة أخي. وكان "**جورج**" قد جلس في ركن من المقعد وهو مبهور الأنفاس شيئا ما، وتظاهر بأنه غارق في قراءة عمود الرياضة في جريدة المساء، فألقى بالجريدة إلى جواره وقال بشيء من الضجر كما لو كان الرجل قد قطع عليه حبل أفكاره:

– عفوا يا سيدي؟

– ابنة أخي . . . ماذا فعلت بها؟ وعمل "**جورج**" بالحكمة القائلة: "إن الهجوم خير وسيلة للدفاع"، فقال بعنف وحدة وهو يقلد عمه خير تقليد:

– ماذا تعني بحق الشيطان؟ سكت الآخر وقد أفقده هذا الهجوم النطق لحظة. كان رجلا بدينا، وكان لا يزال يلهث كما لو كان قد قطع شوطا كبيرا وهو يركض. وكان شعر رأسه قصيرا مجعدا، وفوق شفته العليا شارب كث. كانت لهجته خشنة تدل هيئته على أنه يجد راحته أكثر في البذلة العسكرية منها في البذلة العادية، وأحس "**جورج**" بذلك الحذر الغريزي الذي يحس به الإنجليزي حين يجد نفسه أمام رجل أجنبي، ولا سيما إذا كان هذا الأجنبي ألمانيا. وعاد يقول بغضب:

– ماذا تعني بحق الشيطان؟ قال الرجل:

– إنها دخلت هنا وقد رأيتها.. ماذا فعلت بها؟ أبعد "**جورج**" الجريدة عنه وألقى برأسه وكتفيه خارج النافذة وقال:

– هذا هو الأمر إذن؟ تهديد.. ولكنك جانبت الصواب هذه المرة فقد قرأت كل شيء عنك في جريدة "**الديلي ميل**" صباح اليوم.. يا كمساري... ياكمساري... وسمع الموظف النداء فأسرع إلى مصدره. وخاطبه "**راولاند**" بتلك اللهجة التي يعبدها العوام:

– اسمع يا كمساري... إن هذا الرجل يضايقني.. سأشكوه بتهمة التهديد إذا لزم الأمر.. إنه يدعي أنني أخفيت ابنة أخيه هنا، وهناك عصابة تمارس التهديد بهذه الطريقة ويجب إيقافها، فهلا أخذته بعيدا عني.. إليك بطاقتي إذا أردت. نقل الكمساري بصره بين الرجلين ولم يلبث أن استقر رأيه فوراً، فقد علمته التجارب أن يحذر الأجانب ويحترم ويبجل الأشراف الذين يسافرون في الدرجة الأولى، فألقى يده على كتف الدخيل وقال له:

– هيا يا صاحبي... اهبط من القطار. وكان هذا أكثر مما يحتمله الأجنبي فأرسل سيلا من السباب بلغته الأصلية، وقاطعه الكمساري قائلا:

– هذا يكفي... انزل قبل أن يتحرك القطار. وتحركت الأعلام ودوى الصفير ولم يلبث القطار أن انطلق برعشة غير مقصودة خارج المحطة في بطء. وبقي "**جورج**" مكانه حتى غادر القطار الرصيف ثم أدخل رأسه وأخذ الحقيبة فوضعها في الشبكة وقال مطمئنا:

– كل شيء على ما يرام.. يمكنك أن تخرجي الآن. خرجت الفتاة من مخبئها وقالت:

– أوه.. كيف أستطيع أن أفيك حقك من الشكر؟ قال "**جورج**" بغير اكتراث:

– الأمر على ما يرام.. يسرني أنني تمكنت من مساعدتك. قالت الفتاة:

– إنك كنت رائعا حقا.

– أبدا.. كان ذلك أمرا بسيطا.. يسرني أنني استطعت أن أؤدي لك خدمة. عادت تقول بتوكيد:

– كنت رائعا. إن من دواعي سرور المرء حقًّا أن يحدق إلى أجمل فتاة وقعت عليها عيناه وأن تُعَبِّرَ الفتاةُ عن إعجابها به. وقد ابتهج "**جورج**" بإعجابها به أيما ابتهاج، ولكن لم يلبث أن ساد صمت مربك. فقد بدا للفتاة أنه لابد لها من توضيح موقفها فاضطرم وجهها قليلا وقالت بانفعال:

– أبشع ما في الأمر هو أنني أخشى ألا أستطيع تفسير الأمر. ونظرت إليه بشك يرثى له فقال:

– لا تستطيعين؟!

– كلا. قال السيد "**راولاند**" بحماس:

– ما أروع هذا! فتطلعت إليه بعينين تستفسران فقال:

– لقد قلت ما أروع هذا! تماما كما يحدث في الروايات التي تحملك على قضاء الليل في مطالعتها فإن البطلة تقول دائما في الفصل الأول. لا أستطيع أن أوضح الأمر..، وهي تفسر موقفها بالتأكيد في آخر القصة، ويتضح أنه لم يكن هناك سبب يمنعها من أن تفعل ذلك في البداية فيما عدا أن القصة تفقد رونقها وسحرها لو أنها تفعل، ولا أستطيع أن أقول لك كم أنا مسرور لاشتراكي في سر حقيقي.. لم أكن لأدري أن هناك وجودا لمثل هذه الأمور، وأرجو أن يكون متعلقا بمستندات سيرية على جانب كبير من الأهمية أو بقطار "**البلقان**".. إنني شغوف بقطار "**البلقان**". نظرت الفتاة إليه بعينين متسعتين متشككتين وقالت بحدة:

– من الذي حدثك عن قطار "**البلقان**"؟ أسرع "**جورج**" يقول:

– أرجو ألا أكون قد أتيت بحماقة... لعل عمك يركب هذا القطار؟

– عمي؟ وأمسكت ثم عادت تقول:

– عمي؟ وقال "**جورج**" برفق:

– هو ذلك.. إن لي عمًّا أنا الآخر، ولكن المرء غير مسؤول عن عمه، وهذه إحدى مساوي الحياة.. هكذا أنظر إلى الأمر. أخذت الفتاة تضحك فجأة، وعندما تكلمت لحظ "**جورج**" اللكنة الأجنبية الخفيفة التي تشوب لهجتها. كان قد اعتقد لأول وهلة أنها إنجليزية.

– إنك شاب منعش وغريب يا سيد...

– "**راولاند**"... وأصدقائي يدعونني "**جورج**".

– اسمي "**أليزابيث**"... وأمسكت فجأة، فقال "**جورج**":

– حسنا... الآن وقد تعارفنا، فمن الأوفق أن ننتقل إلى الناحية العملية... هلا وقفت يا "**أليزابيث**" لكي أنفض الغبار عن ظهر معطفك؟ وأطاعته فوراً، وقام "**جورج**" بمهمته بعناية كبيرة وقالت حين فرغ:

– شكرا لك يا "**جورج**".

– هذا أفضل. سألته "**أليزابيث**" وهي تحاول أن ترى من فوق كتفها:

– هل أنا على ما يرام الآن؟ قال "**جورج**" وقد استرد لهجته الجادة:

– إنك.. إنك.. على ما يرام. قالت:

– لقد حدث كل شيء بسرعة.

– لا شك في هذا.

– رآنا في سيارة الأجرة ثم في المحطة فأسرعت إلى هذه المقصورة وأنا أعرف أنه في أثري.. وبهذه المناسبة إلى أين يذهب القطار؟ أجاب "**جورج**" بحزم:

– إلى "**راولاند كاسل**". بدت أمارات الحيرة على وجه الفتاة وقالت:

– "**راولاند كاسل**"؟

– ولكنه لا يذهب إليها رأسا على كل حال، وإنما بعد محطات أخرى كثيرة يقف فيها فترات طويلة.. إلا أني أتوقع أن نصل هناك قبل منتصف الليل بكل تأكيد.. إن شركة سكة حديد "**ساوث وسترن**" يُعتمد عليها وإن كانت بطيئة.

– ولكنه لا يذهب إليها رأسا على كل حال. قالت "**أليزابيث**" بلهجة الشك:

– لا أظن أنني أريد أن أذهب إلى "**راولاند كاسل**".

– إنك تجرحين شعوري، فهي مكان جميل.

– هل ذهبت إليها قبل اليوم؟

– ليس تماما. ولكن هناك أماكن أخرى كثيرة يمكنك الذهاب إليها إذا كنت لا تريدين أن تذهبي إلى "**راولاند كاسل**". هناك "**ووكينج**" و "**ديبريدج**" و"**ويمبلدون**"، وأنا واثق بأن القطار سيوقف في كل منها. قالت الفتاة:

– حسنا.. أستطيع أن أهبط في إحداها وأعود إلى "**لندن**" بالحافلة أظن أن هذه أحسن خطة. وبينما هي تتكلم بدا القطار بطيئًا في سيره. ونظر السيد "**راولاند**" إليها بعينين متوسلتين وقال:

– هل يمكنني أن أفعل شيئا من أجلك؟

– كلا حقا.. إنك فعلت الكثير حتى الآن. وساد صمت قطعته الفتاة بأن قالت:

– وددت... وددت لو أستطيع أن أوضح لك... إنني...

– لا تفعلي ذلك بحق السماء، فإنك لو فعلت لأفسدت كل شيء، لكن ألا أستطيع أن أفعل شيئا حقا؟ أن أحمل المستندات السرية إلى "**فيينا**" مثلا.. أو ما أشبه ذلك. إن هناك مستندات سرية دائما.. امنحيني فرصة. وتوقف القطار فوثبت "**أليزابيث**" إلى الرصيف وتحولت إليه وقالت تخاطبه من النافذة:

– هل أنت جاد؟ هل تريد أن تفعل شيئا من أجلي حقًّا؟

– إنني لأقدم على كل شيء من أجلك يا "**أليزابيث**".

– حتى إذا لم أذكر لك الأسباب؟

– وحتى إذا كان هناك خطر؟

– كلما زاد الخطر كان ذلك أفضل. ترددت لحظة كما لو كانت تفكر ثم قالت:

– أخرج رأسك من النافذة وانظر حولك دون أن تظهر أي اهتمام. حاول "**راولاند**" أن يستجيب لهذه النصيحة العسيرة في حين استطردت الفتاة:

– هل ترى هذا الرجل الذي يصعد إلى القطار.. أعني ذا اللحية السوداء الصغيرة والمعطف الفاتح اللون؟ اتبعه وانظر ما الذي يفعله وإلى أين يذهب؟ سألها السيد "**راولاند**":

– أهذا كل شيء؟ ماذا يجب أن... ولكنها قاطعته قائلة:

– سأرسل إليك التعليمات التكميلية فيما بعد.. راقبه واحتفظ بهذا. وألقت

في يده بربطة صغيرة وأردفت:

– احتفظ بها كما تحتفظ بحياتك، فهي مفتاح كل شيء. وانطلق القطار وبقي السيد "**راولاند**" يحملق خارج النافذة ونظر إلى "**أليزابيث**" وهي تشق طريقها بقامتها الفارعة الرشيقة فوق الرصيف. ويده منقبضة على الربطة الصغيرة. وانقضت بقية الرحلة في رقابة ودون أن يقع أي حادث آخر. وكان القطار بطيئا يقف في كل محطة. وكان كلما وقف أسرع فأطل برأسه خوفا من أن يغادره الرجل الملتحي دون أن يراه، وإذا طال انتظار القطار في محطة ما هبط إلى الرصيف ليتأكد أن الرجل مازال في مقعده. وكانت آخر محطة هي "**بورتسمورث**"، وقد هبط فيها ذو اللحية السوداء ومضى رأسا إلى فندق من فنادق الدرجة الثانية واستأجر غرفة فيه. وحذا السيد "**راولاند**" حذوه.

كانت الغرفتان في نفس الدهليز.. باباهما متقابلان. بدا أن الاتفاق مُرضٍ لـ"**جورج**". كان مبتدئا في اقتفاء الأثر ولكنه كان متحمسًا لإجادة القيام بدوره ليبرر الثقة التي وضعتها "**أليزابيث**" فيه. وفي قاعة الطعام وجد الشاب نفسه جالسا غير بعيد عن ذي اللحية. لم تكن قاعة الطعام مزدحمة، وكان أكثر الرواد من التجار المحترفين الهادئين يتناولون طعامهم بشهية مفتوحة. رجل واحد فقط لفت نظره. رجل قصير القامة له شعر أحمر وشارب كشوارب الفرسان بدا أنه مهتم بـ"**جورج**" هو الآخر، واقترح عليه عندما فرغا من الطعام أن يتناولا شرابا وأن يشترك معه في لعب البليارد، ولكن "**جورج**" رأى ذا اللحية يضع قبعته على رأسه ويرتدي معطفه في هذه اللحظة بالذات فرفض بلهجة مهذبة. وما هي إلا دقيقة حتى كان في الشارع يقوم بمطاردته. وكانت مطاردة طويلة مضنية لم تؤد إلى نتيجة في النهاية، بعد أن طاف الرجل بشوارع "**بورتسمورث**" وقطع نحو ستة كيلومترات عاد إلى الفندق و"**جورج**" في أعقابه. وتملك هذا الأخير شك خفيف. هل كان الرجل يعرف أن هناك من يتبعه، وبينما كان واقفا بقاعة الفندق يفكر في هذا الأمر انفتح الباب ودخل منه الرجل ذو الشعر الأحمر. ولم يكن هناك أي شك في أنه هو الآخر كان يقوم بجولة في الخارج. وأدرك "**جورج**" فجأة أن فتاة الاستقبال الجميلة كانت توجه إليه الحديث:

– أنت السيد "**راولاند**"، أليس كذلك؟ أقبل رجلان لرؤيتك، وهما ينتظران

في الغرفة الصغيرة في آخر الطرقة. ومضى "**جورج**" إلى الغرفة المذكورة وهو يشعر بشيء من الدهشة. وكان الرجلان جالسين فنهضا حين رأياه وانحنيا كما لو كانا في احتفال رسمي:

– السيد "**راولاند**"؟ لا شك عندي يا سيدي في أنك تعرف من نحن. نقل "**جورج**" عينيه من أحدهما إلى الآخر. كان الذي تكلم أكبر الرجلين، وهو رجل ذو شعر أبيض جليل الطلعة يتكلم الإنجليزية بلهجة سليمة، أما الآخر فكان طويل القامة، أصغر سنا وبوجهه نمش تبدو عليه سمات الألمان، وهي سمات زادتها حدة وصلابة تلك النظرة العابسة التي ارتسمت على ملامحه في تلك اللحظة. وأحس "**جورج**" بشيء من الارتياح حين تبين أن الرجل العجوز الذي تهجم عليه في محطة "**واترلو**" لم يكن أحدهما، وقال برقة:

– تفضلا بالجلوس.. يسرني أن أتعرف إليكما.. هلا تناولتما شيئا؟ رفع أكبر الرجلين يده محتجا وقال:

– أشكرك يا لورد "**راولاند**".. إننا لا نملك غير بضع لحظات قصار.. ما يكفي لكي ترد على سؤال لنا. قال "**جورج**":

– إنها لمكرمة منك أن ترفعني إلى مصاف النبلاء، ويؤسفني أنكما لا تريدان أن تتناولا أي شراب.. لكن ما هذا السؤال الخطير؟

– إنك غادرت الفندق وبرفقتك سيدة معينة يا لورد "**راولاند**".. ولكنك قدمت هنا وحدك فأين هذه السيدة؟ نهض "**جورج**" على قدميه وقال ببرود وهو يتكلم كما يتكلم بطل إحدى الروايات بقدر ما يستطيع:

– لا أريد أن أفهم سؤالك هذا.. أتمنى لكما ليلة طيبة. صاح الشاب وقد خرج عن هدوئه فجأة:

– بل إنك تفهم سؤالنا هذا إنك تفهمه تماما.. ماذا فعلت بـ "**ألكسا**"؟ تكلم الرجل الآخر فقال:

– تمالك روعك يا سيدي.. أرجو أن تتمالك روعك. قال "**جورج**":

– يمكنني أن أؤكد لكما أنني لا أعرف أية سيدة بهذا الاسم. هناك خطأ ما. حدق الرجل الأكبر سنا إليه بحدة وقال بجفاء:

– ليس هناك خطأ.. إنني سمحت لنفسي بأن أفحص سجل الفندق، وقد

دونت اسـمك على أنك "**جـورج راولاند**" من "**راولاند كـاسل**" . اضطرم وجـه "**جورج**" على الرغم منه وقال بضعف :

– إنها . . إنها دعابة صغيرة من ناحيتي .

– إنها خدعة واهية . . لنكف عن الدوران حول الموضوع . . أين صاحبة السمو؟

– إذا كنت تعني "**أليزابيث**" ؟ اندفع الشاب نحوه في فورة الغضب وهو يقول :

– أيها الكلب الوقح؟ أتتكلم عنها هكذا؟ قال الرجل الآخر ببطء :

– إنني أعني كما تعلم الدوقة "**أناستاسيا صوفيا ألكسندر أماري هيلينا أولجا أليزابيث**" دوقة "**كاتونيا**" . قال السيد "**راولاند**" بيأس :

– أوه! وحاول أن يستعيد إلى ذهنه كل ما يعرفه عن "**كاتونـيا**" ، كانت بقدر ما يعرف مملكة صغيرة تقع في "**البلقان**" ولم يلبث أن تذكر أن ثورة وقعت هناك، وحاول أن يستجمع شتات نفسه فقال بابتهاج :

– من الواضح أننا نتكلم عن نفس الشخص، ولكنني أدعوها "**أليـزابيث**" . صاح الشاب :

– سوف تقدم إليَّ ترضية عن هذه الإهانة . . . سنتقاتل .

– نتقاتل؟!

– سنتبارز . قال "**راولاند**" بعزم :

– إنني لا أتبارز أبدا . فسأله الآخر بصوت بغيض :

– ولِمَ لا؟

– لأنني أخشى أن أصاب بجراح .

– أه . . . أهذا هو السبب؟ سأعرك أنفك على الأقل عقابا لك إذن . وتقدم الشاب نحوه بحدة . أما ما حدث بعد ذلك فقد كان من العسير إدراكه . ولكن الشـاب طار في الهـواء ودار حـول نفسـه نصف دورة ثـم وقع على الأرض بعنف . ووقف على قدميه في ذهول . أما السيد "**جورج راولاند**" فكان لا يزال واقفا مكانه يبتسم برفق . وقال :

– إنني أخشى، كما سبق أن قلت لك، أن أصاب بجراح، ولهذا رأيت أن من الأوفق أن أتعلم المصارعة . وساد صمت ثقيل . ونظر الأجنبيان إلى ذلك الشاب الرقيق بشيء من الشك كما لو كانا قد أدركا فجأة أن خطرا ما يكمن خلف هذه

الرقة وعدم المبالاة التي يتظاهر بها. وكان الشاب الألماني شاحبا لفرط الغضب، وقال:

- سوف تندم على هذا. أما الرجل الآخر، الأكبر سنا، فقد احتفظ بهدوئه وقال:

- أهذه هي كلمتك الأخيرة يا لورد "**راولاند**"؟ هل ترفض أن تقول لنا أين صاحبة السمو؟

- أنا نفسي لا أعرف مكانها يا سيدي.

- لا أظنك تتوقع مني أن أصدق منك هذا القول؟ اكتفى الآخر بأن هز رأسه وتمتم يقول:

- هذه ليست النهاية.. سوف تسمع عنا فيما بعد. ثم غادر الرجلان الغرفة. مر "**جورج**" بيده فوق جبينه. كانت الأحداث تتوالى بسرعة مذهلة. كان من الواضح أنه منخرط في فضيحة أوربية من الدرجة الأولى. وقال بشيء من الأمل وهو يخرج ليرى ما حدث للرجل ذي اللحية السوداء:

"ربما تقع حرب أخرى". وأحس بارتياح كبير حين رآه لا يزال جالسا في ركن من الصالون. وجلس "**جورج**" في الركن المقابل، وبعد نحو ثلاث دقائق نهض ذو اللحية السوداء وصعد إلى غرفته ليأوي إلى فراشه. وتبعه "**جورج**" ورآه يدخل غرفته ويغلق بابها عليه، فتنهد بارتياح وتمتم يحدث نفسه: «إنني أحتاج إلى النوم.. أحتاج إليه بشدة». لكن لم يلبث أن خطرت بباله فكرة رهيبة.. لنفرض أن ذا اللحية السوداء أدرك أن "**جورج**" غارق في نومه؟ وكانت بضع دقائق من التفكير كافية لحل هذه المعضلة؛ ففك أحد جواربه الصوفية وظل يفك الصوف حتى حصل على خيط طويل منه ثم غادر غرفته ومضى إلى غرفة ذي اللحية السوداء فثبت طرف الخيط في بابها بشريط لاصق ثم عاد إلى غرفته وهو يجر الخيط خلفه، وهناك ثبت نهاية الخيط في جرس صغير من الفضة. تذكار من حفلة الأمس، ونظر إلى هذه الاستعدادات بشيء من الارتياح. فما إن يغادر ذو اللحية السوداء غرفته حتى يعرف "**جورج**" ذلك بمجرد أن يسمع رنين الجرس.

وإذ فرغ "**جورج**" من عمله هذا أسرع إلى فراشه فدس الطرد الصغير تحت وسادته، وبينما هو يفعل ذلك غرق في تفكير عميق، وكان في المقدور ترجمة

ما يدور في ذهنه بهذه الكلمات: "**أناستاسيا**"، "**سونيا**"، "**ماريا**"، "**ألكساندرا**"، "**أولجا**"، "**أليزابيث**".. اللعنة..." إنني نسيت اسما من أسمائها... إنني لأعجب الآن.. ولكنه لم يتمكن من النوم فوراً وقد أمضه فشله في إدراك الموقف.. ما هي الحقيقة في كل ذلك؟ وما هي الصلة التي تربط بين "**الدوقة**" الكبيرة الهاربة وبين الربطة المختومة وذي اللحية السوداء؟ ومن أي شيء تهرب "**الدوقة**" الكبيرة، وهل يعلم الأجنبيان أن الربطة الصغيرة معه، وماذا يمكن أن يكون بها؟ وراح يفكر في كل هذه المسائل وهو يحس إحساسا محنقا بأنه بعيد عن الحل، ولم يلبث أن غلبه النوم.

وصحا من نومه على صوت رنين ضعيف، ولم يكن من هؤلاء الرجال الذين إذا استيقظوا بادروا إلى العمل. فقضى دقيقة ونصف قبل أن يدرك الموقف، ثم وثب من فراشه وانتعل خفا وفتح الباب بحذر شديد وخرج من الطرقة، ورأى في نهاية الممر جزءا من خيال عرف فيه الطريق الذي اتخذه طريده، فتقدم في سكون بقدر ما يستطيع وتبعه. ورآه في آخر لحظة وهو يدخل غرفة حمام. وأدهشه ذلك خاصة أن هناك حماما آخر يقع تجاه غرفته بالذات. واقترب "**جورج**" من الباب. وكان مواربا وألقى نظرة من خلال الفتحة فرأى الرجل جاثيا على ركبتيه يعالج شيئا في الحائط خلف البانيو. وبقي مكانه مدة خمس دقائق ثم نهض واقفا فارتد "**جورج**" بحذر وأسرع إلى غرفته، ولم يلبث أن رأى الآخر يعود إلى غرفته بدوره، وقال يحدث نفسه: «حسنا إن سر غرفة الحمام يمكن أن ينتظر حتى أجلوه غدا صباحا».

واستلقى في فراشه ودس يده تحت الوسادة ليتأكد من وجود الطرد الثمين، ولكنه في الدقيقة التالية راح ينتزع الأغطية من فوق الفراش بذعر.. فقد اختفت الربطة. وتناول طعام إفطاره في صباح اليوم التالي بحزن واكتئاب، فقد خذل "**أليزابيث**" وأضاع الربطة الثمينة التي عهدت بها إليه، وأصبح سر غرفة الحمام غير ذي موضوع. نعم... لقد جعل "**جورج**" من نفسه مغفلا ما في ذلك شك. وبعد أن فرغ من طعامه صعد إلى غرفته ثانية. وألفى خادمة تقف بالطرقة وعلى وجهها أمارات الحيرة فسألها برفق:

– ما الخبر؟

– إنه السيد الذي يقيم في هذه الغرفة يا سيدي.. طلب مني أمس أن أوقظه

اليوم في منتصف التاسعة ولكنه لا يرد والباب موصد من الداخل. قال "**جورج**" :

– هكذا.. وداخله إحساس غير مريح فأسرع إلى غرفته، ومهما يكن من أمر نياته في ذلك الوقت فقد طرحها جانبا إزاء المنظر غير المتوقع الذي طالع عينيه، فقد رأى على طاولة الزينة الربطة الصغيرة التي سرقت منه في الليلة الماضية. التقط "**جورج**" الربطة وفحصها. نعم، لم يكن أي شك في أنها نفس الربطة، ولكن أختامها حطمت. وتردد دقيقة ثم خطر له أنه إذا كان أحد قد رأى محتوياتها فليس هناك من سبب لكي يراها هو الآخر، ثم إنه من الجائز أن تكون قد سرقت. وكشفت الورقة عن صندوق صغير من الورق المقوى كتلك الصناديق التي يستخدمها تجار الجواهر. وفتحه "**جورج**" ورأى بداخله، فوق فراش من القطن، دبلة صغيرة من الذهب فأخذها وفحصها بدقة. لم تكن تحمل أية إشارة بداخلها ولا أي شيء يميزها عن غيرها من دبل الزواج. ودفن "**جورج**" رأسه بين يديه وهو يتأوه ويقول:

– هذا جنون... جنون مطبق... إنني لا أفهم شيئا. وتذكر ما قالته له الخادمة فجأة، وفي الوقت نفسه رأى إفريزا عريضا خارج النافذة، وما كان ليخطر له في الوقت العادي أن يفعل ما فعل ولكن الغضب والفضول كانا قد استبدا به، فما هي إلا لحظات حتى كان واقفا بنافذة الغرفة التي نزل بها ذو اللحية السوداء ينظر بداخلها. وكانت النافذة مفتوحة والغرفة شاغرة، وعلى مقربة من سلم الحريق، كان واضحا أن الرجل قد هرب. وتخطى "**جورج**" النافذة ووثب منها إلى الداخل، وكانت حقائب الرجل ما زالت موجودة وملابسه مبعثرة في أرجاء الغرفة، ورأى أنه قد يجد فيها مفتاحا يلقي الضوء على هذه الألغاز ويبدد حيرته. وبدأ يفحص محتويات حقيبة صغيرة حين سمع حركة خافتة تحدث في الغرفة ولم يكن بها أحد غيره، ووقعت عيناه على دولاب كبير فأسرع إليه وفتح بابه. وما كاد يفعل حتى وثب منه رجل لم يلبث أن وجد نفسه بين ذراعي "**جورج**". ولم يكن هناك أي شك في أنه غريم له. وفشلت كل الخدع التي يعرفها "**جورج**" للتغلب على خصمه ولم يلبث أن اعتراه وهن شديد، ورأى لأول مرة من هو خصمه.. كان هو الرجل القصير ذو الشارب الأحمر، وسأله "**جورج**" :

– من أنت بحق السماء؟ وردًا على سؤاله أخرج الرجل بطاقة من جيبه أعطاها

لـ"**جورج**" فقرأ هذا بصوت مسموع:

– المفتش "**جارولد**" بـ "**اسكتلانديارد**" . فقال المفتش:

– هو ذلك يا سيدي، ومن الخير لك أن تذكر لي كل ما تعرفه عن هذه القضية. قال "**جورج**" بتفكير:

– من الخير لي؟ هل تعرف أيها المفتش أنك على حق؟ لكن أليس من الأفضل أن ننتقل إلى مكان أفضل؟ وفي مكان هادئ أمام البار أفضى "**جورج**" بمكنون قلبه وأصغى إليه المفتش "**جارولد**" برقة ثم قال حين فرغ "**جورج**" من حديثه:

– هذه قصة مذهلة.. هناك نقاط كثيرة مازالت غامضة عليَّ، لكن هناك نقطتين أستطيع أن أجلوهما لك.. كنت أقتفي أثر "**ماردنبرج**"، وهو الرجل ذو اللحية السوداء، ثم رأيتك تتدخل وتتبعه أنت الآخر فاشتبهت فيك، ولم أدرك دورك بالتدقيق فانتهزت فرصة غيابك في الليلة الماضية وتسللت إلى غرفتك وأخذت الربطة الصغيرة التي كنت تخفيها تحت وسادتك، وعندما فتحتها ورأيت أنها لا تحتوي على ما أبحث عنه، انتهزت أول فرصة وأعدتها إلى غرفتك من جديد. قال "**جورج**" مفكرا:

– هذا يوضح الأمر بعض الشيء. ويبدو أنني تصرفت تصرفا أحمق.

– ليس هذا رأيي يا سيدي.. إنك أحسنت التصرف جيدا.. تقول إنك فحصت الحمام لترى ما أخفاه الرجل فيه؟ قال "**جورج**" باكتئاب:

– نعم، ولكنه لم يكن أكثر من رسالة حب عادية، وقد خجلت لذلك، فما كنت أريد أن أتدخل في حياة ذلك الرجل المسكين.

– هلا أريتني إياها يا سيدي؟ وأخرج "**جورج**" رسالة مطوية من جيبه وناولها للمفتش ففضها هذا الأخير ثم قال:

– الأمر كما تقول يا سيدي، لكن إذا وضعت خطًّا تحت الكلمات التي تبدأ وتنتهي بحرف الياء فستصل إلى نتيجة أخرى... على كلٌ باركك الله يا سيدي. هذه خريطة لاستحكامات مدينة "**بورتسماوث**" .

– ماذا؟!

– نعم، وقد كنا نراقب هذا الرجل منذ وقت طويل، ولكنه كان أذكى منا.. استخدم امرأة لكي تقوم بالعمل القذر. قال "**جورج**" بصوت ضعيف:

– امرأة؟! ما اسمها؟

– إن لها أسماء كثيرة يا سيدي ولكنها معروفة باسم "**بيتي**" ذات العينين البراقتين. وهي فتاة جميلة جدا. قال "**جورج**":

– شكرا لك أيها المفتش.

– معذرة يا سيدي، ولكنك لست على ما يرام.

– هو ذلك.. إنني مريض جدا، وأظن أن من الخير لي أن أعود إلى "**لندن**" بأول قطار. نظر المفتش إلى ساعته وقال:

– أخشى أن يكون قطارا بطيئا جدا يا سيدي، والأوفق أن تنتظر القطار السريع. قال "**جورج**" باكتئاب:

– ليس لهذا أية أهمية، فلا يمكن أن يكون هناك قطار أبطأ من الذي أتيت به أمس.

وجلس مرة أخرى في مقصورة بالدرجة الأولى وأخذ يطالع أنباء اليوم على مهل. وفجأة اعتدل في جلسته وحدق إلى الجريدة التي في يده: "تم أمس في "**لندن**" زواج رومانتيكي بين اللورد "**راولاند جيج**" الابن الثاني للمركيز "**إكسمنستر**" والدوقة الكبيرة "**أناستاسيا**" دوقة "**كاتونيا**". وكان الاحتفال سريا وكانت "**الدوقة**" الكبيرة تقيم في "**باريس**" مع عمها منذ أن وقعت الثورة في "**كاتونيا**"، وقد التقت باللورد "**راولاند**" حين كان يعمل سكرتيرا بالسفارة الإنجليزية في "**كاتونيا**" وترجع علاقتهما إلى ذلك الوقت".

– حسنا.. إنني... ولكن "**جورج**" لم يستطع أن يهتدي إلى تعبير يعبر به عن مشاعره. واستطرد يحدق إلى الفضاء. ووقف القطار في محطة صغيرة وركبت به فتاة جلست أمامه وهي تقول برقة:

– صباح الخير يا "**جورج**". فهتف:

– رُحماك يالله.. "**أليزابيث**"! ابتسمت له وكانت أجمل من أي وقت مضى. وأمسك "**جورج**" رأسه بيديه وقال:

– يا إلهي... أخبريني بالله.. هل أنت دوقة "**أناستاسيا**" الكبيرة أم "**بيتي**" ذات العينين البراقتين؟ حدقت إليه وأجابت:

– لا هذه ولا تلك.. أستطيع أن أحدثك عن كل شيء الآن.. فإنني أدين لك

بالاعتذار.. كان "**راولاند**"، وأعني به أخي يحب "**ألكسا**".

– تعنين "**الدوقة**" الكبيرة؟

– نعم، هذا هو الاسم الذي تدعوها به أسرتها.. كما قلت كان "**راولاند**" يحبها. وكانت هي الأخرى تحبه. ثم جاءت الثورة. وكانت "**ألكسا**" في "**باريس**". وكانا ينويان إعلان خطبتهما حين جاء العجوز "**ستورم**" رئيس الوزراء وأصر على أن تذهب "**ألكسا**" معه لكي يزوجها بابن عمها الأمير "**كارل**"، وهو شاب بغيض وجهه مملوء بالبثور. قال "**جورج**":

– أظن أنني التقيت به.

– وكانت تمقته، ولكن عمها الأمير "**أزريك**" منعها من رؤية "**راولاند**"، ولهذا هربت إلى "**لندن**"، ومضيت أنا إلى المدينة والتقيت بها وأبرقنا إلى "**راولاند**"، وكان في "**اسكتلندا**"، وفجأة، وفي نفس الدقيقة التي ركبنا فيها السيارة الأجرة لنذهب بها إلى مكتب التسجيل التقينا بسيارة أجرة أخرى كان يركبها الأمير "**أزريك**"، فتبعنا فوراً بالتأكيد، وأغلق علينا ولم ندر ماذا نفعل، فهو لن يتقبل الأمر الواقع ولا سيما أنه هو الوصي عليها. وخطرت لي فكرة نيرة، وهي أن تأخذ كل منا مكان الأخرى خاصة أنه لا يمكن أن تفرق بيننا إلا بالتحديق إلى ملامحنا؛ ولهذا وضعت قبعة "**ألكسا**" فوق رأسي وأخذت معطفها، ولبست هي قبعتي الرمادية ثم طلبنا من السائق أن يمضي بنا إلى محطة "**واترلو**"، وهناك خرجت مسرعة واندفعت داخل المحطة وأسرع العجوز "**أزريك**" خلف القبعة الحمراء دون أن يهتم بالفتاة الأخرى التي بقيت بالسيارة الأجرة، وحمدت الله على أنه لم ير وجهي، وهكذا اقتحمت مقصورتك وألقيت بنفسي بين يديك. قال "**جورج**":

– أعرف كل هذا.. ولكن الباقي...

– إنما ذكرت لك ذلك لكي أبدي لك عذري، وأرجو ألا تحقد عليَّ. ولكنك واجهت الأمر كما لو كان سرا غامضا بمثل ما تطالع في الكتب بحيث لم أستطع مقاومة الإغراء، واخترت على الرصيف أبغض رجل وقعت عليه عيناي وطلبت منك أن تتبعه ثم عهدت إليك بالربطة الصغيرة.

– ولم تكن تحتوي على شيء غير دبلة خطبة..

– هو ذلك.. وكنت قد اشتريتها أنا و "**ألكسا**"؛ لأننا كنا نتوقع أن يصل

"**راولاند**" من "**اسكتلندا**" في آخر لحظة، وأدركت بالتأكيد أنني حين أصل إلى "**لندن**" لن يحتاجا إليها وأنهما لا ريب استعارا حلقة من حلقات ستارة إحدى النوافذ. قال "**جورج**" :

– آه. إن الأمور تبدو سهلة بسيطة حين نعرفها. اسمحي لي يا "**أليزابيث**" . ونضا القفاز عن يدها اليسرى وتنهد بارتياح كبير حين رأى أصبعها الثالث عاريا وقال:

– هذا حسن.. لن تضيع هذه الدبلة على كل حال. صاحت "**أليزابيث**" :

– أوه.. ولكنني لا أعرف عنك شيئا. أجاب "**جورج**" :

– تعرفين أنني وسيم، وبهذه المناسبة، تأكد لي الآن أنك أنت الليدي "**أليزابيث جيج**" بالتأكيد.

– أوه يا "**جورج**" .. هل أنت من هؤلاء المصابين بداء العظمة؟

– هو ذلك.. وكذلك عمي الذي أقصاني عنه.. إنه مصاب بداء العظمة بصورة مريعة، وعندما يعلم أنني سأتزوجك وأنه ستنضم إلى أسرتنا امرأة من النبلاء فسيتخذني شريكا فوراً.

– أوه يا "**جورج**" ... أهو ثري جدا؟

– "**أليزابيث**" .. هل أنت طماعة؟

– جدا.. إنني أحب إنفاق المال حبا جمًّا، ولكنني كنت أفكر في أبي.. إن له خمس بنات كلهن يتمتعن بالجمال والنبل. وهو يحن إلى صهر غني. قال "**جورج**" :

– أوه، سيكون زواجا تباركه السماء وتستصوبه الأرض. هل نقيم في "**راولاند كاسل**" ... سينتخبونني عمدة لهم دون شك حين يرونك زوجة لي... أوه ياحبيبتي "**أليزابيث**" ... إن في هذا مخالفة كبيرة لقوانين ونظم السكة الحديدية دون شك لكنني سأقبلك على الرغم من ذلك.

*****

شجاعة "إدوارد روبنسون"

أهم الشخصيات

- "**إدوارد روبنسون**" : كاتب حسابات في مؤسسة تجارية.
- "**مود**" : وقعت في حب "**إدوارد**"، وتزوجها.
- "**أجنس لاريللا**" : صاحبة المجوهرات، تعرضت للسرقة.
- الليدي "**نورين أليوت**" : سيدة مشهورة بجمالها.
- "**جيرالد شامبينيز**" : من أفراد العصابة.
- "**جيمي**" : من أفراد عصابة السرقة.

وبحركة من ذراعيه القويتين رفعها "**بيل**" عن الأرض وضمها إلى صدره فتنهدت تنهيدة عميقة وأسلمته شفتيها في قبلة لم يحلم بمثلها قط.

تنهد "**إدوارد روبنسون**" وهو يلقي من يده كتاب "عندما يكون الحب ملكا". وينظر من نافذة المترو. كان القطار يمر خلال "**ستامفورد بروك**"، وكان "**إدوارد روبنسون**" يفكر في "**بيل**". كان "**بيل**" مثال الرجل الكامل المحبوب من السيدات اللاتي يقرأ عنهن في الكتب. وكان "**إدوارد**" يحسده على عضلاته ووسامته وغرامياته الرائعة. والتقط الكتاب ثانية وراح يقرأ أوصاف "**ماركيزا بيانكا**" المتعجرفة "تلك التي أسلمت شفتيها". كان جمالها خلابا وفتنتها أخاذة ساحرة إلى درجة أن أشد الرجال قوة كانوا يتهافتون عند قدميها كالدمى لا يملكون أنفسهم من العشق والحب. قال "**إدوارد**" يحدث نفسه:

"هذا كله بالتأكيد هراء... لا وجود له إلا في الكتب، ومع ذلك فإنني أتساءل..." وبدت عيناه حزينتين، هل هناك في الوجود مثل هذه الدنيا من الخيال والمغامرة؟ دنيا فيها نساء يتفجرن سحرا وفتنة وحب جياش يلتهم المرء كالنار؟ وقال:

- إن هذه هي الحياة الحقة. صفوة القول.. رأى "**إدوارد**" أنه لابد أن يعتبر نفسه رجلا سعيدا، فإنه يشغل وظيفة طيبة... كاتب حسابات في مؤسسة تجارية مزدهرة. وكان يتمتع بصحة جيدة، ثم إنه لم يكن مسؤولا عن أحد، وفوق ذلك كله كان مخطوب الود. ولكن مجرد تفكيره في "**مود**" جعله يتجهم، فهو وإن لم يشأ أن يسلم بذلك أبدا إلا أنه كان يهاب "**مود**" ويعمل لها ألف حساب... كان يحبها... نعم... وأنه لايزال يتذكر تلك الرعشة التي سرت في بدنه لمجرد رؤيته قفاها الأبيض العاجي في أول مرة التقى بها. كان قد جلس خلفها في السينما، وكان الصديق الذي يجلس معه يعرفها فقدم كل منهما إلى الآخر. ولم يكن هناك شك في أن "**مود**" كانت فتاة ممتازة جدا.. كانت جميلة وذكية تمتلئ بالأنوثة، وكانت على حق دائما في كل شيء. كانت من تلك الفتيات اللاتي اصطلح الجميع على أنها ستكون سيدة بيت ممتازة.

وتساءل "**إدوارد**".. هل يمكن لتلك الفتاة المدعوة "**ماركيزا بيانكا**" أن تكون سيدة بيت ممتازة؟ كان يشك في ذلك، فهو لم يستطع أن يتصور "**بيانكا**" الشهوانية بشفتيها الحمراوين وجسدها المتمايل ترفو جوارب "**بيل**" الذي يتدفق رجولة.. كلا.. إن "**بيانكا**" إنما ابتدعها خيال كاتب، أما هو فيواجه الحقيقة، وسيكون هو و "**مود**" سعيدين جدا معا، ثم إنها على جانب كبير من الحصافة والبداهة. ولكنه مع ذلك كان يتمنى لو أنها لم تكن على مثل هذه الطباع الحادة، وألا تكون ميالة إلى انتقاده بمثل هذه الثورة. كان حرصها وحصافتها هما اللذان يدفعانها إلى ذلك، فقد كانت حساسة جدا، وكقاعدة عامة كان حساسا هو الآخر "لكن أحيانا" أراد أن يتم الزواج في عيد الميلاد مثلا، ولكن "**مود**" قالت إنهما إذا انتظرا سنة أو سنتين فإن ذلك يكون أدعى إلى الحرص، فإن مرتبه لم يكن كبيرا، وقد أراد أن يقدم إليها خاتما ثمينا، ولكنها ملئت فزعا وأرغمته على أن يعيد الخاتم إلى صاحبه وأن يستبدل به آخر أرخص منه. كانت مزاياها كلها ممتازة ولكن "**إدوارد**" كان يتمنى أحيانا لو أن عيوبها كانت أكثر من فضائلها؛ فإن هذه الفضائل هي التي جرته إلى أعمال شاذة... مثال ذلك...

احمر وجهه إقرارا بالذنب. كان يجب أن يقول لها دون تأخير؛ فإن سره الإجرامي جعله يتصرف بطريقة غريبة. وكان اليوم التالي هو أول ثلاثة أيام من

إجازة رسمية، وقد اقترحت عليه أن يأتي لزيارتها وأن يقضي اليوم مع أهلها، ولكنه بطريقة جنونية خرقاء - لابد من أنها أثارت شكوكها- تهرب من هذه الدعوة وذكر لها قصة طويلة، قصة كلها أكاذيب عن رجل قدم من قريته ووعده أن يقضي اليوم معه.

ولم يكن له أي صديق في الريف وإنما هو سره الإجرامي الذي دفعه إلى أن يقول ذلك، فمنذ ثلاثة أشهر اشترك "**إدوارد روبنسون**" مع مئات من غيره من الشبان في مسابقة أقامتها إحدى المجلات الأسبوعية كان قوامها ترتيب اثني عشر اسما من أسماء الفتيات طبقا لشعبيتها. وقد خطرت لـ "**إدوارد**" فكرة نيرة، فقد علمته تجاربه فساد رأيه وبعده عن الصواب. وقد لحظ ذلك في مناسبات عديدة مشابهة، فرتب الاثنى عشر اسما طبقا لرأيه الشخصي ثم عاد فكتبها من جديد بترتيب آخر بأن بدأها بوضع الاسم الأول ثم أعقبه بالاسم الأخير، وهكذا حتى انتهى من كتابة الأسماء الاثني عشر كلها. وعندما أعلنت النتيجة اتضح أن "**إدوارد**" حصل على ثماني نقط فقط من الاثنتي عشرة نقطة، وكسب الجائزة الأولى وقدرها خمسمائة جنيه. وكان من الممكن أن ينسب المرء هذه النتيجة بسهولة إلى الحظ، إلا أن "**إدوارد**" أصر على أن يقنع نفسه بأنها ترجع إلى نجاح طريقته. وكان فخورا بنفسه لذلك.

وكان الشيء التالي هو ماذا يفعل بالخمسمائة جنيه؟ كان يعرف تماما ماذا ستقول "**مود**" له. ستنصحه باستثمارها لكي تكون خميرة طيبة تنفع في المستقبل، وستكون "**مود**" على حق، تماما كما يعرف. لكن لكونه كسب هذا المال في مسابقة جعله يشعر بشعور يخالف كل شعور آخر في العالم، فقد كان كالطفل الذي يحصل على عشرين فرنكا ويحلو له أن ينفقها عن آخرها على ما يريد ويشتهي، ولو أنه ورث هذا المال بطريقة شرعية لاستثمره في شراء سندات من القرض الوطني أو شهادات استثمار بالتأكيد. ولكن هذا المال جاءه نتيجة لجرة قلم، ونتيجة لحظ سعيد لم يكن متوقعا.

وكان يمر كل يوم وهو في طريقه إلى عمله بمحل كبير كان يضم "موضوع حلمه العجيب" وهو عبارة عن سيارة صغيرة ذات مقعدين لها مقدمة طويلة براقة، وكان

الثمن موضوعا عليها في مكان ظاهر (465 جنيها)، وكان لا يفتأ ينظر إليها يوما بعد يوم وهو يقول:

– لو كنت ثريا لاشتريتك. وقد أصبح ثريا الآن وإذا لم يكن ثريا بمعنى الكلمة. فهو يملك الآن مبلغا من المال يسمح له بتحقيق حلمه، فإن هذه السيارة... هذه السيارة الجميلة البراقة يمكن أن تصبح ملكه لو أنه دفع ثمنها. وكان قد خطر له أن يتكلم عن الجائزة لـ "**مود**"، ولو أنه حدثها عنها لضمن ابتعاده عن مواطن الغواية. فإنه أمام فزع "**مود**" ورفضها ما كانت لتواتيه الجرأة على الاستمرار في جنونه. ولكن اتفق أن "**مود**" نفسها هي التي تسببت في أن يتخذ قراره. فقد أخذها إلى السينما، وإلى أحسن مقاعدها ولكنها أبدت له بعزم ورفق جنون تصرفه. قائلة:

– إضاعة مبلغ طيب من النقود: ثلاثة شلنات وستة بنسات بدلا من شلنين وأربعة بنسات. وقابل "**إدوارد**" هذا اللوم بصمت حرون. وأحست "**مود**" بالارتياح والسرور وهي ترى أن كلماتها أحدثت التأثير المطلوب، فما كانت لترضى أن يستمر "**إدوارد**" في تصرفاته الغريبة.. كانت تحبه ولكنها أدركت أنه ضعيف الإرادة وأن واجبها أن تقوّم هذه الناحية فيه، ولاحظت خضوعه بارتياح. وكان "**إدوارد**" قد أبدى خضوعا واستسلاما لملاحظاتها في الواقع، ولكن نيته استقرت في هذه اللحظة بالذات على أن يشتري السيارة. وقال يحدث نفسه:

"اللعنة... سأفعل ما أريد ولو مرة واحدة في العمر... ويمكن لـ "**مود**" أن تذهب إلى المعرض الكبير ذي "الفترينات" البلورية الفخمة والأبواب المكسوة بالمعدن البراق"، وبقرار أثار دهشته هو نفسه اشترى السيارة، ورأى أن شراء سيارة إنما هو أبسط شيء في العالم. وكانت السيارة قد أصبحت ملكه منذ أربعة أيام، عاشها في هدوء ظاهر لكنه كان يسبح في بحر من النشوة، ولم يذكر كلمة واحدة عنها لـ "**مود**".. أربعة أيام تعلَّم فيها القيادة في أوقات الفراغ، وكان تلميذا ممتازا. وفي اليوم التالي، وكان أول أيام عيد الميلاد، أراد أن يمضي بها إلى الريف، وكان قد كذب على "**مود**"، وأنه لعلى أتم الاستعداد لأن يكذب عليها مرة أخرى إذا كان لابد من ذلك. كان عبدا للسيارة الجديدة قلبا وقالبا. كانت بالنسبة إليه الخيال والمغامرة وكل الأشياء التي طالما اشتاق إليها، والتي لم يمكنه الحصول عليها قط.

غدا سيمضي هو وسيدته في عرض الطريق معا، وسينطلقان عبر الهواء.. الهواء البارد والحار.. تاركا جلبة المدينة وضوضاءها إلى حيث الفضاء الفسيح المديد. كان "**إدوارد**" في هذه اللحظة بالذات على وشك أن يغدو شاعرا دون أن يدري... غدا... ألقى نظرة أخرى إلى الكتاب الذي كان في يده "عندما يكون الحب ملكا" وضحك ودسه في درج السيارة... السيارة، وشفتا "**ماركيزا بيانكا**" الحمراوان، وبسالة "**بيل**" الفائقة المدهشة.. كل هذا بدا ممتزجا بعضه ببعض.. غدا.. وكان الجو الذي خيب ظن الجميع جميلا في نظر "**إدوارد**"، فقد منحه يوما من أيام أحلامه... يوم صقيع بارد وسماء زرقاء شاحبة وشمسا صفراء فاتحة اللون. وانطلق خارج "**لندن**" وقد تملكته روح المغامرة وشقاوة شيطانية. وصادفته بعض المتاعب في "**هايدبارك كورنر**"، وحادث متعب في "**بوتني بريدج**" وأصوات أبواق غاضبة وفرامل مزعجة، وبعض عبارات السباب من سائقي السيارات الأخرى. ولكنه على العموم أحسن التصرف بصفته سائقا جديدا، ولم يلبث أن بلغ أحد الشوارع الكبيرة العريضة التي يفرح بها سائقو السيارات. وكانت حركة المرور ضعيفة في ذلك اليوم، وأخذ "**إدوارد**" يقود السيارة ويشق بها الهواء بسرور وتيه رب من أرباب الأساطير.

كان يوما مشحونا بالانفعال. وتوقف لتناول الغداء في مطعم صغير، ثم توقف بعد ذلك في مكان آخر لتناول الشاي ثم أخذ طريق العودة على مضض.. العودة إلى "**لندن**" وإلى "**مود**" إلى التفسيرات التي لابد منها وما يصحبها من توبيخ وتعنيف. وطرح عن نفسه هذا الخاطر وهو يتنهد، لندع الغد لما يأتي به، فهو لايزال يعيش في يومه. فليس هناك سحر أحسن ولا أفضل مما هو يعيش فيه... الانطلاق عبر الظلام ونور المصابيح الأمامية ينير له الطريق.. إن هذا وحده لأفضل شيء مر به. ورأى أنه ليس لديه أي وقت يتوقف لتناول العشاء؛ فإن القيادة عبر الظلام كانت عملا دقيقا، ثم إن العودة إلى "**لندن**" ستتطلب وقتا أطول مما كان يعتقد. وكانت الساعة قد تجاوزت الثامنة حين مر في طريقه بـ "**هندهيد**" وعرج منها إلى "**ديفيل بانش بول**"، وكان ضوء القمر يملأ المكان، وكان الثلج الذي ظل يتساقط في خلال اليومين الماضيين لا يزال مكانه لم يذب. وأوقف السيارة ووقف يتأمل المنظر الذي أمامه. ماذا يكون لو أنه لم يعد إلى "**لندن**" قبل منتصف الليل؟ بل ماذا يكون لو أنه لم يعد مطلقاً. إنه لن ينتزع نفسه من هذا المنظر الجميل.

وخرج من السيارة واقترب من حافة الطريق. كان هناك طريق مغر يمتد أمامه، واستسلم "**إدوارد**" للإغراء فقضى النصف الساعة التالية وهو يتجول بسرور في عالم من الثلج، لم يتصور في حياته قط شيئا كهذا.. وكان هذا عالمه.. عالمه هو.. منحته إياه "عشيقته" التي تنتظره بإخلاص في قمة الطريق. وعاد من حيث أتى وجلس في السيارة وانطلق وهو لا يزال نشوان بعض الشيء من اكتشاف هذا الجمال التام الذي لا يصادف الرجل العادي إلا مرة بين حين وآخر.

ثم تنهد ورفع يده إلى درج السيارة حيث وضع به كوفية في وقت مبكر من الصباح، ولكنه لم يجد الكوفية، فقد كان الدرج فارغا. كلا، لم يكن فارغا تماما. كان هناك شيء شائك وصلب. دفع "**إدوارد**" يده أكثر من قبل. وبعد لحظة كان يحملق كالمعتوه. كان الشيء الذي يمسك به في يده ويتدلى بين أصابعه وضوء القمر يلقي مئات الانعكاسات عليه.. كان عقدا من الألماس. وراح "**إدوارد**" يحملق ويحملق. لكن لم يكن هناك شك ممكن.. كان في درج السيارة عقد من الألماس يساوي بضعة آلاف من الجنيهات دون شك، فقد كانت الأحجار كبيرة الحجم.

ولكن مَن الذي وضعه في درج السيارة.. إنه لم يكن بالسيارة بكل تأكيد حين انطلق بها من المدينة. لابد من أن بعضهم قد وضعه في هذا المكان وهو يتجول في الثلج؟ ولكن لماذا؟ ولماذا اختار سيارته بالذات؟ وهل أخطأ صاحب العقد؟ أو هل تراه.. هل يمكن أن يكون عقدا مسروقا؟ وفجأة وبينما كل هذه الأفكار تدور في ذهنه توترت أعصابه وسرت البرودة في عطفيه. ذلك أن السيارة لم تكن سيارته. كانت أشبه بها، لها نفس اللون الأحمر القرمزي.. كانت حمراء كشفتي "**ماركيزا بيانكا**"، ولها نفس المقدمة الطويلة البراقة، ولكن "**إدوارد**" أدرك من آلاف الأشياء الصغيرة التافهة أنها ليست سيارته فهي لم تكن جديدة بمعنى الكلمة.. كان بها خدوش هنا وهناك، وكانت كل الدلائل تشير إلى أنها استخدمت كثيرا قبل اليوم، في حين أن سيارته كانت جديدة كل الجدة.. وما دام الأمر كذلك...

ودون أن يفكر أكثر أسرع "**إدوارد**" لكي يدير السيارة. ولم يكن هذا بالعمل السهل بالنسبة إليه، فحين أراد أن يرتد إلى الوراء أدار عجلة القيادة بطريقة غير سليمة وكذلك اختلط عليه الأمر بين الفرامل ودوَّاسة السرعة، وكان لذلك نتيجة

مشؤومة ولكنه أفلح أخيرا، وانطلقت السيارة فوق التل من جديد. وتذكر "**إدوارد**" أنه كانت هناك سيارة أخرى تقف على مسافة غير بعيدة. ولم يلحظها بصفة خاصة في ذلك الوقت. كان قد عاد من تجواله من طريق آخر غير الطريق الذي أخذه في الهبوط. وقاده هذا الطريق نحو سيارته فوراً، كما خيل إليه، ولم يكن هناك شك الآن في أن تلك السيارة لم تكن سيارته، وأنه لم يعد إلى نفس المكان الذي تركها فيه.

وفي أقل من عشر دقائق كان قد بلغ من جديد المكان الذي سبق أن توقف فيه. ولكنه لم ير عندئذ أية سيارة في الطريق، ومهما يكن من أمر فإن صاحب السيارة التي يركبها الآن لابد من أنه قد أخطأ بدوره وأخذ السيارة الأخرى على أنها سيارته. أخرج "**إدوارد**" العقد الألماسي وراح يقلبه بين أصابعه بشيء من الحيرة. ماذا يفعل الآن؟ هل يسرع إلى أقرب نقطة للشرطة ويشرح لهم الظروف التي مرت به ويقدم إليهم العقد ويذكر لهم رقم سيارته هو بالذات؟

لكن ما هو رقم سيارته بهذه المناسبة؟ فكر "**إدوارد**" وفكر، ولكنه لم يستطع أن يتذكر، وأحس بقشعريرة تسري في جسده، سيعتقد رجال الشرطة أنه أكبر مغفل في الدنيا. فكل ما يذكره أن رقمه يضم عدد 8 ولم يكن لهذا أية أهمية بالتأكيد. ونظر إلى العقد بغير ارتياح. لنفرض أنهم قد يشتبهون فيه. أوه... إنهم لا يستطيعون ذلك بالتأكيد... لكن قد يشتبهون فيه. وقد يخطر لهم أنه سرق العقد لأنه على كل حال، وبعد إمعان الروية والتفكير، لا يعقل أن يلقي أحدهم بعقد من الألماس في درج سيارته.

وخرج من السيارة ومضى إلى اللوحة المعدنية وكانت تحمل رقم 10061 رس. كان الرقم غريبا وعندئذ خطر له أن يفتش كل أدراج السيارة. وفي الدرج الذي كان فيه العقد وجد ورقة مطوية تحمل بضعة أسطر مكتوبة بالقلم الرصاص قرأها على ضوء مصباحيه الأماميين وكان هذا نصها: "قابلني في "**جرين**" على ناصية "**سالتر**" في الساعة العاشرة".

تذكر اسم "**جرين**".. قرأه فوق إحدى علامات الطريق صباح اليوم. ولم تمر به دقيقة حتى استقر عزمه. سيذهب إلى قرية "**جرين**" ويبحث عن شارع "**سالتر**" ويلتقي بكاتب الرسالة ويشرح له الظروف، سيكون هذا أفضل من أن يبدو مغفلا

في أعين رجال الشرطة.

وانطلق في طريقه سعيدا بعض الشيء. مهما يكن من أمر فإن هذه مغامرة. كان هذا شيئا من تلك الأشياء التي لا تقع كل يوم؛ حيث جعله العقد الألماسي يبدو مثيرا وغامضا. ووجد صعوبة ما في العثور على "**جرين**" وصعوبة في الاهتداء إلى شارع "**سالتر**"، لكن بعد أن سأل عن الطريق مرتين أفلح في مسعاه. ومع ذلك فقد تجاوزت العاشرة ببضع دقائق حين تقدم بحذر في طريق ضيق وهو ينظر إلى اليسار كما قيل له عند ناصية شارع "**سالتر**". وبلغ الناصية، وفجأة، وبينما هو يتقدم منها ظهر شخص في الظلام وسمع فتاة تقول:

– أخيرا. إنك تأخرت كثيرا يا "**جيرالد**". وبرزت الفتاة وهي تتكلم أمام نور المصباحين وانبهرت أنفاس "**إدوارد**". كانت أجمل مخلوقة وقعت عليها عيناه. كانت في عنفوان الصبا، سوداء الشعر كالليل، ولها شفتان حمراوان قرمزيتان، ترتدي معطفا ثقيلا مفتوحا. ورأى "**إدوارد**" أنها ترتدي ثياب السهرة. ثوب بلون اللهب كان يبرز مفاتن جسدها وحول عنقها عقد من اللؤلؤ الثمين. وهتفت الفتاة تقول فجأة:

– ولكنك لست "**جيرالد**". وأسرع "**إدوارد**" يقول:

– كلا يجب أن أوضح لك الأمر. وأخرج العقد الألماسي وناولها إياه وهو يقول:

– إن اسمي "**إدوارد**".. ولم يزد، فإن الفتاة صفقت بيديها وقاطعته قائلة:

– "**إدوارد**"..؟ بالتأكيد إنني مسرورة جدا. ولكن الغبي "**جيمي**" كلمني بالتليفون وقال لي إنه سيرسل "**جيرالد**" بالسيارة، وجميل منك أن تحضر فقد كنت أتوق إلى رؤيتك. تذكر أنني لم أرك منذ أن كنت في السادسة من عمري.. أرى أنك أحضرت العقد معك. ضعه في جيبك ثانية فقد يأتي شرطي القرية ويراه.. إن الطقس شديد البرودة.. دعني أدخل. فتح "**إدوارد**" الباب كما لو كان في حلم، وجلست الفتاة ولمس معطفها وجنته ودخلت خياشيمه رائحة كرائحة الياسمين. لم تكن لديه أية خطة، ولم يكن قد استقر على شيء. وفي أقل من دقيقة استسلم للمغامرة بمحض إرادته. كانت قد دعته باسم "**إدوارد**" فماذا لو جاراها وتظاهر بأنه هو "**إدوارد**" المقصود. سوف تكتشف خطأها على كل حال، ولكنه سيمضي في اللعبة في أثناء ذلك. سيقحم نفسه في المغامرة وليكن

ما يكون. وضحكت الفتاة، وكانت ضحكتها جميلة ساحرة وقالت:

– من السهل أن نرى أنك لست بطلا في القيادة.. أظنك لم تكن لتقود سيارات هناك؟ وقال "**إدوارد**" يحدث نفسه: "هناك؟ أين؟"، ثم أردف يقول بصوت مسموع:

– ليس كثيرا. قالت:

– أفضل أن تدعني أقود. ليس من السهل القيادة في مثل هذه الطرقات الملتوية قبل أن نصل إلى الطريق العام. تخلى لها عن مقعده فوراً، وسرعان ما انطلقا في جوف الليل بسرعة وتهور أخافتا "**إدوارد**" وحولت رأسها إليه وقالت:

– إنني أحب السرعة.. أفلا تحبها أنت؟ أرى أنك لا تشبه "**جيرالد**". لا يمكن أن يحسبكما من يراكما أنكما أخوان، لا تبدو أبدا كما كنت أتصور. قال "**إدوارد**":

– أظن أنني رجل عادي جدا، أليس كذلك؟

– لست رجلا عاديا... دائما أنت رجل مختلف.. لا أستطيع أن أصفك.. لكن كيف حال "**جيمي**" العجوز؟ لا ريب في أنه متبرم. قال "**إدوارد**":

– أوه.. إن "**جيمي**" على ما يرام.

– من السهل أن تقول عنه ذلك، لكن من حظه السيئ أن التوت ساقه. هل ذكر لك القصة كلها؟

– لم يذكر لي كلمة واحدة.. إنني لا أعلم شيئا مطلقًا وأود لو تطلعينني على كل شيء.

– أوه، حدث كل شيء كالحلم، فقد دخل "**جيمي**" من الباب العمومي وهو متنكر في زي فتاة، ومنحته أنا دقيقة أو دقيقتين ثم دخلت من النافذة. وكانت خادمة "**أجنس لاريللا**" ترتب ثياب سيدتها ومجوهراتها، ثم ارتفعت صيحة من الدور الأرضي لم تلبث أن أعقبتها صيحات أخرى وصاح الجميع النار.. النار.. واندفعت الخادمة إلى الخارج لكي ترى ما يحدث، ولم أكن لأنتظر منها غير هذا فأخذت العقد الألماسي وأسرعت بالخروج من الباب الخلفي بـ "**بانش بول**". ووضعت العقد والورقة المكتوبة التي كتبت فيها مكان الموعد في درج السيارة ثم لحقت بـ "**لويز**" في الفندق بعد أن خلعت الحذاء الثلجي بالتأكيد. وهذا دليل

رائع فلم تشك في أنني خرجت.

– وماذا حدث لـ "**جيمي**"؟

– حسنا.. إنك تعرف أكثر مني في هذه الناحية. قال "**إدوارد**" ببساطة:

– إنه لم يذكر لي شيئا.

– حسنا.. في أثناء الهرج والمرج اللذين صاحبا الصياح تعثرت قدمه في ثوبه فالتوت ساقه. واضطروا إلى حمله إلى السيارة، ومضى به سائق "**لاريللا**" إلى بيته. وتصور ما كان يمكن أن يكون لو أن السائق دس يده في درج السيارة. ضحك "**إدوارد**" معها. بدأ يفهم الموقف الآن تقريبا. وكان اسم "**لاريللا**" مألوفا إليه بعض الشيء. أدرك أن هذه الفتاة ورجلا مجهولا اسمه "**جيمي**" تآمرا معا لسرقة العقد وأفلحا في ذلك. وبسبب ساقه الملتوية ووجود سائق "**لاريللا**" لم يستطع "**جيمي**" أن يتحقق مما في درج السيارة قبل أن يتكلم مع شريكته بالتليفون. ولكنه كان واثقا بأن الرجل المجهول الآخر المعروف باسم "**جيرالد**" سيفعل ذلك في أول فرصة، وسيجد في الدرج عندئذ كوفية "**إدوارد**". قالت الفتاة:

– هذه هي القصة. ومر ترام وتجاوزهما. كانا قد بلغا ضواحي "**لندن**" وشقًّا طريقهما بين السيارات الأخرى. وركض قلب "**إدوارد**" بين ضلوعه. كانت الفتاة بارعة في القيادة. ولكنها كانت تجازف كثيرا. وبعد ربع ساعة وقفت الفتاة بالسيارة أمام بيت مهيب في ميدان عادي وقالت:

– بمقدورنا أن نستبدل بعض ثيابنا هنا قبل أن نذهب إلى "**ريتسون**". سألها "**إدوارد**":

– نادي "**ريتسون**"؟ ونطق باسم النادي الليلي المشهور بشيء من الاحترام:

– نعم ألم يذكر لك "**جيرالد**" ذلك؟ أجاب الشاب مكتئبا:

– كلا. عبست وقالت:

– ألم يذكروا لك أي شيء؟ سنزودك بما تريد، فلابد من أن نمضي إلى النهاية. وفتح لهما الباب رئيس خدم مهيب ووقف جانبا ليفسح لهما الطريق وقال:

– تكلم السيد "**جيرالد شامبينيز**" بالتليفون يا سيدتي، وكان يريد أن يتحدث معك في أمر عاجل ولكنه لم يشأ أن يترك رسالة ما. قال "**إدوارد**" يحدث نفسه:

"إنني أفهم السبب في أنه يريد أن يتصل بها لأمر عاجل، ومهما يكن من أمر فإنني أعرف الآن اسمي بالكامل. "**إدوارد شامبينيز**" .. لكن من هي؟ إن رئيس الخدم يخاطبها بصاحبة العصمة.. ما حاجتها إذن إلى أن تسرق عقدا؟ أيكون ذلك بسبب دين قمار؟" . كانت البطلة الجميلة صاحبة الألقاب الفخمة في الروايات التي يقرؤها تتكالب عليها الديون بسبب البريدج.

قاد رئيس الخدم المهيب "**إدوارد**" إلى الداخل وتركه بين يدي وصيف رقيق الحاشية، وبعد ربع ساعة لحق الشاب بمضيفته في البهو وهو يرتدي ثيابا أنيقة بدت كأنها صنعت له خصوصا. يالله.. يا لها من سهرة! انطلقا بالسيارة إلى نادي "**ريتسون**" المشهور. وكان "**إدوارد**" قد قرأ ككثيرين غيره المقالات الفاضحة الخاصة بنادي "**ريتسون**"، فقد كان ملتقى الطبقات النبيلة، وكان الشيء الوحيد الذي يخشاه هو أن يلتقي هناك بشخص من معارف "**إدوارد شامبينيز**" الحقيقي، ولكنه لم يلبث أن طمأن نفسه؛ لأن الرجل أقام خارج "**إنجلترا**" سنوات طويلة. وجلسا أمام مائدة بجوار الحائط وأخذا يرشفان كؤوس الكوكتيل.. كؤوسا كثيرة بدت لـ "**إدوارد**" عنوان البذخ والترف. وكانت الفتاة ترتشف الشراب بغير مبالاة وقد ألقت حول كتفيها شالا مطرزا. وفجأة طرحت الشال عن كتفيها ونهضت واقفة وهي تقول:

- لنرقص. كان الرقص هو الشيء الوحيد الذي يجيده "**إدوارد**". وحين كان يرقص هو و "**مود**" في صالة الرقص كان يثير إعجاب الجميع. قالت الفتاة فجأة:

- أوه... كدت أنسى... أين العقد؟ وبسطت يدها إليه. وأخرجه "**إدوارد**" من جيبه وهو بادي الارتباك وأعطاه إياها. وما كانت أشد دهشته حين وضعته حول جيدها بكل هدوء، ثم ابتسمت له ابتسامة ساحرة وقالت برفق:

- لنرقص الآن. ورقصا. ولم يسبق أن شهد رواد نادي "**ريتسون**" رقصا كرقصهما. وعادا أخيرا إلى مائدتهما، وبينما هما في طريقهما إليها دنا منهما رجل كهل توحي هيئته بالمجون والخلاعة وقال يخاطبها:

- آه.. ليدي "**نورين**".. دائما ترقصين؟ نعم، نعم. هل النقيب "**فوليوت**" هنا الليلة؟

- لا.. إن "**جيمي**" التوت ساقه.

– أهذا صحيح؟ وكيف حدث هذا؟

– لا أعرف التفاصيل بعد. وضحكت وتجاوزته. وتبعها "**إدوارد**" وعقله في دوامة، فقد عرف الآن ما خفي عليه... الليدي "**نورين أليوت**"... الليدي "**نورين**" المشهورة... حديث "**إنجلترا**" كلها... التي اشتهرت بجمالها وجرأتها وزعيمة ذلك الفريق المعروف باسم "**الشباب المرح**" وقد أعلنت خطبتها للنقيب "**جيمس فوليوت**" الضابط بسلاح الفرسان.. لكن.. العقد؟ إنه لم يفهم دوره بعد. يجب أن يجازف بكل شيء الآن لكي يعرف، وبينما هما يجلسان بدأ يقول:

– لكن لماذا فعلت هذا يا "**نورين**"؟ حدثيني. ابتسمت حالمة، وعيناها بعيدتان.. كان سحر الرقص لا يزال مستوليا عليها. وقالت:

– من العسير عليك أن تفهم بالتأكيد... إن المرء يمل ويسأم نفس الشيء.. دائما نفس الشيء... كان الجري وراء الكنز لا بأس به لفترة من الوقت. ولكن المرء يبحث عن كل جديد... وخطر لي أن نمارس السرقة.. وجعلت رسم الاشتراك خمسين جنيها، على أن يكون الأمر "قرعة" بيننا... وهذه هي السرقة الثالثة. وقد اقترعت أنا و "**جيمي**" على "**أجنس لاريللا**".. لكن هل تعرف القاعدة؟ يجب أن تقع السرقة في خلال ثلاثة أيام وأن نظهر بالشيء المسروق في مكان عام لمدة لا تقل عن ساعة وإلا فقدنا الرهان وتعين علينا أن ندفع غرامة قدرها مائة جنيه، وقد كان سوء حظ "**جيمي**" أن التوت ساقه ولكننا سنكسب على الرغم من ذلك. قال "**إدوارد**" وهو يأخذ نفسا عميقا:

– إنني فهمت. نهضت "**لورين**" فجأة وألقت الشال حول كتفيها وهي تقول:

– اذهب بي إلى أي مكان بالسيارة... إلى الميناء أو إلى أي مكان آخر بشع ومثير.. انتظر لحظة. ورفعت يدها ونزعت العقد من حول عنقها وقالت:

– من الخير أن تأخذه ثانية، فلا أريد أن يتسبب في قتلي. وخرجا من نادي "**ريتسون**" معا، وكانت السيارة تنتظر في شارع صغير ضيق ومظلم، وبينما هما ينعطفان نحوها أقبلت سيارة أخرى من المنحنى، وهبط منها شاب وقال:

– الحمد لله.. إنني عثرت عليك أخيرا.. يا للشيطان.. إن هذا الحمار "**جيمي**" انطلق بسيارة أخرى غير سيارته والله وحده يعرف أين العقد الألماسي

الآن. إننا في ورطة ما بعدها ورطة. حدقت الليدي "**نورين**" إليه وقالت:

– ماذا تعني؟ إن العقد الألماسي معنا... إنه مع "**إدوارد**" على الأقل.

– "**إدوارد**"؟!

– نعم. وأتت بحركة خفيفة لكي تشير إلى الرجل الواقف بجوارها. وقال "**إدوارد**" يحدث نفسه:

"أنا الذي في ورطة ما بعدها ورطة.. أراهن على أن هذا هو الأخ "**جيرالد**"".

حدق الشاب وقال ببطء:

– ماذا تعنين؟ إن "**إدوارد**" في "**اسكتلندا**". صاحت الفتاة:

– أوه! وتحولت إلى "**إدوارد**" وعادت تقول:

– أوه! وغاض لونها وقالت بصوت خافت:

– إذن فأنت لص حقا. وما هي إلا دقيقة حتى أدرك "**إدوارد**" الموقف. بدا الرعب في عيني الفتاة، وكان رعبا ممزوجا بالإعجاب، فهل يفسر لها الأمر.. كلا... إنه لن يفعل. سيمضي في اللعبة حتى النهاية، وانحنى برقة واحترام وقال وهو يقلد قطاع الطرق بقدر المستطاع:

– يجب أن أشكرك يا ليدي "**نورين**" على هذه الليلة الرائعة. وبنظرة سريعة رأى أن السيارة التي هبط منها الآخر مضاءة. كانت قرمزية اللون... إنها سيارته هو. وأردف قائلاً:

– أتمنى لك ليلة طيبة. وبوثبة واحدة كان داخل السيارة وقدمه على دَوَّاسة السرعة. وانطلقت السيارة ووقف "**جيرالد**" مكانه مصعوقا، لكن الفتاة كانت أسرع منه، فما كادت السيارة تتحرك حتى وثبت إلى سلمها. وانحرفت السيارة عن طريقها، واندفعت نحو الناصية ثم توقفت السيارة و "**نورين**" لا تزال متشبثة بنافذة السيارة، وبسطت يدها مبهورة الأنفاس قائلة:

– يجب أن تعطيني إياه.. أوه، لابد من ذلك، لابد لي من أن أعيده إلى "**أجنس لاريللا**".. كن رياضيا... إننا قضينا ليلة طيبة معا... رقصنا... وكنا صديقين... ألا تعطيني إياه؟ لي أنا؟ حقًّا إنها امرأة ساحرة تفتن لبك بجمالها... هناك إذن نساء من هذا النوع، ثم إن "**إدوارد**" كان مشوقا إلى أن يتخلص من العقد، وقد واتته فرصة من السماء لكي يأتي بعمل كريم، فأخذ العقد من جيبه

وألقاه في اليد المبسوطة وهو يقول:

- لقد كنا... صديقين.

- آه. ومضت العينان الجميلتان، وما كانت أشد دهشته حين حنت "**نورين**" رأسها نحوه وأطبقت بشفتيها على شفتيه ثم وثبت إلى الأرض. انطلقت السيارة الحمراء فجأة. في حالة من الخيال! والمغامرة! وفي ظهر اليوم التالي، وكان يوم عيد الميلاد، دخل "**إدوارد روبنسون**" غرفة الاستقبال ببيت كائن في "**كلافام**" وهو يقول:

- عيد ميلاد سعيد. وكانت "**مود**" تنسق عودا من نبات الآس فحيته ببرود وقالت:

- هل قضيت يوما طيبا في الريف مع صديقك؟ ولكن "**إدوارد**" قال:

- أصغي إليَّ. كانت أكذوبة ألقيتها عليك.. إنني اشتركت في مسابقة وكسبت "500 جنيه" واشتريت سيارة بالمبلغ، ولم أحدثك بذلك لأنني كنت أعرف أنك ستتشاجرين معي بسبب ذلك. وهذا أول شيء. إنني اشتريت السيارة ولا يمكن الرجوع في ذلك، وإليك الشيء الثاني.. إنني لن أنتظر سنوات.. إن إمكانياتي كافية جدا وأريد أن نتزوج الشهر المقبل، فما رأيك؟ قالت "**مود**" بضعف:

- أوه. أتراها تحلم؟ أهذا هو "**إدوارد**" الذي يتكلم كالسيد؟ وعاد "**إدوارد**" يقول:

- ما رأيك؟ نعم أم لا. حدقت إليه مسحورة، وارتسم في عينيها رعب يشوبه الإعجاب وفتنته ابتسامتها فقد اختفى منها ذلك الحنان الأموي الذي طالما أغضبه وأحنقه. هكذا نظرت إليه الليدي "**نورين**" في الليلة الماضية، ولكن الليدي "**نورين**" ارتدت بعيدا.. ارتدت إلى عالم الخيال، جنبا إلى جنب مع "**ماركيزا بيانكا**". أما الآن فهو يعيش في الواقع. كانت هذه فتاته هو، وعاد يقول وهو يقترب منها خطوة:

- نعم أم لا. تمتمت "**مود**" بضعف:

- نعم... نعم... ولكن... أوه، "**إدوارد**"... ماذا حدث لك؟ إنك تغيرت اليوم كثيرا. أجاب:

– نعم. كنت، لمدة أربع وعشرين ساعة، رجلا جديرا بهذه الصفة لا شخصا ضعيفا جديرا بالازدراء. وأخذها بين ذراعيه، تقريبا، مثلما فعل "**بيل**" السوبرمان. وقال:

– هل تحبينني يا "**مود**"؟ قولي... هل تحبينني؟ فتأوهت قائلة:

– أوه يا "**إدوارد**"... إنني أحبك.

*****

حادث

أهم الشخصيات

- السيدة "**مرجريت ميرودين**" : متهمة بقتل زوجها السابق "**أنتوني**" .
- السيد "**جورج ميرودين**" : رجل ثري تزوج بـ"**مرجريت**" .
- "**إيفانس**" : مفتش سابق بإدارة "**اسكتلانديارد**" .
- النقيب "**هايدوك**" : صديق قديم للمفتش "**إيفانس**" .

– وإنني أقول لك هذا... إنها المرأة نفسها... ليس هناك أي شك في هذا. نظر النقيب "**هايدوك**" إلى وجه صديقه المتوتر والمتحمس وتنهد. وود لو يكون "**إيفانس**" أقل إيجابية وابتهاجا، ففي أثناء السنوات الطويلة التي قضاها في رحلاته عبر البحار تعلم ألا يهتم إلا بما يعنيه من الأمور. أما صديقه "**إيفانس**"، المفتش السابق بإدارة "**اسكتلانديارد**"، فقد كانت له فلسفة أخرى في الحياة وهي "التصرف طبقا للمعلومات الصادرة". كانت هذه الكلمات هي شعاره منذ أن بدأ حياته، وقد استغل هذا الشعار إلى حد أنه كان يجمع معلوماته بنفسه. وكان المفتش "**إيفانس**" رجلا ذكيا نبيها وقد استحق الترقية التي حصل عليها عن جدارة. وحتى الآن، وبعد أن اعتزل الخدمة وانتقل إلى الريف للإقامة في الكوخ الذي كان يحلم به فقد كانت غريزته المهنية لا تزال مفعمة بالنشاط، وكان لا يفتأ يقول بإصرار:

– إنني لا أنسى أبدا وجها أراه.. إنها السيدة "**أنتوني**"... نعم، السيدة "**أنتوني**" دون شك.. حين قلت أنت إنها السيدة "**ميرودين**" عرفتها فوراً. تحرك النقيب "**هايدوك**" في مقعده على مضض. كان آل "**ميرودين**" جيرانه الأقربين،

بعد "**إيفانس**" نفسه. وقد عرف هذا الأخير في السيدة "**ميرودين**" بطلة سابقة لقضية مشهورة، وأزعجه هذا أيما إزعاج، وقال "**هايدوك**" بشيء من الضعف:

– إنها قصة قديمة جدا. قال "**إيفانس**" بدقة كعادته:

– تسع سنوات... تسع سنوات وثلاثة أشهر.. هل تذكر القضية؟

– لا أذكرها بوضوح. قال "**إيفانس**":

– اتضح أن "**أنتوني**" كان يتناول الزرنيخ من وقت إلى آخر، ولهذا برأتها المحكمة.

– حسنا.. ولماذا لا تبرئها؟

– ليس هناك سبب.. كان هذا هو الحكم الوحيد الذي كان لابد من صدوره، وهو حكم سليم تماما. قال "**هايدوك**":

– الأمر على ما يرام إذن، ولا أرى سببا لانزعاجك.

– إنني لست منزعجا.

– حسبتك كذلك.

– أبدا. قال "**النقيب**" يحسم الأمر:

– هذه مسألة مفروغ منها إذن.. إذا كان سوء الحظ قد حالف السيدة "**ميرودين**" مرة واتهمت بجريمة القتل وبرأت المحكمة ساحتها... قال "**إيفانس**" مقاطعا:

– إن البراءة لا تعتبر سوء حظ أبدا. قال النقيب "**هايدوك**" محنقا:

– إنك تعرف ما أعنيه.. إذا كانت السيدة المسكينة قد مرت بهذه المحنة القاسية فليس من شأننا أن نعيدها إلى الأذهان من جديد. لم يُجب "**إيفانس**" فأردف "**النقيب**":

– مهما يكن من أمر فقد كانت هذه السيدة بريئة، وأنت بنفسك قلت ذلك.

– لم أقل إنها كانت بريئة إنما قلت إن المحكمة برأتها.

– إنه نفس المعنى.

– ليس تماما. وكان النقيب "**هايدوك**" قد بدأ يفرغ غليونه وهو يضربه بخفة فوق مسند مقعده، فأمسك عن ذلك، واعتدل في جلسته بانفعال شديد وقال:

– حسنًا... حسنًا... هذا هو الأمر إذن، أليس كذلك؟ هل تظن أنها ليست بريئة؟

– لم أقل هذا وإنما لا أدري... كان من عادة "**أنتوني**" تناول كميات من الزرنيخ. وكانت زوجته تشتريه له، وفي ذات يوم أخطأ وتناول كمية أكبر من المعتاد، فهل كان الخطأ خطأه أم خطأ زوجته؟ لا يمكن لأحد أن يجزم بذلك، وقد برأها المحلفون لعدم وجود الأدلة الكافية لإدانتها، وهذا صحيح، ولا أجد خطأ في حكمهم هذا، لكنني مع ذلك وددت لو أعرف. نقل النقيب "**هايدوك**" اهتمامه إلى غليونه مرة أخرى وقال بارتياح:

– حسنا.. ليس هذا من شأننا.

– لست متأكداً من ذلك.

– لكن لا شك في...

– أصغ إليّ دقيقة واحدة... إن هذا المدعو "**ميرودين**"، بينما كان يملأ قواريره التي يقوم فيها بتجاربه في تلك الليلة... هل تذكر؟

– نعم. إنه تكلم عن اختبار "**مارش**" للزرنيخ وقال إنك لابد أن تعرف كل شيء عنه... وضحك وقال إن هذا يدخل في نطاق عملك، وما كان ليقول ذلك لو أنه فكر لمجرد لحظة واحدة... قاطعه "**إيفانس**" قائلا:

– تقول إنه ما كان ليقول ذلك لو أنه كان يعلم... منذ متى وهما متزوجان؟ أتقول منذ ستة أشهر؟ أراهنك على أي شيء بأنه ليست لديه أية فكرة عن أن زوجته هي السيدة "**أنتوني**" المشهورة. قال النقيب "**هايدوك**" بجفاء:

– ولن يعرف ذلك مني بكل تأكيد. لم يعره "**إيفانس**" أي اهتمام واستطرد يقول:

– إنك قاطعتني منذ لحظة... بعد أن تكلم "**ميرودين**" عن اختبار "**مارش**" وضع مادة في قارورة وسخنها وأذاب المعدن المتخلف منها في الماء ثم رسبه بأن أضاف إليه نترات الفضة. وكانت تلك تجربة خاصة بالكلورات، وهي تجربة دقيقة بسيطة، ولكن اتفق أن قرأت الكلمات التالية في كتاب مفتوح فوق المائدة هـ 2 ب س 1 يفسد الكلورات ويحولها إلى جـ ل 214. وإذا تعرض هذا الأخير للحرارة يحدث انفجار شديد. ولهذا يجب أن يحفظ الخليط في مكان بارد وأن يستخدم بكميات صغيرة جداً. حدق "**هايدوك**" إلى صديقه وقال:

– حسنا... ما معنى كل هذا؟

– معنى هذا أننا نحن أيضا نقوم بالتجارب في مهمتنا... تجارب للقتل العمد، فنجمع الحقائق بعضها فوق بعض، ونوازن بينها ونحلل ما يتخلف منها بعد أن ندخل في حسابنا تحيزات الشهود وكذبهم، لكن هناك اختبارا آخر للقتل العمد، وهو اختبار دقيق ولكنه شديد الخطورة، يتلخص في أن القاتل نادرا ما يقنع بارتكاب جريمة قتل واحدة.. أعطه الوقت والافتقار إلى الشك فيرتكب جريمة أخرى، وإذا ألقيت القبض على رجل بتهمة قتل زوجته ولم تتأكد إذا كان قتل زوجته حقا أم لا... بل من الجائز أن تكون التهمة غير ثابتة ضده فيكفيك أن تفتش في ماضيه. فإذا اكتشفت أنه تزوج مرارا وأن كل زوجاته لقين حتفهن بطريقة... ماذا أقول؟ بطريقة غريبة فإنك ستعلم عندئذ... ولعلك تدرك أنني لا أتكلم بطريقة قانونية وإنما أتكلم عن يقين محتمل؟ وإذا ما علمنا أمكننا أن نمضي قدما ونبحث عن الأدلة.

– حسنا؟

– سأصل إلى هذه النقطة.. إن الأمر يكون على ما يرام لو أننا اكتشفنا ماضيا للمتهم.. لكن لنفرض أنك ألقيت القبض على قاتل بعد ارتكابه أول جريمة قتل له... لن تكون لتجربتك هذه أية نتيجة عندئذ.. لكننا لو افترضنا أن المحكمة قد برأت هذا القاتل، وأن هذا الأخير بدأ حياته باسم آخر، فهل يعيد ارتكاب جريمته أم لا؟

– هذه فكرة بشعة.

– أما زلت تقول إن هذا ليس من شأننا؟

– نعم. إنني مازلت أقول ذلك، فما من سبب يحملك على أن تعتقد أن السيدة "**ميرودين**" امرأة غير بريئة تماما. سكت المفتش السابق لحظة ثم قال ببطء:

– قلت لك إننا بحثنا في ماضيها ولم نجد شيئا وليس هذا صحيحا.. كانت تعيش مع زوج أمها، وقد أحبت شابا وهي في الثامنة عشرة من عمرها، ولكن زوج أمها استغل سلطته ليفرق بينهما، وقامت بعد ذلك بجولة مع زوج أمها بجوار جرف شديد الخطر ووقع حادث في أثناء ذلك، فقد اقترب زوج الأم من حافة الجرف بأكثر من اللازم وزلت قدمه فهوى من ارتفاع شاهق ودق عنقه.

– لا أخالك تظن...

– كان حادثا... حادثا... وكمية الزرنيخ التي تجاوزت الحد والتي تناولها "**أنتوني**" كانت حادثا هي الأخرى، وما كانت لتُقَدَّم للمحاكمة مطلقًا لو لم يسفر التحقيق عن وجود رجل آخر في حياتها. وقد بادر بالفرار بهذه المناسبة، وبدا كأن قرار المحلفين لم يعجبه.. إنني أقول لك يا "**هايدوك**" إنه حيث تكون هذه المرأة فإنني أخشى أن يقع حادث آخر. هز القبطان العجوز كتفيه وقال:

– لقد انقضت على هذه القضية تسع سنوات، فلماذا يكون هناك حادث آخر الآن كما تقول؟

– لم أقل الآن، وإنما قلت ذات يوم... إذا ظهر سبب قوي. هز النقيب "**هايدوك**" كتفيه وقال:

– حسنا. إنني لأتساءل كيف تتصرف لتتحاشى ذلك؟ قال "**إيفانس**" باكتئاب:

– وكذلك أنا. قال النقيب "**هايدوك**":

– لو أنني مكانك لنفضت يدي من هذه المسألة، فلا خير للمرء في التدخل في شؤون غيره. ولكن هذا الرأي لم يعجب المفتش السابق، فقد كان رجلا صبورا عنيدا، واستأذن صديقه في الانصراف وأخذ طريقه إلى القرية وهو يرسم في ذهنه احتمالات خطة ناجحة. وعرج على مكتب البريد لشراء بعض الطوابع، وهناك التقى بموضوع اهتمامه، ونعني به "**جورج ميرودين**". كان أستاذ الكيمياء السابق رجلا قصير القامة له هيئة حالمة، وكان رقيق الطباع شارد الذهن تماما. وعرف المفتش وحياه بمودة وانحنى لكي يلتقط الرسائل التي أفلتت منه فوق الأرض. وتوقف "**إيفانس**" هو الآخر، وكان أسرع منه فالتقط الرسائل وناوله إياها وهو يعتذر. وبينما هو يفعل ألقى نظرة إليها فوقعت عيناه على الرسالة التي في القمة، وما كاد يفعل حتى استيقظت شكوكه من جديد، فقد كانت تحمل عنوان شركة كبيرة من شركات التأمين. واستقر رأيه فوراً، ولم يدر "**جورج ميرودين**" الساذج كيف وجد نفسه يسير جنبا إلى جنب مع المفتش السابق في أثناء عودتهما إلى القرية، كما أنه لم يدر كيف تحول الحديث إلى التأمين على الحياة. ولم يجد "**إيفانس**" أية صعوبة في الوصول إلى غرضه فإن "**ميرودين**" ذكر له بمحض إرادته كيف عقد وثيقة تأمين على حياته لصالح زوجته. وسأل "**إيفانس**" عن رأيه في

الشركة التي عقد وثيقة التامين فيها وقال:

- إنني قمت ببعض الاستثمارات الطائشة، وكان من نتيجتها أن قل دخلي بحيث إذا وقع لي شيء فستجد زوجتي نفسها في موقف عسير.

- ولكن هذه الوثيقة تسوي الأمور. أجابه "**ميرودين**" وهو يبتسم:

- أوه... إن "**مرجريت**" عملية جدًّا ولا تتشاءم من أي شيء، والواقع أنني أظن أن هذه الفكرة فكرتها هي، فلم يعجبها أن أنزعج بسببها. وهكذا عرف "**إيفانس**" ما يريد من المعلومات. وغادر "**ميرودين**" بعد قليل متجهم الأسارير، فإن السيد "**أنتوني**" الفقيد كان قد أمن على حياته لصالح زوجته قبل موته ببضعة أسابيع. وكان بحكم تعوده الركون إلى غريزته واثقا بأمره. ولكنه لم يدر كيف يتصرف فهو لم يكن يريد أن يلقي القبض على قاتله في حالة تلبس، ولكنه كان يريد الحيلولة بين وقوع جريمة قتل، ولم يكن هذا بالعمل اليسير. وقضى طوال اليوم وهو يفكر. وأقيم بعد ظهر اليوم احتفال بمناسبة عيد الربيع في الميدان الرئيسي للقرية، فمضى إليه واشترك في الألعاب وأعمال الرماية وهو شارد الذهن، بل إنه أنفق نصف جنيه في خيمة "**زارا**" قارئة البخت. ولم يسعه إلا أن يبتسم وهو يقدم على ذلك حين تذكر نشاطه السابق في أيامه الرسمية ضد قارئات البخت. ولم يلق اهتمامًا كبيرا لما كانت تقوله له ولكنه سرعان ما تنبه من شروده حين سمعها تقول وهي تختتم حديثها:

- وفي وقت قصير... بل قصير جدًّا في الواقع ستتورط في مسألة حياة أو موت، حياة أو موت إنسان. فسألها فورًا:

- إيه... ماذا تقولين؟!

- سيتعين عليك أن تتخذ قرارا... نعم.. ويجب أن تكون حريصا جدًّا فإنك إذا أخطأت، ولو خطأ بسيطا جدًّا...

- نعم؟ ارتعشت قارئة البخت. وكان المفتش "**إيفانس**" يعرف أن كل هذا هراء ولكنه تأثر مع ذلك. وعادت المرأة تقول:

- إنني أحذرك. يجب ألا ترتكب خطأ ما... إذا أخطأت فإنني أرى النتيجة أمامي واضحة... سيموت بعضهم.

كان هذا غريبا... وغريبا جدًّا أن تنطق بمثل هذا القول في مثل هذا الوقت

بالذات. وسألها يريد أن يتأكد مما سمع:

– هل تعنين أنني إذا أخطأت فسيتسبب هذا الخطأ في موت أحد؟ هذا ما تعنين؟

– نعم. قال "**إيفانس**" وهو ينهض على قدميه ويعطيها نصف جنيه:

– يجب أن أبتعد عن الخطإ إذن. وكان قد نطق بهذا القول باستخفاف ولكنه ما إن غادر الخيمة حتى بان العزم في توتر فكه الأسفل. فالكلام سهل ميسور لكن العمل صعب ومتعذر. يجب ألا يخطئ فإن الحياة البشرية لها أهميتها. ولم يكن هناك من يستطيع مساعدته. ونظر إلى صديقه "**هايدوك**" وكان واقفا على بعد منه. ولكنه لم يستطع أن ينتظر منه عونا أو مساعدة فقد سبق أن قال له: "ليس هذا من شأننا". وكان "**هايدوك**" واقفا يتحدث مع امرأة. وفارقته هذه الأخيرة وأقبلت صوب "**إيفانس**". وعرفها المفتش، كانت هي السيدة "**ميرودين**". ولم يشعر إلا وهو يعترض طريقها. وكانت السيدة "**ميرودين**" امرأة جميلة لها جبين عريض وعينان سمراوان جميلتان جداً ونظرة هادئة. كانت تبدو كما لو كانت "**مادونا**" إيطالية يزيد في حلاوتها طريقتها في تصفيف شعرها، فهي تفرقه في نصف رأسها وتعقده عند أذنيها. وكان صوتها عميقا هادئا. وابتسمت له ابتسامة كلها ترحيب ورضا ولكنه قال لها بغير تكلف:

– خيل إليَّ أنني عرفتك يا سيدة "**أنتوني**".. أعني السيدة "**ميرودين**". ونطق بقوله هذا متعمدا وهو يراقبها خلسة دون أن يبدو عليه ذلك. ورأى عينيها تتسعان وسمع تسارع أنفاسها لكن عينيها احتفظتا بهدوئهما، وحدقت إليه بحدة وكبرياء وأسرعت تقول:

– كنت أبحث عن زوجي.. ألم تره؟

– كان في ذلك المكان منذ لحظة. ومشيا جنبا إلى جنب في طريقهما إلى المكان الذي أشار إليه وهما يتبادلان الحديث بهدوء ومرح. وأحس المفتش بإعجابه بها يزداد. فيا لها من امرأة. كل هذا الاعتداد بالنفس، وكل هذا الاتزان. يا لها من امرأة رائعة حقا وشديدة الخطر كذلك. كان متأكدا من هذه النقطة الأخيرة. متأكدا أنها شديدة الخطر. وكان لا يزال يشعر بالقلق على الرغم من ارتياحه لخطوته الأولية، فقد جعلها تدرك أنه عرفها، وسيحدوها هذا إلى أن تتوخى الحذر، ولن تجرؤ على القيام بأي شيء. لكن كانت هناك مسألة "**ميرودين**" نفسه، فلو أنه

استطاع أن يحذره. ووجدا الرجل القصير الشارد يتطلع إلى عروسة صينية ربحها في اليانصيب. واقترحت عليه زوجته أن يعودا إلى البيت فوافق فوراً. وتحولت السيدة "**ميرودين**" إلى المفتش وقالت:

- هلا أتيت معنا لتناول قدح من الشاي يا سيد "**إيفانس**"؟ وخيل إليه في لهجتها رنة من التحدي فأجاب:

- شكرا لك يا سيدة "**ميرودين**"... يسرني ذلك بكل سرور. ومضى الجميع وهم يتبادلون الحديث في أشياء عادية ظريفة، وكانت الشمس ساطعة والنسيم جميلا عاديا. كان كل شيء حولهم جميلا عاديا. وقالت السيدة "**ميرودين**" وهي تدخل الكوخ الجميل الذي تقيم فيه:

- إن الخادمة تقضي وقتها في الخارج لمشاهدة الاحتفال. ومضت إلى غرفتها لتخلع قبعتها ثم عادت ووضعت الغلاية فوق النار. وأخذت ثلاث سلطانيات من فوق الرف، على مقربة من الموقد كما أخذت السكرية وقالت:

- إن لدينا شايا صينيا أتانا خصوصاً ونحن نشربه دائما على الطريقة الصينية.. في السلطانيات وليس في الأقداح. وأمسكت. ونظرت إلى إحدى السلطانيات فاحصة ثم استبدلت بها أخرى وهي تطلق صيحة تدل على الضيق وقالت:

- "**جورج**"... ليس هذا معقولا.. هل استخدمت هذه السلطانيات ثانية؟

أجابها الأستاذ معتذرا:

- إنني آسف يا حبيبتي... إن لها الحجم المطلوب، وتلك التي طلبتها لم تأتني بعد. قالت زوجته وهي تضحك نصف ضحكة:

- ستقتلنا بالسم في يوم من الأيام، فإن "**ماري**" تجدها في المعمل، فتعيدها ثانية هنا ولا تهتم أبدا بغسلها ما لم تجد بها شيئا يسترعي نظرها. وأنت قد استخدمت واحدة منها أمس، ووضعت بها سيانيد البوتاسيوم... الحق يا "**جورج**" إن هذا أمر شديد الخطر. بدا الاستياء على وجه "**ميرودين**" وقال:

- ليس لـ "**ماري**" أن تنقل أي شيء من معملي.. لا حاجة بها إلى أن تلمس أي شيء هنا.

- ولكننا غالبا ما ننسى أقداح الشاي هنا فأنى لها أن تعرف؟ كن معقولا يا حبيبي. مضى الأستاذ إلى معمله وهو يدمدم. وصبت السيدة "**ميرودين**" الماء

المغلي فوق الشاي وهي تبتسم وأطفأت النار. أما "**إيفانس**" فقد تملكته الحيرة. ومع ذلك فقد سطع الضوء في ذهنه فجأة؛ فلسبب من الأسباب كانت السيدة "**ميرودين**" تكشف عن خطتها، فهل كان ذلك لأنها تعد لوقوع "الحادث"؟ وهل كانت تتكلم عن كل ذلك عن عمد لكي تثبت بعد ذلك أن هذا الحادث وقع عرضا واتفاقا وأن لا يد لها فيه. ما أحمقها إذا كان الأمر كذلك لأنها قبل أن تقدم على ذلك فسوف... وفجأة أمسك أنفاسه. فقد صبت الشاي في السلطانيات الثلاث ووضعت قدحا أمامه وآخر أمامها. أما الثالث فوضعته على المنضدة الصغيرة بجوار الموقد أمام المقعد الذي اعتاد زوجها الجلوس عليه. وبينما هي تضع هذا القدح ارتسمت على شفتيها ابتسامة غريبة. وما إن رأى ابتسامتها هذه حتى عرف الحقيقة. يا لها من امرأة رائعة... خطرة... إنها لم تنتظر... ولم ترسم أية خطة... فاليوم.. واليوم بالذات... وهو موجود بصفته شاهدا. مثل هذه الجرأة جعلت الدم يجمد في عروقه. كان كل ذلك يدل على ذكاء، وعلى ذكاء شديد، فهو لن يستطيع إثبات أي شيء. كانت تعتمد على عدم اشتباهه لا لشيء إلا لأن الأمر حدث سريعا فجأة. امرأة ذكية سريعة في تفكيرها وفي تنفيذها. وأخذ نفسا طويلا وانحنى إلى الأمام وقال:

– سيدة "**ميرودين**".. إنني رجل ذو نزوات غريبة.. فهلا تكرمت وسمحت لي بنزوة منها. نظرت إليه مستفهمة في غير ريبة أو شك فنهض وأخذ القدح الذي أمامها ومضى إلى المائدة الصغيرة التي وضعت فوقها القدح الثالث فأخذه ووضعه أمامها وهو يقول:

– أريد منك أن تشربي هذا. التقت عيناها بعينيه. وكانت فيهما نظرة حادة. وغاض اللون من وجهها ببطء. ولكنها بسطت يدها ورفعت القدح. وأمسك أنفاسه وهو يتساءل ألا تراه ارتكب خطأ ما. ورفعت القدح إلى شفتيها. ولكنها في آخر لحظة انحنت إلى الأمام وهي ترتجف ثم أفرغت القدح في إناء للزهور ثم اضطجعت في مقعدها إلى الخلف وحدقت إليه متحدية. وندت عن صدره تنهيدة كبيرة تدل على الارتياح ثم عاد فجلس مكانه. وقالت:

– حسنا. وكان صوتها قد تغير. كان به رنة من السخرية والتحدي، فأجابها بإيجاز وبهدوء:

– إنك امرأة ذكية جداً يا سيدة "**ميرودين**"، وأعتقد أنك تفهمينني جيداً.

يجب ألا يتكرر هذا الأمر.. هل تعرفين ما أعني؟

– إنني أعرف ما تعنيه. وحتى صوتها كان خلوا من كل تعبير. وأطرق برأسه بارتياح. كانت امرأة ذكية. ولم تكن لتريد أن تشنق. وقال:

– نخب حياتك الطويلة وحياة زوجك. ورفع قدحه إلى شفتيه. ثم تغير وجهه فتقلصت عضلاته بشكل مروع.. وحاول أن ينهض على قدميه... وأن يصرخ... ولكن أطرافه تجمدت واحمر وجهه، وارتمى على مقعده باسطا ذراعيه وساقيه. وانحنت السيدة "**ميرودين**" فوقه وهي تراقبه وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة خافتة. وتحدثت إليه بصوت رقيق وبرفق:

– إنك أخطأت يا سيد "**إيفانس**".. ظننت أنني أريد أن أقتل "**جورج**"... ما أحمقك! ما أحمقك حقا! وجلست مكانها دقيقة أخرى وهي تنظر إلى الرجل الميت، الرجل الثالث الذي هددها باعتراض طريقها والتفريق بينها وبين الرجل الذي تحبه. واتسعت ابتسامتها وبدت من جديد كما لو كانت هي الـ "**مادونا**" بنفسها ثم ارتفع صوتها وهي تقول:

– "**جورج**"... "**جورج**"... أوه، تعال حالا... أخشى أن يكون قد وقع أبشع حادث.. مسكين سيد "**إيفانس**".

*****

جين تبحث عن عمل

أهم الشخصيات

- "**جين كليفلاند**" : فتاة تحب المغامرة، تبحث عن عمل.
- الدوقة "**بولين**" : دوقة "**أوستوفا**" ("**الدوقة**" الكبيرة).
- الأميرة "**بوبورنسكي**" "**أنَّا ميخايلوفنا**" : وصيفة "**الدوقة**" الكبيرة.
- "الكونت "**ستربتيش**" "**تيودوز الكسندروفيتش**" : من بلاط الدوقة "**بولين**" .
- الكونتس "**انشستر**" : من بلاط الدوقة "**بولين**" .

تصفحت "**جين كليفلاند**" جريدة "**الديلي ليدر**" ثم تنهدت. وكا ت تنهدة طويلة خارجة من الأعماق. وألقت نظرة تقزز إلى المائدة الرخامية المستد يرة، وإلى البيضة المسلوقة وفنجان الشاي. ولم يكن تقززها راجعا إلى عدم شعورها بالجوع وإنما لسبب آخر. والواقع أنها كانت تشعر بجوع شديد بل أحست في ذلك الوقت بالذات أنها تستطيع أن تلتهم نحو كيلوجرام من البفتيك وبطاطس محمرة وفاصوليا خضراء وكؤوسا من شراب معتق غير الشاي. بيد أن الفتيات اللاتي لا مورد لهن لا يسعهن الاختيار. وقد كانت "**جين**" سعيدة الحظ إذ تستطيع أن تتناول بيضة مسلوقة وفنجانا من الشاي. وكان يبدو أن هذا الحظ لن يواتيها في الغد ما لم... وحولت اهتمامها من جديد إلى صفحة الإعلانات بجريدة "**الديلي ليدر**" . ولنتكلم بصراحة فنقول إن "**جين**" كانت بغير عمل وإن موقفها أصبح حرجا خاصة أن السيدة الرقيقة التي تدير البنسيون المتواضع الذي تقيم فيه بدأت تنظر إليها شذرا. وقالت "**جين**" تحدث نفسها وهي ترفع ذقنها إلى أعلى بطريقة

ساخطة أصبحت لازمة لها:

"ومع ذلك فأنا ذكية وجميلة وتلقيت نصيبا كبيراً من التعليم. فماذا يريدون أكثر من هذا؟ كان أصحاب الأعمال، طبقًا للإعلانات المنشورة بجريدة "**الديلي ليدر**"، يريدون بصفة خاصة موظفين للكتابة على الآلة الكاتبة ومزاولة الاختزال على أن تكون لهم خبرة طويلة في هذا المضمار، كما كانت هناك إعلانات يطلبون فيها مديرين للأعمال التجارية لديهم رؤوس أموال للاستثمار وكذلك سيدات لاستثمار أموالهن في تربية الدواجن وخادمات وطاهيات". واستطردت "**جين**" تحدث نفسها:

"إنني لا أجد غضاضة في أن أعمل خادمة، لكن لن يقبلني أحد دون شهادات خبرة في أي فرع من الفروع". وتنهدت مرة أخرى وألقت الجريدة أمامها وراحت تلتهم البيضة المسلوقة بكل ما فيها من صحة وشباب. وبعد أن فرغت من آخر لقمة التقطت الجريدة من جديد وأخذت تقرأ الإعلانات الخاصة وهي ترشف الشاي. لو أن معها ألفين من الجنيهات لغدا كل شيء سهلا ميسورا، فقد كانت هناك سبع فرص على الأقل تدر كل منها دخلا سنويا لا يقل عن ثلاثة آلاف جنيه. وقالت تحدث نفسها:

"لو أن معي ألفين من الجنيهات فإنني ما كنت لأتخلى عنهما بسهولة". ومرت بعينيها على عمود الإعلانات من أعلاه إلى أسفله بسرعة المجرب الخبير. كانت هناك السيدة التي تدفع أثمانا مدهشة للملابس المستعملة، مع استعدادها التام للانتقال إلى أي مكان. وكان هناك رجال يشترون كل شيء ولاسيما الأسنان. كانت هناك سيدات بارزات في المجتمع على استعداد لبيع فرائهن بأثمان زهيدة جداً بسبب اضطرارهن إلى السفر. وكان هناك القسيس البائس والأرملة المسكينة والضابط العاجز. وكلهم يحتاجون إلى مبالغ تتراوح ما بين خمسين جنيها وألفين من الجنيهات. وفجأة وقعت عينا "**جين**" على الإعلان فألقت فنجانها جانبا وراحت تقرؤه للمرة الثانية وتمتمت تقول:

"هناك شرك ما في ذلك شك.. هناك شرك في مثل هذه الإعلانات دائما... يجب أن أكون حريصة... ومع ذلك... "مطلوب سيدة شابة يتراوح عمرها بين الخامسة والعشرين والثلاثين، زرقاء العينين، شقراء الشعر. سمراء الأهداب

والحاجبين، مستقيمة الأنف، نحيلة العود، طول قامتها نحو مائة وسبعة وستين سنتيمترا، تجيد التقليد وتتحدث الفرنسية. الحضور شخصيا برقم 7 شارع "**أندرسلي**" فيما بين الخامسة والسادسة مساء".

تمتمت "جين" تقول:

"يا لـ "**جويندولين**" البريئة... أو هكذا تفسد أخلاق الفتيات. يجب أن أكون شديدة الحرص حقا. ولكن هناك صفات كثيرة مع ذلك ولا أظن أن هناك شركا... فلأتأكد من الأوصاف أولا على كل حال". وقرنت القول بالعمل واستطردت تقول:

"يتراوح عمرها بين الخامسة والعشرين والثلاثين.. وأنا في السادسة والعشرين.. عينان زرقاوان وعيناي زرقاوان، شعر أشقر وأهداب وحاجبان سمراوان.. حسنا، إنني لكذلك. أنف مستقيم..حسنا، إن أنفي مستقيم بما فيه الكفاية، ثم إنني نحيلة العود ولكن طول قامتي نحو مائة وخمسة وستين سنتيمترا فقط... أستطيع أن ألبس حذاء بكعب عال بالتأكيد. ثم إنني أجيد التقليد وأتكلم الفرنسية بطلاقة كالفرنسيين.. صفوة القول، إنني أتمتع بجميع المواصفات المطلوبة.. سيغتبطون عندما أتقدم إليهم. امضي يا "**جين كليفلاند**" وليصاحبك التوفيق". وقطعت الإعلان بعزم وتصميم ووضعته في حقيبتها ثم طلبت الحساب، وفي صوتها رنة جديدة.. وفي الساعة الخامسة إلا عشر دقائق كانت تستطلع المكان بشارع "**أندرسلي**" وهو شارع صغير يقع بين شارعين كبيرين في "**أكسفورد سيركوس**"... كان شارعا محترما وإن كان كئيبا.

ولم يكن البيت رقم 7 ليختلف في شيء عن غيره من البيوت المحيطة به. كان عبارة عن بضعة مكاتب، ولم تكد "**جين**" تلقي نظرة إليه حتى أدركت أنها ليست الفتاة الوحيدة التي تتمتع بعينين زرقاوين وشعر أشقر وأنف مستقيم وعود نحيل ويتراوح عمرها بين الخامسة والعشرين والثلاثين. كانت "**لندن**" تزخر دون شك بالكثير من الفتيات اللاتي على شاكلتها وقد اجتمعت منهن أربعون أو خمسون على الأقل أمام رقم 7 بشارع "**أندرسلي**". وتمتمت تقول:

"هناك منافسة.. من الأوفق أن أقف في الصف فوراً". وقرنت القول بالعمل في نفس الوقت الذي ظهرت فيه ثلاث فتيات أخريات بأول الشارع. وأقبلت بعدهن

كثيرات. وقضت "**جين**" وقتها في تقييم طالبات الوظيفة. فهذان حاجباها أشقران وليسا أسمرين وهاتان عيناها سوداوان وليستا زرقاوين. وأخرى شعرها أشقر مصطنع غير طبيعي، وكانت هناك مفارقات كثيرة في مواصفات الأنف، وكانت غالبية المتقدمات لا تنطبق عليهن كلمتا "نحيلة العود" وحدثت "**جين**" نفسها تقول: "أظن أن لي نفس الفرص التي لأخريات. إنني لأتساءل ما هي هذه الوظيفة. لعلهم يريدون تكوين فرقة مسرحية" . وكان الصف يتحرك ببطء، ولكنه كان يتحرك برتابة ونظام. ثم لم تلبث أن خرجت الفتيات الواحدة خلف الأخرى، بعضهن رافعات الرأس، والبعض يتكلفن الابتسام وقالت "**جين**" بمرح:

«إنهن لم يحزن القبول... أرجو أن يستمر الأمر هكذا إلى أن أدخل». وراح الصف يتحرك والباقيات يتطلعن إلى المرآة ويتجملن وراحت أصابع الأحمر تتحرك بجد واهتمام، وقالت "**جين**" بحزن وأسى:

"وددت لو أنني أملك قبعة أفضل" . وجاء دورها أخيرا فدخلت ورأت داخل البيت بابا زجاجيا على جانب عليه هذه الكلمات: ("**كاتبرتسون**" وأولاده)... وكانت الفتيات يدخلن من ذلك الباب واحدة بعد واحدة. وجاء دور "**جين**" أخيرا فتنهدت تنهيدة عميقة ودخلت. كان هناك خلف الباب غرفة كانت عبارة عن مكتب خارجي مخصص للكتبة في آخره باب زجاجي آخر. وقيل لـ "**جين**" أن تمضي إليه فدخلت، وألفت نفسها في غرفة أصغر بها مكتب يجلس خلفه رجل متوسط العمر حاد العينين له شارب كث يدل على أنه أجنبي. شمل "**جين**" بنظرة فاحصة ثم أشار إلى باب على اليسار وقال بصوت جاف:

– أرجوك أن تنتظري هناك. أطاعته "**جين**"، ووجدت في الغرفة التي دخلتها خمس فتيات أخريات وقفن ينظرن إلى بعضهن البعض. وكان من الواضح لـ "**جين**" أنها انضمت الآن إلى المتقدمات المحتملات. وارتفعت روحها المعنوية، ولكنها على الرغم من ذلك اضطرت إلى الاعتراف بأن هؤلاء الفتيات الخمس يتمتعن بنفس المواصفات والمؤهلات، وأن لكل منهن نفس الفرصة التي للأخريات.

ومر الوقت. وكان من الواضح أن عددا آخر من الفتيات كان يتقدم في الغرفة الخارجية. وكانت الغالبية الكبرى منهن تغادر المكتب من باب آخر يفضي إلى الدهليز. ولكن ما بين وقت وآخر كانت تأتي فتاة أخرى فتنضم إلى جماعتهن.

وفي الساعة السادسة والنصف أصبح عددهن أربع عشرة فتاة. وسمعت "**جين**" تمتمة أصوات في المكتب الداخلي، ثم ظهر بالباب الرجل الأجنبي الهيئة. وكانت قد أطلقت عليه في ذهنها اسم "**العقيد**" نظرا إلى شكل شاربه العسكري. وقال:

– سيداتي.. سأتقبلكن الواحدة بعد الأخرى، في نفس النظام والترتيب السابقين. وكانت "**جين**" السادسة في القائمة. ومرت عشرون دقيقة قبل أن يدعوها "**العقيد**". وكان واقفا ويداه خلف ظهره. ورماها بنظرة سريعة وتحقق من أنها تعرف الفرنسية ثم قاس قامتها وقال بالفرنسية:

– من الجائز أن تظفري بهذا العمل... لا أدري حقا.. ولكن هذا جائز. سألته "**جين**" متبلدة الذهن:

– وما هذا العمل؟ هز كتفيه وقال:

– لا أستطيع أن أقول لك ذلك الآن، سوف تعرفين على كل حال إذا وقع عليك الاختيار. اعترضت "**جين**" قائلة:

– إن هذا الأمر يبدو لي شديد الغموض، لا أستطيع أن أقبل أي شيء قبل أن أعرف ما هو، هل أستطيع أن أسأل إذا كان لهذا العمل صلة بالمسرح؟

– المسرح؟! كلا، حقا. قالت "**جين**" وقد أخذت على غرة:

– أوه.. نظر الرجل إليها بحدة وقال:

– يبدو لي أنك تتمتعين بذكاء كبير وبقدرة على كتمان السر، أليس كذلك؟ أجابت "**جين**" بهدوء:

– إنني أتمتع بذكاء خارق ولديَّ قدرة كبيرة على كتمان السر، لكن كم المرتب؟

– المرتب نحو ألفين من الجنيهات لعمل لن يستلزم منك أكثر من أسبوعين.

– أوه.. أخذت "**جين**" على غرة مرة أخرى لضخامة المبلغ بحيث انبهرت أنفاسها. وقال "**العقيد**":

– هناك فتاة أخرى احتجزتها. وكل منكما تصلح لهذا العمل، ولعل هناك غيركما لم أرهن بعد، ولكنني بعد ذلك سأزودك ببعض التعليمات الضرورية.. هل تعرفين فندق "**هاريدج**"؟ لهثت "**جين**"، فلم يكن في "**إنجلترا**" كلها من لا يعرف فندق "**هاريدج**". كان هذا الفندق الفخم يقع في مكان متواضع يقرب

من حي "**مايفير**" ويؤمه النبلاء والأشراف عادة. وقد قرأت "**جين**" في صباح اليوم بالذات نبأ قدوم الدوقة الكبيرة "**بولين**"، دوقة "**أوستوفا**" لافتتاح السوق الخيرية الكبيرة لمساعدة اللاجئين الروس. وقد نزلت بالتأكيد في فندق "**هاريدج**". قالت "**جين**" ردا على سؤال "**العقيد**":

– نعم.

– حسنا جدًّا. اذهبي هناك وقابلي الكونت "**ستربتيش**". أرسلي بطاقتك إليه. هل معك بطاقة؟ قدمت "**جين**" إليه بطاقة فأخذها "**العقيد**" منها وكتب في ركن منها حرف "ب" وأعادها إليها وهو يقول:

– سوف يقابلك حين يرى هذا، وسيدرك أنك آتية من قبلي، وهو الوحيد الذي باستطاعته إصدار القرار النهائي، فإذا رأى أنك تصلحين فسيطلعك على ما يريد ويمكنك عندئذ أن تقبلي عرضه أو أن ترفضيه.. أيرضيك هذا؟

– تماما. وتمتمت تحدث نفسها وهي خارجة إلى الشارع:

«ولكني مازلت لا أرى الشرك.. ومع ذلك فلابد من أن يكون هناك شرك ما، فلا يمكن تقديم مثل هذا المبلغ الجسيم في سبيل لا شيء. لا ريب في أن في الأمر جريمة.. ربما جريمة سرقة». وارتفعت روحها المعنوية، فما كانت لتعترض –وهي في حالتها هذه– على أن ترتكب جريمة سرقة، وكانت الجرائد قد حفلت في الأيام الأخيرة بمغامرات فتيات في عالم الجريمة. وكانت "**جين**" قد فكرت جيدا في أن تحترف السرقة إذا ما أخفقت في العثور على عمل. واجتازت الباب الضخم لفندق "**هاريدج**" وقلبها يخفق بذعر خفيف. وتمنت أكثر من ذي قبل لو أنها كانت ترتدي قبعة جديدة. ولكنها تقدمت بكل شجاعة نحو المكتب وقدمت بطاقتها وسألت عن الكونت "**ستربتيش**" بغير تردد. وخيل إليها أن الموظف نظر إليها بشيء من الفضول، ولكنه أخذ منها البطاقة مع ذلك وأعطاها لصبي مصدرا إليه تعليماته بصوت خافت. ولم يلبث أن عاد هذا الأخير وطلب من "**جين**" أن تتبعه. وصعدت المصعد معه وسارت في دهليز طويل حتى بلغا بابا ضخما طرقه الصبي. وبعد لحظة ألفت "**جين**" نفسها في غرفة كبيرة تواجه رجلا طويل القامة نحيل العود له لحية شقراء يمسك بطاقتها في يده الواهنة البيضاء. وقال ببطء:

– الآنسة "**جين كليفلاند**"؟ أنا الكونت "**ستربتيش**". وافترت شفتاه عن شبه

ابتسامة كشفت عن صفين من الأسنان البيضاء وقال:

– أظنك تقدمت ردا على الإعلان، وأن هذا العزيز العقيد "**كرانين**" قد أرسلك إليّ. قالت "**جين**" تحدث نفسها وقد سرتها فراستها:

"هو "**العقيد**" إذن.."

– هل تسمحين أن ألقي عليك بضعة أسئلة؟ ولم ينتظر حتى ترد عليه وراح يستجوبها استجوابا شبيها بذلك الذي تعرضت له من قبل العقيد "**كرانين**" وبدا أن إجاباتها قد أرضته لأنه أومأ برأسه مرة أو مرتين.

– سأطلب منك الآن يا آنسة أن تمشي حتى الباب وتعودي ثانية ببطء. أطاعته "**جين**" وهي تقول لنفسها:

"ربما يريدونني أن أعمل "مانيكان"، لكن ما كانوا ليدفعوا لي ألفين من الجنيهات في سبيل ذلك. بيد أنني أعتقد أن من الأفضل ألا أستفسر الآن". عبس الكونت "**ستربتيش**" وراح ينقر بإصبعه على طرف المنضدة. ونهض فجأة وفتح باب غرفة مجاورة وتحدث مع شخص بداخلها ثم عاد إلى مقعده. ودخلت الغرفة امرأة قصيرة القامة متوسطة العمر وأغلقت الباب خلفها. كانت بديناً ودميمة ولكن هيئتها كانت تدل على أنها ذات مكانة خاصة. وخاطبها الكونت قائلا:

– حسنا يا "**أنا ميخايلوفنا**"... ما رأيك فيها؟ قلّبت السيدة النظر إلى "**جين**" بعناية كبيرة كما لو كانت الفتاة دمية في معرض دون أن تبدي أية محاولة لتحيتها، ثم قالت أخيرا:

– يمكن أن تقوم بالعمل. هناك شبه خفيف جداً ولكن الهيئة والقامة أفضل بكثير من الفتيات الأخريات. ما رأيك أنت يا "**تيودور الكسندروفيتش**"؟

– إنني أوافقك يا "**أنا ميخايلوفنا**".

– هل تتكلم الفرنسية؟

– إنها تتكلم بطلاقة. وزاد إحساس "**جين**" بأنها ليست أكثر من دمية فلم يبد على أي من هذين الشخصين ما يدل على أنها من البشر. وقالت السيدة وهي تنظر إلى الفتاة عابسة:

– لكن هل تقدر على الكتمان؟ قال الكونت "**ستربتيش**" يخاطب "**جين**" بالفرنسية:

– هذه هي الأميرة "**بوبورنسكي**"، وهي تسأل إذا كنت تقدرين على الكتمان. نظرت "**جين**" إلى الأميرة وأجابت:

– لا أستطيع أن أعدك بأي شيء قبل أن أعرف ما الأمر أولا. قالت السيدة:

– إن هذه الصغيرة نطقت حقا، وأظن أنها ذكية يا "**تيودور الكسندروفيتش**"... بل أكثر ذكاء من الأخريات... قولي لي يا صغيرتي.. هل أنت شجاعة أيضا؟ أجابت "**جين**" وهي في حيرة من الأمر:

– لا أدري.. إنني لا أحب الألم كثيرا ولكنني أستطيع احتماله.

– آه... ليس هذا ما أعنيه.. ألا تخافين الخطر؟ قالت "**جين**":

– أوه.. الخطر... الأمر على ما يرام إذن.. إنني أحب الخطر.

– وأنت فقيرة؟ هل تحبين أن تكتسبي مبلغا كبيرا؟ قالت "**جين**" بحماس:

– يمكنك أن تختبريني. تبادل الكونت "**ستربتيش**" والأميرة "**بوبورنسكي**" النظر، ثم أومأ كل منهما في آن واحد، وقال "**الكونت**":

– هل أشرح لها الموقف يا "**أنا ميخايلوفنا**"؟ هزت الأميرة رأسها وقالت:

– إن صاحبة السمو تريد أن تقوم بذلك هي بنفسها.

– لا ضرورة لهذا... ثم إنه بعيد عن الحكمة والحرص.

– هذه هي أوامرها على كل حال. طلبت مني أن أقدم إليها الفتاة بمجرد أن تفرغ أنت معها. هز "**ستربتيش**" كتفيه. كان واضحا أنه غير راض، كما كان من الواضح أنه لا يريد عصيان الأمر. وتحول إلى "**جين**" وقال لها:

– ستقدمك الأميرة "**بوبورنسكي**" إلى صاحبة السمو الدوقة الكبيرة "**بولين**"، فلا تنزعجي. لم تكن "**جين**" تحس بأي انزعاج أو جزع. كانت مغتبطة لمجرد فكرة أنها ستلتقي بـ "**دوقة**" حقيقية. وعلى الرغم من أنها لم تكن اشتراكية إلا أنها نسيت في تلك اللحظة كل شيء بخصوص قبعتها. وتقدمتها الأميرة "**بوبورنسكي**" وهي تمشي ببطء ووقار لا يتناسبان مع الموقف. ومرا من خلال الباب المجاور الذي أفضى بهما إلى طرقة صغيرة تفضي إلى غرفة أخرى طرقت الأميرة بابها، وأجابها صوت من الداخل ففتحت الأميرة الباب ودخلت و "**جين**" في أعقابها وقالت:

– أقدم إليك الآنسة "**جين كليفلاند**" يا سيدتي. كانت هناك سيدة شابة تجلس

في مقعد كبير في الناحية الأخرى من الغرفة فنهضت واقفة وتقدمت نحوهما. وحدقت إلى "**جين**" دقيقة أو دقيقتين ثم ضحكت ضحكة مرحة وهتفت:

– ولكن هذا عظيم يا "**أنا**" .. ما كنت لأتصور أنكم ستوفقون هكذا... تعالي يا فتاتي ولنتأمل كل منا الأخرى. وأخذت "**جين**" من ذراعها وتقدمت بها عبر الغرفة نحو مرآة عالية معلقة لصق الحائط، وقالت بسرور:

– هل ترين؟ إن الشبه تام. وما إن رأت "**جين**" الدوقة الكبيرة "**بولين**" حتى بدأت تفهم الموقف. كانت هذه الأخيرة سيدة شابة تكبرها بنحو سنة أو سنتين، وكانت مثلها شقراء، نحيلة العود. بل لعلها كانت أطول منها قليلا. والآن وقد وقفت كل منهما بجوار الأخرى فقد بدا الشبه شاحبا... كان يكاد يكون تاما في كل شيء حتى في لون البشرة. صفقت "**الدوقة**" الكبيرة بيديها، وبدا عليها الابتهاج وقالت:

– لا يمكن أن يكون الأمر بأفضل من هذا... يجب أن تهنئي "**تيودور الكسندروفيتش**" نيابة عني يا"**أنا**"، فإنه بذل جهدا كبيرا. قالت الأميرة بصوت خافت:

– ومع ذلك فإن هذه الفتاة لا تعرف المطلوب منها بعد. قالت "**الدوقة**" الكبيرة وقد استردت هدوءها بعض الشيء:

– هذا صحيح... إنني نسيت ذلك. حسنا. سأطلعها على كل شيء.. يمكنك أن تنصرفي الآن يا "**أنا ميخايلوفنا**".

– ولكن يا سيدتي...

– قلت يمكنك أن تنصرفي. وضربت الأرض بقدمها محنقة فغادرت "**أنا ميخايلوفنا**" الغرفة على مضض كبير. وجلست "**الدوقة**" الكبيرة وأشارت إلى "**جين**" أن تحذو حذوها. وقالت:

– إن هذه المرأة العجوز متعبة، ولكنها مخلصة ولا أدري ماذا كنت أستطيع أن أفعل دونها.. إنها أفضل من غيرها بكثير.. والآن يا آنسة... آه... آنسة "**جين كليفلاند**".. إنني أحب هذا الاسم وأحبك أنت أيضا، فأنت ظريفة... تكلمت "**جين**" لأول مرة فقالت:

– هذا منتهى الذكاء منك يا سيدتي. قالت "**بولين**" بهدوء:

– إنني ذكية... والآن سأشرح لك كل شيء. على أن قصتي ليست طويلة... إنك تعلمين تاريخ "**أوستوفا**"، وكل أفراد عائلتي قد ماتوا حاليا... ذبحهم الفوضويون.. وأنا آخر سلالتي.. وأنا امرأة ولا أستطيع المطالبة بالعرش، ومع ذلك فهم لا يريدون أن يتركوني في سلام، فأينما ذهبت يحاولون اغتيالي. وهذا أمر سخيف، أليس كذلك؟ إن هؤلاء الفوضويين لا يعرفون أي معنى للحلول الوسطى. قالت "**جين**" وقد أحست بأنها يجب أن تقول شيئا:

– هذا صحيح.

– إنني أقضي أغلب أيامي في عزلة تامة حيث أستطيع أن أتخذ احتياطاتي. ولكن عليّ من وقت إلى آخر أن أشترك في الاحتفالات العامة، ومثال ذلك، يجب في أثناء إقامتي أن اضطلع بمسؤوليات شبه رسمية وكذلك في "**باريس**"، عند عودتي... إنني أملك قصرا في "**هنغاريا**".. والرياضة فيها جميلة. قالت "**جين**":

– حقا؟

– جميلة.. وأنا أعشق الرياضة. وكذلك... يجب الا اقول لك هذا.. ولكنني سأصارحك بذلك لأن وجهك يعجبني.. هناك خطط نقوم بها هناك.. بكل هدوء؛ ولهذا فإن من الأهمية بمكان ألا يفلحوا في اغتيالي في خلال الأسبوعين المقبلين. بدأت "**جين**" تقول:

– ولكن الشرطة بالتأكيد...

– الشرطة؟ إنهم قوم أذكياء جدا... وكذلك نحن... إن لديَّ جواسيسنا نحن أيضًا. ومن الجائز أنهم قد يتمكنون من إنذاري قبل أن تتم محاولة اغتيالي.. ولكن من الجائز أيضا ألا يتمكنوا من ذلك. وهزت كتفيها ببطء وقالت "**جين**":

– بدأت أفهم.. إنك تريدين مني أن آخذ مكانك. أجابت "**الدوقة**" الكبيرة فوراً:

– في بعض المناسبات فحسب.. يجب أن تكوني في مكان أستطيع أن أتصل بك فيه، فقد أحتاج إليك مرتين أو ثلاث مرات.. أو ربما أربعا في خلال الأسبوعين المقبلين.. وفي كل من هذه المرات يجب أن تكون المناسبة رسمية بالنسبة إلى الجمهور. وبالتأكيد لا دخل لك في حياتي الخاصة. قالت "**جين**":

– بالتأكيد.

– ويمكنك أن تقومي بهذا العمل خير قيام.. كان "**تيودور الكسندروفيتش**" ذكيا حين فكر في ذلك الإعلان، أليس كذلك؟ قالت "**جين**" :

– ولنفرض أنهم اغتالوني. هزت "**الدوقة**" كتفيها وقالت:

– هذه هي المجازفة. ولكن طبقًا لمخابراتنا السرية هم يريدون اختطافي فحسب ولا يفكرون في اغتيالي، وسأكون شريفة معك.. من الجائز جداً إلقاء قنبلة. قالت "**جين**" :

– إنني أرى. حاولت أن تبدو غير مكترثة كـ "**بولين**". وكان كل ما تريده هو أن تطرق الناحية المالية لكنها لم تدرك كيف تفعل. غير أن "**بولين**" أنقذتها من مشكلتها بأن قالت بغير اهتمام:

– وسنجزل لك العطاء بالتأكيد. لا أتذكر بالضبط المبلغ الذي اقترحه "**تيودور الكسندروفيتش**". ولا أدري هل تحدثنا بالفرنكات أو الكرونين. قالت "**جين**" :

– تكلم العقيد "**كرانين**" عن ألفين من الجنيهات. قالت "**بولين**" متلألئة:

– هو ذلك.. إنني أتذكر الآن.. أرجو أن يكون هذا المبلغ كافيا؟ أو لعلك تفضلين ثلاثة آلاف جنيه؟ قالت "**جين**" :

– حسنا.. إن الأمر بالنسبة إليك سيان.. أفضل أن يكون المبلغ ثلاثة آلاف جنيه. قالت "**الدوقة**" الكبيرة برقة:

– إن لك موهبة تجارية.. ليتني مثلك، لكن لا فكرة لديَّ عن المال مطلقًا.. فإنني أنال كل ما أريده وأتمناه، وهذا يكفيني. وبدت هذه الطريقة لـ"**جين**" بسيطة ورائعة في آن واحد. واستطردت "**بولين**" تقول بتفكير:

– ثم إن هناك خطرا كما تقولين، وإن كنت أرى أنك لا تأبهين لذلك.. أنا الأخرى لا أخاف الخطر، وأرجو ألا تحسبي أنني أريدك أن تأخذي مكاني لأنني جبانة، فإن من الأهمية لـ "**أوستوفا**" أن أتزوج وأن أنجب ولو ولدين على الأقل. وبعد ذلك لا يهم ما يحدث لي. قالت "**جين**" :

– إنني أفهم.

– وهل تقبلين؟ أجابت "**جين**" :

– نعم.. إنني أقبل. صفقت "**بولين**" بيديها بضع مرات بحماس، ولم تلبث الأميرة "**بوبورنسكي**" أن أقبلت فقالت لها:

– إنني حدثتها يا "**أنا**" وهي على استعداد أن تفعل ما نريد في سبيل ثلاثة آلاف جنيه. قولي لـ"**تيودور**" أن يهتم بذلك. إنها تشبهني حقا، أليس كذلك؟ بل أظنها أجمل مني. غادرت الأميرة الغرفة ثم عادت بعد لحظات مع "**الكسندروفيتش**" فقالت "**الدوقة**" الكبيرة تخاطبه:

– هل دبرت كل شيء يا "**تيودور الكسندروفيتش**"؟ انحنى إليها وقال وهو ينظر إلى "**جين**" بشك:

– إنني لأتساءل إذا كان يمكنها أن تقوم بالدور. قالت الفتاة عندئذ:

– سأريك. ثم تحولت إلى "**الدوقة**" الكبيرة وقالت:

– هل تسمحين يا سيدتي؟ أومأت الأميرة بابتهاج فنهضت "**جين**" وقالت:

– ولكن هذا عظيم يا "**أنا**".. ما كنت أتصور أنكم ستوفقون هكذا.. تعالي يا فتاتي لتتأمل كل منا الأخرى. وكما فعلت "**بولين**" أخذت الفتاة الأخرى أمام المرآة وقالت:

– هل ترين... إن الشبه تام. كانت الكلمات والحركات واللهجة تقليد تام لـ"**بولين**".. وأومأت الأميرة برأسها وتمتمت ببضع كلمات استحسان قائلة:

– هذا جميل... ستخدعين كثيرا من الناس. وقالت "**بولين**" بتقدير:

– إنك ذكية جداً، فإنني لا أستطيع أن أقلد أي أحد لكي أنقذ حياتي. صدقتها "**جين**"، فقد كانت "**بولين**" فتاة لا تفكر في غير نفسها، وقالت "**الدوقة**" الكبيرة:

– ستتخذ "**أنا**" كل التدابير اللازمة معك. خذيها إلى مخدعي يا "**أنا**" ودعيها تجرب بعض ثيابي. وألقت بالتحية مودعة "**جين**". وانصرفت هذه الأخيرة برفقة الأميرة "**بوبورنسكي**". وقالت الأميرة وهي تقدم إلى الفتاة فستانا جريئا من اللونين الأبيض والأسود:

– هذا هو الثوب الذي سترتديه صاحبة السمو لافتتاح السوق الخيرية، بعد ثلاثة أيام. وقد يكون من الضروري أن تأخذي مكانها هناك. إننا لا نعلم بعد، فلم تأتنا أية أنباء حتى الآن. وبناء على تعليمات "**أنا**" نضت "**جين**" ثيابها الرخيصة عنها وجربت الفستان فانطبق عليها كل المطابقة. وأومأت الأميرة برأسها في استحسان قائلة:

– إنه يكاد يكون لائقا عليك.. طويل بعض الشيء؛ لأنك أقصر من صاحبة السمو بنحو سنتيمترين. أسرعت "**جين**" تقول:

– هذا أمر يمكن علاجه، فقد لحظت ان "**الدوقة**" الكبيرة تلبس حذاء دون كعب، وإذا أنا لبست نفس نوع الحذاء ولكن بكعب فسيكون كل شيء على ما يرام. عرضت عليها "**أنا ميخايلوفنا**" الحذاء الذي تلبسه "**الدوقة**" الكبيرة عادة مع الفستان المذكور، وكان مصنوعا من جلد الثعبان وفوقه شريط. وحفظت "**جين**" شكله في ذهنها لكي تشتري مثله بكعب عال، وقالت "**أنا ميخايلوفنا**":

– قد يكون من الخير لك أن تلبسي ثوبا من لون آخر ومن نوع آخر يختلف عن نوع فستان صاحبة السمو بحيث إذا اضطررت إلى أن تأخذي مكان "**الدوقة**" الكبيرة في اي وقت لا يلحظ احد ذلك. فكرت "**جين**" لحظة ثم قالت:

– ما رأيك في فستان من الجرسيه الأحمر المتوهج؟ ربما أستطيع أن أضع نظارة أنفية فهي تغير الشكل كثيرا. استصوبت الأميرة الاقتراحين وانتقلت المرأة بعد ذلك إلى تفاصيل اخرى. وغادرت "**جين**" الفندق ومعها أوراق مالية بمبلغ مائة جنيه وتعليمات لشراء ما يلزمها من مشتريات واستئجار غرفة بفندق "**بليتس**" باسم الآنسة "**مونتريزور**" القادمة من "**نيويورك**". وفي اليوم التالي زارها الكونت "**ستربتيش**" هناك وقال وهو ينحني أمامها:

– إنك تغيرت حقًا. ردت "**جين**" له انحناءته بشيء من التهكم.. كانت تستمتع بثيابها الجديدة وحياة البذخ التي تحياها كل الاستمتاع. وقالت وهي تتنهد:

– كل هذا جميل، ولكني اعتقد ان زيارتك تعني ان لحظة العمل قد أقبلت؟

– هو ذلك، فقد جاءتنا أنباء تقول إن من الجائز أن تقع محاولة لاختطاف صاحبة السمو وهي في طريقها إلى السوق الخيرية، وستكون السوق كما تعلمين في "**أوريون هاوس**"، ويقع على بعد نحو ستة عشر كيلومترا خارج "**لندن**"، وستضطر صاحبة السمو إلى حضور الحفلة شخصيا؛ لأن الكونتس "**انشستر**" المشرفة على السوق تعرفها شخصيًا، لكن كل ما يقع بعد ذلك من تخطيطي أنا. أصغت "**جين**" إليه باهتمام وهو يطلعها على خططه، وألقت بضعة أسئلة ثم قالت أخيرا إنها تفهم جيدا الدور الذي يتعين عليها القيام به.

وكان اليوم التالي ساطعا وصافيا.. يوما جميلا لحدث من أكبر الأحداث الموسمية في "**لندن**"، وهو افتتاح السوق الخيرية بـ "**أوريون هاوس**" التي تشرف عليها الكونتس "**انشستر**" لمساعدة اللاجئين الروس الموجودين في "**إنجلترا**". ونظرا إلى احتمال تقلب الجو الإنجليزي في أية لحظة فقد أقيمت السوق نفسها داخل الغرف الفسيحة بـ "**أوريون هاوس**"، وهو قصر منيف ظل مدى خمسة قرون بين يدي آل "**انشستر**". وكانت هناك مجموعات مختلفة كما كانت هناك فكرة ظريفة، وهي أن مائة سيدة من سيدات المجتمع البارزات قدمن هدية مشتركة، قوامها أن كلا منهن استخلصت زمردة من عقدها الخاص وقدمتها إلى السوق على أن تباع في مزاد في اليوم التالي كل منها على حدة، كما كانت هناك معارض ونمر أخرى في الأرض الفضاء المحيطة بالقصر. وحضرت "**جين**" الحفلة بصفتها الآنسة "**مونتريزور**"، وكانت ترتدي ثوبا من الجرسيه الأحمر المتوهج وقبعة صغيرة ضيقة وحذاء ذا كعب عال. وكان قدوم الدوقة الكبيرة "**بولين**" حدثا كبيرا، وقد استُقْبِلَتْ في شرفة البيت الكبيرة وقدمت إليها طفلة صغيرة باقة من الورد. وألقت كلمة قصيرة رقيقة أعلنت فيها افتتاح السوق الخيرية، وكان الكونت "**ستربتيش**" والأميرة "**بوبورنسكي**" يرافقانها. وكانت ترتدي الفستان الأبيض والأسود الجريء الذي رأته "**جين**" وقبعة صغيرة ضيقة تتدلى من حوافها ريشات كثيرة وغلالة رقيقة تصل إلى نصف وجهها. وابتسمت "**جين**" إذ رأت ذلك. وزارت الدوقة الكبيرة المعرض وكل غرفة فيه واشترت بضعة أشياء وأبدت كرما ورقة كبيرين ثم استعدت للانصراف. وأسرعت "**جين**" فدخلت المسرح عندئذ فتبادلت كلمة مع الأميرة "**بوبورنسكي**" والتمست من هذه الأخيرة أن تقدمها إلى "**الدوقة**" الكبيرة وقالت "**بولين**" بصوت مسموع:

– آه، نعم.. الآنسة "**مونتريزور**"؟ إنني أتذكر هذا الاسم.. أظن أنها تلك الصحفية الأمريكية التي بذلت الكثير من أجل قضيتنا، ويسرني أن أعطيها حديثا لجريدتها. هل هناك مكان يمكن أن نخلو فيه من غير أن يزعجنا أحد؟ وفوراً خصصت غرفة صغيرة لتكون تحت تصرف الدوقة. وكلف الكونت "**ستربتيش**" بإدخال الآنسة "**مونتريزور**" إليها. وما إن أدخلها وانصرف حتى وقفت الأميرة "**بوبورنسكي**" لكي تقوم بالمراقبة بينما راحت الفتاتان تتبادل كل منهما ثياب

الأخرى. وبعد ثلاث دقائق فتح الباب وخرجت "**الدوقة**" الكبيرة وهي ترفع باقة الورد إلى وجهها. وانحنت برقة ونطقت ببضع كلمات باللغة الفرنسية تودع بها الكونتس "**انشستر**" ثم تجاوزتها ودخلت سيارتها التي تنتظرها. وجلست الأميرة "**بوبورنسكي**" بجوارها وانطلقت السيارة. وقالت "**جين**" :

– حسنا. تم الأمر. إنني أتساءل الآن كيف ستتصرف الآنسة "**مونتريزور**"؟

– لن يلحظها أحد وفي مقدورها أن تتصرف بهدوء. قالت "**جين**" :

– هذا صحيح. إنني قمت بدوري خير قيام، أليس كذلك؟

– نعم. إنك قمت بدورك بتفوق كبير.

– لماذا لم يأت "**الكونت**" معنا؟

– اضطر إلى البقاء، فلابد من أحد لكي يسهر على سلامة صاحبة السمو. قالت "**جين**" بقلق:

– أرجو ألا يلقي بعضهم بقنابل... أوه، إننا تركنا الطريق العام، فلماذا؟! وكانت السيارة قد غيرت من سرعتها واتخذت طريقا فرعيا، وأطلت "**جين**" برأسها من السيارة تعترض على السائق، ولكن هذا الأخير ضحك وزاد من سرعته، فعادت "**جين**" وجلست ثانية وهي تقول ضاحكة:

– كان جواسيسك على حق، وقد اختطفونا الآن. وأظن أنه كلما استطعت الصمود كان هذا أدعى إلى سلامة "**الدوقة**" الكبيرة. مهما يكن من أمر فيجب أن نعطيها الوقت الكافي لكي تعود إلى "**لندن**" سالمة. ارتفعت معنويات الفتاة الروحية أمام توقع الخطر. لن تستسيغ أبدا فكرة إلقاء القنبلة. أما هذا النوع من الأخطار فهو الذي يستهويها حقا. وفجأة صرخت الفرامل وتوقفت السيارة. ووثب رجل على السلم وفي يده مسدس وصاح يقول:

– ارفعا أيديكما. أسرعت الأميرة "**بوبورنسكي**" فرفعت يديها فوراً. أما "**جين**" فنظرت إلى الرجل بازدراء واحتفظت بيديها فوق حجرها. وقالت باللغة الفرنسية تخاطب زميلتها:

– سليه عن معنى هذه الإهانة. لكن قبل أن تتمكن الأميرة من النطق بكلمة واحدة تدفق سيل من السباب والشتائم من فم الرجل بلغة أجنبية لم تفهم "**جين**" كلمة واحدة منها واكتفت بأن هزت كتفيها ولم تقل شيئا. وهبط السائق من

مقعده ولحق بالرجل الآخر وقال وهو يتكلف الابتسام:

– هلا تفضلت السيدة الكبيرة بالهبوط؟ رفعت "**جين**" باقة الزهور إلى وجهها ثانية وهبطت من السيارة وتبعتها الأميرة "**بوبورنسكي**".

– هلا تفضلت السيدة الكبيرة بأن تتبعني؟ لم تبد "**جين**" أي اهتمام بطريقة السائق الوقحة. وسارت بهدوء إلى بيت منخفض يقع على بعد نحو مائة متر من المكان الذي توقفت فيه السيارة. وتبع الرجل المرأتين، وعندما بلغتا الدرجات الأمامية أسرع الرجل فسبقهما ودفع بابا إلى اليسار كشف عن غرفة خاوية إلا من منضدة ومقعدين. ودخلت "**جين**" وجلست على أحد المقعدين. وتبعتها "**أنا ميخايلوفنا**". وأغلق الرجل الباب خلفهما، وأدار المفتاح في القفل. وسارت "**جين**" إلى النافذة وأطلت منها إلى الخارج وقالت:

– أستطيع أن أقفز منها بالتأكيد، ولكنني لن أذهب بعيدا. كلا. من الأصوب أن نبقى هنا وننتظر. إنني أتساءل هل يأتوننا بطعام ما؟ وجاءها الجواب بعد نحو نصف ساعة، فقد جيء بسلطانية كبيرة من الحساء الساخن ووضعت أمامها على المنضدة ومعها كسرتان من الخبز الجاف. وقالت "**جين**":

– لا حق للأرستقراطيين في البذخ بالتأكيد. هل تبدئين أنت أم أبدأ أنا؟ طرحت الأميرة "**بوبورنسكي**" عنها فكرة الأكل بذعر قائلة:

– كيف أستطيع أن آكل؟ من يعرف أي خطر تتعرض له سيدتي الآن؟ أجابت "**جين**":

– إنها على ما يرام. إنما يشغلني مصيري أنا بالذات، فلا ريب في أن هؤلاء القوم لن يطيب لهم أبدا الأمر إذا عرفوا الخطأ الذي وقعوا فيه. والواقع أنهم قد يقدمون على عمل بغيض جدا. سأقوم بدوري طالما استطعت ثم أبادر بالفرار إذا ما عرضت لي الفرصة. لم ترد الأميرة عليها بأية كلمة. وكانت "**جين**" تشعر بجوع شديد فشربت الحساء كله. وكان له طعم غريب. ولكنه كان ساخنا ولذيذا. وبعد ذلك شعرت بالرغبة في النوم، وبدا لها أن الأميرة "**بوبورنسكي**" تبكي في صمت، واعتدلت "**جين**" في جلستها بقدر ما تستطيع وتركت رأسها تسقط فوق صدرها. وراحت في النوم. واستيقظت فجاة، وخيل إليها أنها قضت مدة طويلة وهي مستغرقة في النوم. وكان رأسها ثقيلا ويؤلمها كثيرا. وفجأة رأت شيئا أصابها

بالرعشة ونبه حواسها فوراً. ذلك أنها كانت ترتدي الثوب الجرسيه الأحمر المتوهج. وانتصبت في جلستها ورددت البصر حولها. نعم، إنها مازالت في الغرفة الخاوية بنفس البيت. وكان كل شيء كما هو تماما قبل أن تستغرق في النوم فيما عدا شيئين. كانت النقطة الأولى هي أن الأميرة "**بوبورنسكي**" قد اختفت، أما النقطة الثانية فهو التغيير الذي طرأ على ملابسها. وقالت تحدث نفسها:

« لا يمكن أن أكون قد رأيت حُلماً؛ لأنني إذا كنت قد رأيت كل ذلك في المنام فلا يجب أن أكون هنا ». وألقت نظرة إلى النافذة، وتحققت من نقطة ثالثة وهي أنها حين استغرقت في النوم، كانت أشعة الشمس تتسلل من النافذة أما الآن فقد ألقى البيت ظلا خفيفا على المكان بالخارج. وقالت:

- إن هذا البيت يطل على الغرب، وكان الوقت ظهرا حين استولى عليّ النوم، ولا ريب في أننا الآن صباح اليوم التالي، ومن هذا فلابد أن الحساء قد دس به مخدر. وما دام الأمر كذلك... أوه... إن الأمر كله جنون في جنون. ونهضت واقفة ومضت إلى الباب فوجدته غير موصد. وفحصت البيت، وكان شاغرا يطبق عليه الصمت. ووضعت "**جين**" يدها على رأسها المصدع وحاولت أن تفكر. وعندئذ وقعت عيناها على جريدة ممزقة بجوار الباب العمومي. وكان بها عنوان كبير لفت نظرها. وكان هذا نصه:

(لصة أمريكية في "**إنجلترا**"... الفتاة ذات الثوب الأحمر... سطو جريء على السوق الخيرية بـ "**أوريون هاوس**"). مشت "**جين**" وهي تترنح حتى ضوء الشمس وجلست على الدرجات الأمامية للبيت وقد ازدادت عيناها اتساعا. كانت الحقائق قصيرة وبليغة. فعقب انصراف الدوقة الكبيرة "**بولين**" أخرج ثلاثة رجال وفتاة ترتدي ثوبا أحمر مسدساتهم وهددوا بها الموجودين، واستولوا على المائة زمردة ثم هربوا في سيارة سباق. وحتى الآن لم يعثر لهم على أثر. وجاء في الطبعة الأخيرة للجريدة (وهي جريدة تصدر في وقت متأخر من الليل) أن التحقيق أثبت أن الفتاة ذات الثوب الأحمر كانت تقيم في فندق "**بليتز**" متخذة اسم الآنسة "**مونتريزور**" وأنها قادمة من "**نيويورك**". وقالت "**جين**":

- إنني في ورطة.. ورطة شديدة.. كنت متأكدة أن هناك كمينا. ولم تلبث أن سرت قشعريرة في بدنها فقد ارتفع صوت بدد سكون المكان، وكان صوت رجل

أخذ ينطق بكلمة واحدة على فترات متباعدة.

– اللعنة... اللعنة... اللعنة... واهتزت "**جين**" لهذه الكلمة، فقد كانت تعبيرا صادقا لما تشعر هي به، وأسرعت تهبط الدرجات الأمامية ورأت بزاوية البيت رجلا شابا يحاول أن يرفع رأسه من الأرض، وكان وجهه وسيما لم تر "**جين**" من هو أكثر منه وسامة وجمالا.. كان وجهه مملوءا بالنمش ويبدو عليه الذهول. وعاد يقول:

– اللعنة... رأسي... اللعنة؟ وأمسك وأخذ يحملق إلى "**جين**"، وقال بضعف:

– لابد من أنني في منام. قالت "**جين**":

– هكذا ظننت.. ولكننا في يقظة.. ما الخبر؟

– ضربني بعضهم على رأسي، ومن حسن حظي أنها "ناشفة". وعالج أمره بحيث استطاع أن يجلس وقال باستياء:

– لن يلبث مخي أن يشتغل.. أرى أنني مازلت في نفس المكان. سألته "**جين**" بفضول:

– كيف جئت هنا؟

– إنها قصة طويلة.. وبهذه المناسبة، أنت لست "**الدوقة**" الكبيرة.. أليس كذلك؟

– كلا. أنا فتاة بسيطة اسمي "**جين كليفلاند**". قال الشاب وهو ينظر إليها بإعجاب صادق:

– أنت لست بسيطة. اضطرم وجه "**جين**" وقالت بارتباك:

– يجب أن آتيك ببعض الماء أو بأي شيء آخر. قال الشاب:

– أظن أن هذه هي العادة، ومع ذلك فإنني أفضل الشراب، ذلك إذا استطعت أن تجدي شيئا منه. ولكن "**جين**" لم تعثر على أي شيء منه واكتفى الشاب بأن أخذ جرعة كبيرة من الماء، ثم قال إنه يشعر بتحسن وقال يسأل:

– هل أسرد قصتي أم تبدئين أنت؟

– بل ابدأ أنت.

– إنها قصة قصيرة على أي حال. حدث أنني لحظت أن "**الدوقة**" الكبيرة

مضت إلى تلك الغرفة وهي ترتدي حذاء دون كعب ثم خرجت منها وهي ترتدي حذاء بكعب عال، وقد استغربت ذلك، وأنا لا أحب الأشياء الغريبة. وركبت دراجتي وتبعت سيارتها. ورأيتك وأنت تساقين إلى هذا البيت. وبعد نحو عشر دقائق أقبلت سيارة سريعة سباق هبطت منها فتاة تلبس ثوبًا أحمر ومعها ثلاثة رجال، وكانت تلبس حذاء دون كعب، ودخلوا البيت ولم تلبث الفتاة أن خرجت بعد أن استبدلت بثوبها ثوبًا آخر لونه أبيض وأسود، وركبت السيارة الأولى وبرفقتها امرأة عجوز ورجل له لحية شقراء. وركب الآخران عربة السباق. وحسبت أن الجميع قد غادروا البيت وحاولت أن أدخل من إحدى النوافذ لأخف إلى نجدتك حين ضربني أحدهم على رأسي من الخلف. هذا كل شيء. والآن جاء دورك. وسردت "**جين**" عليه قصتها واختتمت حديثها قائلة:

– وإنه لمن حسن حظي أنك تبعتنا. تصور الورطة التي كنت سأجد نفسي فيها لولا ذلك، فإن "**الدوقة**" الكبيرة كانت ستدعي أنها كانت موجودة في مكان آخر حين وقع السطو على السوق الخيرية وأنها بلغت "**لندن**" في سيارتها.. ما كان أحد ليصدق قصتي الغريبة التي لا تعقل. قال الشاب باقتناع:

– هذا صحيح. وكانا غارقين تقريبا في سرد مغامراتهما بحيث أنهما غفلا عن كل ما يحيط بهما. ووقعت عيونهما فجأة على رجل طويل القامة على وجهه سيماء الحزن يعتمد بظهره على جدار البيت. وأومأ برأسه إليهما وهو يقول:

– هذا أمر مثير للاهتمام جدا. صاحت "**جين**" :

– من أنت؟ لمعت عينا الرجل قليلا وهو يقول برقة:

– المفتش "**فاريل**" . وقد أصغيت باهتمام كبير إلى قصتك يا سيدي وإلى قصة السيدة الشابة.. وما كنا لنصدقهما بسهولة لولا نقطتان.

– وما هما؟

– حسنا. سمعنا أن "**الدوقة**" الكبيرة هربت من "**باريس**" صباح اليوم ومعها سائقها. لهثت "**جين**" في حين استطرد المفتش:

– ثم علمنا بعد ذلك أن هذه اللصة الأمريكية قد أقبلت إلى بلادنا، وكنا نتوقع خبطة من هذا النوع. وسوف نلقي القبض عليها وعلى شركائها قريبا جدًا.. ويمكنني أن أعدكما بهذا... أرجو معذرتكما لحظة. وصعد الدرجات الأمامية

للبيت ودخل. وقالت "**جين**" وهي تحاول أن تتظاهر بالقوة:

– حسنا. ثم قالت فجأة:

– كان ذكاء شديدا منك أن لحظت مسألة الحذاء. أجاب الشاب:

– أبدا... إنني نشأت بين الأحذية؛ فإن أبي ملك الأحذية، وكان يريدني أن أشترك معه في تجارته وأن أتزوج وأستقر لا لشيء خاص.. وإنما للمبدإ فحسب... ولكنني أردت أن أكون فنانا. وتنهد. قالت "**جين**" برفق:

– إنني آسفة جدا.

– وقد حاولت لمدة ست سنوات، ولكنني لم أفلح ولم أصب أية شهرة، وأنا من الحكمة بحيث قررت أن أتخلى عن عنادي وأن أعود إلى البيت كما يعود الولد العاق، فهناك وظيفة تنتظرني. قالت "**جين**" بشوق:

– إن العمل أفضل شيء.. هل تظن أنك تستطيع أن تجد لي وظيفة في أحد محال الأحذية؟

– بل أستطيع أن أقدم إليك وظيفة أفضل.. إذا شئت؟

– أوه.. وما هي؟

– لا أهمية لذلك الآن، سأذكر لك ذلك فيما بعد.. هل تعلمين أنني حتى الأمس لم أكن قد التقيت بالفتاة التي تعجبني لكي أتزوجها؟

– حتى الأمس؟

– أعني في السوق الخيرية... ثم رأيتها... الفتاة الفريدة... الوحيدة. وحدق إلى "**جين**" بشدة فأسرعت هذه تقول وقد احمرت وجنتاها:

– ما أجمل زهور الـ "**دلفنيون**" هذه! قال الشاب:

– ليست زهور "**دلفنيون**" وإنما هي زهور بسلة. قالت "**جين**":

– ليس لهذا أية أهمية. فقال:

– هذا صحيح. وازداد منها دنوا.

*****

عطلة مثمرة

أهم الشخصيات

– "**دوروثي برات**" (تغير اسمها إلى "**جين**" بمعرفة مخدومتها العجوز): تقضي العطلة مع صديقها "**إدوارد**".

– "**ماكينزي جوني**": مخدومة الآنسة "**جين**".

– "**إدوارد بالجروف**" (**تيد**): صديق "**جين**" حصل على عقد من الياقوت في سلة الكريز في أثناء العطلة.

قالت الآنسة "**دوروثي برات**" للمرة الرابعة:
– حسنا. هذا أمر سار حقا. كم أود أن تراني تلك العجوز الشمطاء الآن... قبحها الله. وتلك المرأة العجوز التي جاءت سيرتها بهذه المرارة هي السيدة "**ماكينزي جوني**" المحترمة، مخدومة الآنسة "**برات**"، وهي امرأة لها آراء معينة بخصوص الأسماء التي تليق بالفتيات، وقد شاء لها أن تغير اسم الآنسة "**برات**" إلى اسم "**جين**" وأصبحت لا تناديها إلا به مما كان يثير حنق هذه الأخيرة. ولم يرد زميل الآنسة "**برات**" فوراً لسبب وجيه، وهو أنه حين تشتري سيارة صغيرة مستعملة من طراز "**أوستن**" بمبلغ عشرين جنيها وتخرج بها للمرة الثانية. فإن كل اهتمامك لابد أن ينحصر في استخدام يديك وقدميك بكل حذر في اللحظة الضرورية. وقال السيد "**إدوارد بالجروف**":
– آه.. وحاول أن يتغلب على صوت قرقعة فظيعة من شأنها أن تثير فزع أي ميكانيكي قدير. وقالت "**دوروثي**" متذمرة:
– إنك لست متحدثا لبقا مع الفتيات. وأعفاه سائق حافلة في هذه اللحظة بالذات من الرد بأن قذفه بأقبح الشتائم والسباب.

– أوه.. يا له من وقح. وقال الشاب بمرارة:

– وددت لو أراه يعالج هذه الفرملة.

– هل تجد صعوبة معها؟ أجاب السيد "**باجروف**":

– يمكنك أن تضغطي عليها بقدمك حتى نهاية العالم دون أن يكون لعملك هذا أية نتيجة.

– أوه يا "**تيد**".. لا يمكنك أن تحصل على كل ما تريد بعشرين جنيها. ومهما يكن فها نحن نجلس في سيارة حقيقية وفي أصيل يوم أحد، وخارج المدينة كما يفعل الجميع. قرقعة أخرى يتبعها صوت أشبه بصوت يتحطم ثم قال "**تيد**" وقد احمر لونه من الانتصار:

– آه... هذا أفضل. وقالت "**دوروثي**" بإعجاب:

– إنك تسوق ببراعة. وأمام هذا التشجيع من فتاته حاول السيد "**باجروف**" الانطلاق من "**هامر سميث برودواي**"، لكن كان من نتيجة ذلك أن لقي تعنيفا شديدا من أحد رجال الشرطة. وقالت "**دوروثي**" وهما يقتربان من "**هامر سميث بريدج**" بسرعة معتدلة:

– حسنا لا أدري ما الفائدة من رجال الشرطة... أليس في مقدورهم أن يتكلموا بطريقة مهذبة بعد أن افتضح أمرهم أخيرا؟ قال "**إدوارد**" بحزن:

– مهما يكن فلم يكن في نيتي أن أمر بهذا الطريق.. كنت أريد الذهاب عن طريق "**جريت وست رود**" وأن أترك للسيارة العنان. قالت "**دوروثي**":

– وأن تقع في فخ كذلك الذي وقع فيه مخدومي في الأسبوع الماضي، وتدفع غرامة خمسة جنيهات مثله. قال "**إدوارد**" بكرم:

– إن رجال الشرطة ليسوا أغبياء على كل حال فهم يغرمون الأغنياء ولا يفرقون بين أحد. إنني أحس بالغثيان حين أفكر في هؤلاء المغرورين الذين يمضون إلى كل مكان ويشترون سيارتين من طراز "**رولز رويس**" دون أن تهتز شعرة واحدة منهم... ليس في هذا أي عدل... فإنني لا أقل عنهم في شيء. قالت "**دوروثي**":

– والحلي والمجوهرات!.. وهذه المحلات في شارع "**بوند**"!.. الماس وزمرد وياقوت ولا أدري ماذا.. في حين أنني لا أملك غير هذا العقد من اللآلئ "الفالصو"

المقلدة. وأطالت الحديث في هذا الموضوع بحزن، وأولى "**إدوارد**" كل اهتمامه مرة أخرى للقيادة. واستطاع الخروج من حي "**ريشموند**" دون أي حادث، وكان زجر الشرطي له قد هدأ أعصابه فراح يسير على مهل لا يفكر في تجاوز أية سيارة أمامه مهما كانت الظروف. ولم يلبث أن وجد نفسه بهذه الطريقة منطلقا في طريق ريفي ظليل يتمناه كل سائق يفتقر إلى التجربة. وقال دون أي خجل:

– إنني أحسنت إذ انحرفت عن الطريق الرئيسي، أليس كذلك؟ قالت الآنسة "**برات**" :

– هو ذلك.. ثم إن هناك رجلا يبيع فاكهة في هذا الطريق. وكان هذا حقا، ففي مكان ملائم من الطريق كانت هناك منضدة صغيرة عليها بضع سلال من الفاكهة ولافتة عليها هذه الكلمات "الفاكهة اللذيذة" . وقال "**إدوارد**" يسأله بخوف بعد أن داس على الفرملة وحصل على النتيجة المرجوة:

– كم؟ وقال البائع:

– فاكهة لذيذة! وكان رجلا دميما له نظرة شذراء، أردف يقول:

– فاكهة ناضجة وطازجة.. وكريز أيضا.. فاكهة البلد. هل تريدين سلة من الكريز ياسيدتي؟ وقالت "**دوروثي**" :

–إنها تبدو جميلة. فقال الرجل بصوت أجش:

– إنها لكذلك.. ستجلب لك الحظ يا سيدتي.. وتنازل أخيرا فقال ردا على سؤال "**إدوارد**" :

– ثمنها شلنان فقط، وهي رخيصة جدا، وسوف تتحقق من ذلك إذا عرفت ما بداخل السلة. وقالت "**دوروثي**" :

– إن شكلها جميل جدا. تنهد "**إدوارد**" وناول البائع شلنين. كان عقله مشغولا بعملية حسابية.. الشاي بعد ذلك وثمن البنزين.. إن عطلة يوم الأحد هذه باهظة التكاليف. وهذا أسوأ ما في الأمر حين يخرج المرء مع فتاة، فهي تريد الحصول على كل ما تقع عيناها عليه. قال الرجل الدميم:

– شكرا لك يا سيدي. صدقني أنك حصلت على أكثر من نقودك. داس "**إدوارد**" على دوّاسة السرعة بعنف فاندفعت السيارة نحو البائع كالكلب المسعور فأسرع يقول:

– آسف.. نسيت أن المحرك دائر. قالت "**دوروثي**" :

– يجب أن تكون حريصا يا عزيزي فقد كان من الجائز أن تصيبه. لم يجب "**إدوارد**" ، وبعد ثماني مائة متر بلغا مكانا مثاليا على ضفة جدول صغير، فأوقف السيارة على حافة الطريق، وجلس هو و"**دوروثي**" فوق العشب على حافة الجدول وأخذا يأكلان الكريز. وكان بجوارهما على الأرض جريدة مزق بعضهم رأسها وألقاها بعد أن قرأها. واستلقى "**إدوارد**" على ظهره وأرخى قبعته فوق عينيه ليحميهما من أشعة الشمس وقال:

– ما الأنباء؟ ألقت "**دوروثي**" نظرة إلى العناوين وراحت تقول:

– الأم التعيسة.. قصة غريبة.. ستة وعشرون شخصا يغرقون في الأسبوع الماضي.. مصرع طيار.. سرقة المجوهرات المثيرة.. اختفاء عقد ثمين من الياقوت ثمنه خمسون ألف جنيه. وتابعت قراءتها قائلة:

– والعقد مكون من إحدى وعشرين ياقوتة مركبة على طقم من البلاتين وأرسل في طرد مسجل من "**باريس**" . وعند الوصول لم يكن الطرد يحتوي إلا على عدد من الحصى والحجارة أما العقد نفسه فقد اختفى. قال "**إدوارد**" :

– سرق في البريد.. أعتقد أن هيئة البريد في "**فرنسا**" يرثى لها. وقالت "**دوروثي**" :

– وددت أن أرى عقدا كهذا.. يلمع كالدم.. دم الحمام.. هكذا يصفون لونه.. إنني لأتساءل عن شعور المرأة وحول جيدها مثل هذا العقد. قال "**إدوارد**" مازحا:

– لن تعرفي ذلك أبدا يا فتاتي. رفعت "**دوروثي**" رأسها وقالت:

– ولِمَ لا.. وددت أن أعرف ذلك.. إن الفتيات تنجح في أيامنا هذه.. وأنا مثلا أستطيع أن أعمل في المسرح. قال "**إدوارد**" يثبط من عزيمتها:

– إن الفتيات المهذبات لا يسلكن هذا المسلك. فتحت "**دوروثي**" فمها لكي ترد عليه ولكنها راجعت نفسها وقالت:

– أعطني الكريز. وقالت:

– إنني أكلت منه أكثر منك. سأجعل الباقي قسمين.. ولكن ما هذا الذي أراه في قاع السلة؟ وأخرجته وهي تتكلم.. سلسلة طويلة من الأحجار الحمراء اللامعة

نظرا إليها بذهول وقال "**إدوارد**" أخيرا:

– في السلة؟ أومأت "**دوروثي**" برأسها وقالت:

– في القاع.. تحت الفاكهة. وحملق كل منهما إلى الآخر للمرة الثانية. وقال "**إدوارد**" :

– وكيف تظنين أنها جاءت إلى هذا المكان؟

– لا أدري. هذا غريب يا "**تيد**"، خصوصا بعد قراءة نبإ السرقة في هذه الجريدة.. أعني سرقة عقد الياقوت. ضحك "**تيد**" وقال:

– لا أظنك تحسبين أنك تمسكين بين يديك خمسين ألف جنيه؟

– إنما قلت إن هذا غريب.. عقد من الياقوت على طقم من البلاتين.. إن البلاتين يبدو كالفضة القاتمة.. كهذا تماما.. لا يلمع، أوليس لونها جميلا؟ إنني أتساءل كم ياقوتة في هذا العقد (وراحت تعد).. "**تيد**".. إنها إحدى وعشرون ياقوتة تماما.

– حقا؟!

– نعم.. نفس العدد المذكور في الجريدة.. أوه يا "**تيد**".. ألا تظن؟ قال بتردد:

– من الجائز أن يكون هو. هناك أشياء كثيرة يمكن أن نتأكد منها.. كأن ندعكها فوق الزجاج مثلا.

– إنما تفلح هذه الطريقة في معالجة الألماس.. إن هذا البائع كان غريبا يا "**تيد**".. له نظرة غريبة.. وكانت طريقته نفسها غريبة وهو يبيعنا السلة.. قال إننا حصلنا بها على أكثر من نقودنا.

– نعم. ولكن اسمعي يا "**دوروثي**".. ما حاجته إلى أن يعطينا خمسين ألف جنيه هكذا؟ هزت الآنسة "**برات**" رأسها بيأس وقالت:

– هذا لا معنى له.. إلا إذا كانت الشرطة تطارده. هتف "**إدوارد**" وقد شحب لونه:

– الشرطة.

– نعم، يقولون في الجريدة إن الشرطة تقتفي أثرا. سرت القشعريرة في بدن "**إدوارد**" وقال:

– لا يروقني هذا يا "**دوروثي**" .. ماذا لو ألقت الشرطة القبض علينا نحن؟ حدقت "**دوروثي**" إليه وقد فغرت فاها وقالت:

– ولكننا لم نفعل شيئا يا "**تيد**" .. إننا عثرنا عليه في السلة.

– وهل يصدقون هذه القصة؟ إنها قصة غريبة غير معقولة. سلمت الفتاة قائلة:

– هذا صحيح.. أوه يا "**تيد**" .. هل تظن أن هذا هو نفس العقد الذي يتكلمون عنه حقا؟ إنها لتبدو كقصة من قصص الخيال. قال "**إدوارد**" :

– إنها لا تشبه قصص الخيال، بل إنها لتبدو لي قصة يساق فيها البطل ظلما وجورا إلى سجن "**دارتمور**" ليقضي فيه أربع عشرة سنة. ولكن "**دوروثي**" لم تكن تصغي إليه، فقد وضعت العقد حول جيدها وراحت ترى تأثيره فيها في مرآة صغيرة أخرجتها من حقيبتها. وتمتمت تقول بانفعال:

– إنني أبدو به كما لو كنت "**دوقة**" حقا. وقال "**إدوارد**" بعنف:

– إنني لا أستطيع أن أصدق ذلك.. إنها أحجار زائفة.. لابد أن تكون زائفة.

قالت "**دوروثي**" وهي مستغرقة في تأمل صورتها في المرآة:

– نعم يا عزيزتي.. هذا جائز.

– وإذا لم يكن الأمر كذلك لكان مصادفة غريبة. وتمتمت "**دوروثي**" :

– دم الحمام.

– هذا سخيف.. هذا هو رأيي.. اسمعي يا "**دوروثي**" .. هل تصغين إليَّ أم لا؟ ألقت "**دوروثي**" المرآة من يدها وتحولت إليه وإحدى يديها على العقد الذي حول جيدها وقالت تسأله:

– كيف أبدو؟ حدق "**إدوارد**" إليها وقد نسي متاعبه. لم يسبق أن رأى "**دوروثي**" بهذه الطريقة قط. كانت تتألق جمالا وفتنة. كان اعتقادها أنها تضع حول جيدها عقدا من الياقوت يساوي خمسين ألف جنيه جعلها امرأة جديدة. كانت تبدو به جميلة جدا.. كما لو كانت "**كليوباترا**" و "**سميراميس**" و"**زينوبيا**" وقد امتزجن كلهن في واحدة. وقال بتواضع:

– إنك.. إنك ساحرة. ضحكت "**دوروثي**" ، وكانت ضحكتها هي الأخرى مختلفة. وقال "**إدوارد**" :

– أصغي إليَّ... يجب أن نفعل شيئا... يجب أن نذهب بهذا العقد إلى مركز الشرطة. قالت "**دوروثي**" :

– هذا سخف.. أنت نفسك قلت منذ لحظات إنهم لن يصدقوننا... سيزجون بك في السجن بتهمة السرقة بكل تأكيد.

– لكن ماذا نفعل إذن؟ قالت "**دوروثي برات**" الجديدة:

– لنحتفظ به. نظر "**إدوارد**" إليها مشدوها وقال:

– نحتفظ به؟! هل جننت؟!

– إننا عثرنا عليه، أليس كذلك؟ ما الذي يحملنا على الظن بأنه ذو قيمة؟ سنحتفظ به، وسأضعه حول عنقي...

وستلقي الشرطة القبض عليك. تأملت "**دوروثي**" الأمر دقيقة أو دقيقتين ثم قالت:

– حسنا، سنبيعه ويمكنك أن تشتري عندئذ سيارة "**رولزرويس**" أو سيارتين. وسأشتري عقدين من الألماس وبضعة خواتيم. راح "**إدوارد**" ينظر إليها وقد ازدادت دهشته. وبدا الضيق على "**دوروثي**" وقالت بفروغ صبر:

– هذه فرصة تسنح لك الآن وعليك أن تنتهزها... إننا لم نسرقه... ما كنت لأقبله لولا ذلك، لقد جاءنا وأظنها الفرصة الوحيدة التي تسنح لنا لكي نحصل على كل الأشياء التي نريدها.. أليست لديك أية جرأة يا "**إدوارد بالجروف**"؟ أسعفه النطق أخيرا فقال:

– تقولين نبيعه؟... ليس الأمر من السهولة كما تتصورين، فما من تاجر من تجار المجوهرات إلا ويريد أن يعرف من أين جاءنا.

– لن نذهب به إلى أحد تجار المجوهرات... ألا تقرأ الروايات البوليسية يا "**تيد**"؟... امض به إلى أحد تجار المسروقات.

– ومن لي بمعرفة أحدهم؟ إنني رجل محترم لا صلة لي بمثل هؤلاء القوم. قالت "**دوروثي**":

– إن الرجال يجب أن يعرفوا كل شيء... فقد خلقوا رجالا لهذا السبب. نظر إليها. كانت هادئة عنيدة، فقال بضعف:

– ما كنت لأتوقع منك هذا.

– أما أنا فكنت أتوقع منك روحا عالية. وساد بينهما الصمت. ونهضت "**دوروثي**" واقفة أخيرا وقالت:

– حسنا... من الأفضل أن نعود إلى البيت الآن.

– وحول عنقك هذا الشيء. خلعت الفتاة العقد ونظرت إليه بتبجيل ثم أسقطته في حقيبتها فقال "**إدوارد**":

– أعطيني إياه.

– كلا.

– بل ستفعلين... فإنني تربيت على الأمانة والشرف يا فتاتي.

– حسنا، يمكنك أن تظل على أمانتك وشرفك ولا حاجة بك إلى الاهتمام بأمره. قال "**إدوارد**" بهدوء:

– أوه... أعطيني إياه... سأمضي إلى أحد تجار المسروقات وأبيعه إياه، فهذه هي فرصتنا الوحيدة كما تقولين. مهما يكن فقد حصلنا عليه بطريقة شريفة... اشتريناه بشلنين، وهذا لا يختلف عما يفعله السادة المحترمون في محلات الآثار والعاديات كل يوم ويفخرون به. قالت "**دوروثي**":

– هو ذلك. أوه يا "**إدوارد**"... إنك رائع. وناولته العقد فدسه في جيبه. أحس بأنه أحرز تقدما كبيرا في الناحية العملية. وبدأ يسوق سيارته "**الأوستن**" وهو في هذه الحالة من الانفعال. وكانت هي الأخرى لا تقل عنه انفعالا بحيث نسي كل منهما الشاي. وعادا إلى "**لندن**" في صمت. وما إن بلغا المدينة حتى تقدم أحد رجال الشرطة منهما فركض قلب "**إدوارد**" بين ضلوعه. وبلغا البيت أخيرا دون أي حادث بشيء من المعجزة. وكانت كلمات "**إدوارد**" الأخيرة وهو يودع "**دوروثي**" مشوبة بروح المغامرة فقد قال:

– سنفرغ من هذه المسألة. خمسون ألف جنيه... إنه مبلغ يستحق كل مجازفة. ورأى في المنام في تلك الليلة سجن "**دارتمور**" ونهض في الفجر شاحب اللون زائغ النظرات وشديد الارتباك. كان عليه أن يبحث عن أحد تجار المسروقات، ولم تكن لديه أية فكرة عن كيفية الاهتداء إليه. وتأثر عمله في المكتب بسبب ذلك، وعنفه رؤساؤه مرتين قبل الغداء. كيف يهتدي المرء إلى تجار المسروقات؟ ربما في "**وايتشابل**"... أو قد يكون ذلك في "**ستيبني**". وعند عودته إلى المكتب بعد الغداء جاءته مكالمة، وكانت المتحدثة هي "**دوروثي**"... وقالت له وهي تنتحب:

– اسمع يا "**تيد**"... قد تأتي سيدتي من لحظة إلى أخرى، ويجب أن أضع

السماعة حالا... إنك لم تفعل شيئا بعد؟ ولما أجابها بالنفي أسرعت تقول:

- حسنا... اسمع إذن يا "**تيد**"... لا تفعل شيئا... إنني قضيت كل الليل ساهرة لم يغمض لي جفن... وكان الأمر مروعا. أفكر فيما جاء في الإنجيل من أننا يجب ألا نسرق. لا ريب في أنني كنت مجنونة بالأمس... لابد من أنني كنت كذلك. لا تفعل شيئا يا حبيبي. هل أحس السيد "**بالجروف**" بالارتياح؟ هذا جائز. ولكنه لن يعترف بذلك على كل حال ولهذا قال بصوت قوي وعزم:

- عندما أقول إنني سأفعل شيئا ما فلابد لي من أن أفعله.

- أوه يا "**تيد**".. يجب ألا تفعل ذلك يا حبيبي. أوه يا ربي... إنها آتية... اسمع يا "**تيد**"... إنها ستخرج لتناول العشاء الليلة وأستطيع أن أخرج وألتقي بك... لا تفعل قبل أن تراني... الساعة الثامنة... انتظرني عند الناصية. وتغير صوتها إلى الهمس فجأة وقالت:

- نعم يا سيدتي... الرقم غلط... كان المتحدث يريد رقم 543 "**بلو مسبوري**". وحين غادر "**إدوارد**" المكتب في الساعة السادسة لفت نظره عنوان كبير في إحدى الجرائد كان هذا نصه: «سرقة المجوهرات... آخر الأنباء»

وأسرع فاشترى نسخة من الجريدة فتحها بعد أن أخذ مكانه في المترو وسرعان ما وجد ما يبحث عنه بسهولة. ولم يلبث أن أفلت صفير من بين شفتيه وتمتم:

- حسنا... إنني... ثم لفت نظره نبأ آخر ما كاد يقرؤه حتى أفلتت الجريدة من بين أصابعه. وفي تمام الساعة الثامنة كان واقفا ينتظر في المكان المحدد، وأقبلت "**دوروثي**" لاهثة شاحبة ولكن جميلة، وأسرعت تقول:

- إنك لم تفعل شيئا يا "**تيد**"، أليس كذلك؟

- كلا. وأخرج عقد الياقوت من جيبه وقال:

- يمكنك أن تحتفظي به.

- ولكن يا "**تيد**"...

- لقد عثرت الشرطة على العقد المسروق وألقت القبض على السارق... والآن اقرئي هذا... ووضع تحت أنفها المقال الذي سبق أن قرأه وقرأت بدورها:

«انتهجت شركة "**نايننبي للمجوهرات**" التقليد طريقة جديدة للإعلان عن منتجاتها لمنافسة شركة "**وولورث**"، فقد بيعت أمس بعض سلال من الفاكهة،

وسيستمر بيعها كل يوم أحد، وفي كل خمسين سلة تطرح للبيع في ذلك اليوم سيكون في واحدة منها عقد تقليد مكون من أحجار مختلفة اللون، وهذه العقود لها قيمة مالية وقد تسببت في انفعال كبير وسرور أكبر بالأمس، وسوف تجد هذه السلال سوقا رائجة يوم الأحد المقبل، ونحن نهنئ شركة "**نايبنبي للمجوهرات**" لهذه الطريقة البارعة التي اتبعتها للإعلان عن منتجاتها ونتمنى لها كل توفيق».

قالت "**دوروثي**" :

– حسنا... وأمسكت لحظة ثم عادت تقول:

– حسنا... وقال "**إدوارد**" :

– إنني أشعر بنفس شعورك. ودس أحد المارة ورقة في يده في هذه اللحظة وهو يقول:

– إليك واحدة أيها الأخ. ونظر "**إدوارد**" إلى الورقة فإذا بها هذه الكلمات: «المرأة الفاضلة خير ألف مرة من اليواقيت» وهتف يقول:

– إيه! أرجو ألا تحزني. قالت "**دوروثي**" مترددة:

– لا أدري... الحق أنني لا أريد أن أبدو كامرأة فاضلة. قال "**إدوارد**" :

– أنا لست كذلك، وهذا هو السبب في أن الرجل أعطاني هذه الورقة، فإنك بهذه اليواقيت حول عنقك تبدين بعيدة كل البعد عن المرأة الفاضلة. ضحكت "**دوروثي**" وقالت:

– يا لك من حبيب يا "**تيد**"... تعال... هلم بنا إلى السينما.

*****

عجَلة الحظ

أهم الشخصيات

- "**أفاريم ليدبيتر**" : أحد شركاء شركة "**ليدبيتر وجالينج**" وخال "**جورج**".
- "**جورج دانداس**" : ابن أخت "**أفاريم**"، طرده خاله من الشركة؛ لأنه قام بإجازة دون إذنه.
- "**ماري مونتريزور**" : ثرية، أحبت "**جورج**" وتزوجها. ثم عاد إلى خاله للعمل بالشركة.

وقف "**جورج دانداس**" في حي المال بـ "**لندن**" وراح يفكر. كان كل شيء حوله.. العمال ورجال المال يتدافعون بالمناكب ويجرون كموجة مستمرة، ولكنه وقف أنيقا في ثيابه ورشيقا في بنطلونه لا يلقي إليهم أي اهتمام، ويفكر فيما يجب عليه أن يفعل. فقد وقع ما لم يكن في الحسبان وتبادل مع خاله الثري "**أفاريم ليدبيتر**"، أحد شركاء "**ليدبيتر وجالينج**" بعض الكلمات القاسية والجارحة. وإذا توخينا الدقة فإن الكلمات تدفقت من بين شفتي السيد "**ليدبيتر**" وحده وانهمرت من بين شفتيه كالسيل في مرارة وسخط. ولم يزعجه قط أنه راح يكررها ويعيدها مرارا وتكرارا، فقد كان من عادة السيد "**ليدبيتر**" أن يقول ما يمر بذهنه ويؤكده أكثر من مرة. وكان السبب واهيا، لا يتعدى أن يكون جنون شاب وضعفه أمام مستقبل لابد له من أن يبنيه، ولكنه بدلا من ذلك منح نفسه إجازة في منتصف الأسبوع دون أن يحصل على الإذن بذلك. وبعد أن فرغ السيد "**ليدبيتر**" من كل ما عنده أمسك ليأخذ نفسه وليسأل "**جورج**" عن السبب في ذلك. وأجاب "**جورج**" بكل بساطة بأنه أراد أن يأخذ يوما ما إجازة. وأراد السيد "**ليدبيتر**" أن يعرف ماذا يفعل "**جورج**" ببعد ظهر يوم السبت وبيوم الأحد وماذا

فعل بعيد العنصرة الذي مضى، وماذا سيفعل بيوم الإجازة المقبل في آب (أغسطس) القادم. فرد عليه "**جورج**" بأنه لا يهتم ببعد ظهر يوم السبت ولا بيوم الأحد ولا بأيام العطلة الرسمية وأنه أراد يوما حقيقيا حيث يستطيع أن يجد مكانا هادئا في "**لندن**" لا يزدحم بالناس. قال السيد "**ليدبيتر**" عندئذ إنه بذل كل ما بوسعه لمساعدة ابن أخته وإن ما من أحد يستطيع أن ينكر عليه أنه منحه فرصته وأن كل ذلك لم يأت بنتيجة وأنه يستطيع في المستقبل أن يمنح نفسه إجازة خمسة أيام في الأسبوع زيادة على ما بعد ظهر يوم السبت ويوم الأحد، وأن يفعل في تلك الإجازة ما يشاء. وأردف يقول بلمسة شاعرية:

– إن عجلة الحظ مرت أمامك يا بني ولكنك عجزت عن الإمساك بها. ورد "**جورج**" عليه بأنه لا يشاركه رأيه، فتخلى السيد "**ليدبيتر**" عن شاعريته وأخذه الحنق وطرده. ولهذا السبب وقف "**جورج**" يفكر.. هل يلين خاله أم لا؟ وهل يشعر بأي ميل نحو "**جورج**" أم أنه يحس بنفور جاف نحوه؟ وفي تلك اللحظة بالذات سمع صوتا مألوفا يقول له:

– أهلاً. ووقفت سيارة حمراء سياحية ذات مقدمة كبيرة أمامه وقد جلست أمام عجلة القيادة تلك الفتاة الجميلة المعروفة باسم "**ماري مونتريزور**" (والمجلات المصورة تنشر صورة لها مرة في الأسبوع على الأقل)، وكانت تبتسم لـ "**جورج**" ابتسامة رقيقة. وقالت تخاطبه:

– لم أر في حياتي رجلا أشبه بقطعة من الجماد مثلك.. ألا تريد أن تصعد؟ أجاب "**جورج**" دون تردد وهو يصعد إلى جوارها:

– يسرني ذلك كل السرور. وانطلقت السيارة ببطء بقدر ما سمحت لهما حركة المرور. وقالت "**ماري مونتريزور**":

– إنني تعبت من المدينة، وقد أتيت لكي أرى شكلها ولكنني سأعود إلى "**لندن**". ودون أن يحاول تصحيح أخطائها الجغرافية قال "**جورج**" إنها فكرة رائعة. وتقدما ببطء أحيانا، ومسرعين أحيانا أخرى بقدر ما تسنح الفرصة لـ "**ماري مونتريزور**" للإسراع. وخيل إلى "**جورج**" أنها متفائلة جدا في النقطة الثانية، ولكنه لم يلبث أن أدرك أن المرء لا يموت غير مرة واحدة، ورأى أن من الخير على الأقل ألا يوجه إليها الحديث مفضلا أن تولي زميلته الشقراء اهتمامها بالقيادة. وكانت هي التي بدأت الحديث، واختارت لذلك لحظة كانت تنطلق فيها بكل

سرعة نحو "**هايدبارك كورنر**" فسألته عرضا:

– ألا تريد أن تتزوجني؟ شهق "**جورج**" لكن كان يمكن أن تكون شهقته هذه سببها حافلة كبيرة كادت تصطدم بهما. ومع ذلك فقد كان من دواعي فخره أن أجابها بسهولة:

– يسرني ذلك. قالت "**ماري مونتريزور**" بإبهام:

– حسنا. لعلك تستطيع ذلك ذات يوم. وانعطفت بالسيارة إلى طريق ممهد مستقيم. وتذكر "**جورج**" في هذه اللحظة أنه قرأ بين عناوين الصحف هذه الكلمات.. موقف سياسي خطير.. فتاة من المجتمع تتزوج "**دوقا**".. وفي جريدة أخرى "زواج الدوق "**أرجهيل**" والآنسة "**مونتريزور**".. وقال يسأل بصرامة:

– وما الذي جرى للدوق "**أرجهيل**"؟

– تعني "**بنجو**"؟ أنا وهو مخطوبان.

– لكن ماذا قلت لي الآن؟ قالت "**ماري مونتريزور**":

– أوه.. ذلك أنني لم أقرر من أتزوج بعد.

– إذن لماذا قبلت أن يخطبك؟

– لكي أرى إذا كنت أستطيع ذلك.. كان الجميع يعتقدون أن هذا أمر عسير، ولكنه لم يكن كذلك قط. قال "**جورج**" وهو يحاول إخفاء ارتباكه:

– مسكين "**بنجو**".. إنه قليل الحظ. قالت "**ماري مونتريزور**":

– أبدا.. من الخير له ذلك.. هذا إذا كان يعرف أين خيره.. وهذا ما لا شك فيه.

– لكن أليس هناك سباق اليوم في "**أسكوت**"؟ كنت أعتقد أن ما من شيء يجعلك تغادرين ميدان السباق. تنهدت "**ماري مونتريزور**" وقالت متذمرة:

– أردت أن أمنح نفسي إجازة. صاح "**جورج**" بمرح:

– وهكذا أردت أنا.. لكن كانت النتيجة أن طردني خالي. قالت "**ماري**":

– إذا تزوجنا فإن دخلي وقدره عشرون ألف جنيه يمكن أن يفيد.

– سيسهم في رفاهية البيت بكل تأكيد. قالت "**ماري**":

– بمناسبة الحديث عن البيوت لنمض إلى الريف ونبحث عن بيت تروق لنا الإقامة فيه. كانت خطة بسيطة ودقيقة. وعبرا جسر "**بوتني بريدج**" واجتازا "**كنسنجتون**". وضغطت الفتاة على جهاز السرعة وهي تتنهد. وسرعان ما بلغا الريف. وبعد نصف ساعة صاحت "**ماري**" وهي تبسط يدها في حركة

دراماتيكية. ففوق تل صغير أمامهما كان هناك بيت من تلك البيوت التي اصطلح السماسرة على تسميتها "**بيت الأحلام**" ولك أن تتصور أن وصف أغلب بيوت الريف قد أصبح حقيقة فتكون لديك فكرة عن ذلك البيت. وتوقفت "**ماري**" أمام المدخل وقالت:

– سنغادر السيارة ونمضي إلى البيت لنلقي إليه نظرة.. إنه بيتنا نحن. قال "**جورج**" يوافقها:

– إنه بيتنا بغير جدال، لكن يبدو أن هناك من يقيم به. أتت "**ماري**" بحركة من يدها كما لو كانت تطرد هذه الفكرة، وتقدما في الطرقة الملتوية معا. وبدا البيت أمامهما عن قرب أكثر فتنة وإغراء. وقالت "**ماري**" :

– سندخل ونطل من جميع النوافذ. اعترض "**جورج**" قائلا:

– هل تظنين أن الذين يقيمون به..

– لن أهتم بهم.. فهو بيتنا نحن.. وهم يقيمون فيه عرضا.. ثم إن اليوم جميل ولابد أنهم بالخارج.. وإذا فاجأنا أحد فسأقول.. إنني ظننت أنه بيت السيدة "**باردو نستنجر**" وإنني آسفة لهذا الخطإ. قال "**جورج**" بتفكير:

– نعم.. هذا جائز. ونظرا من خلال النوافذ. كان البيت مؤثثا بذوق سليم. وكانا يطلان من نافذة المكتب حين سمعا وقع خطوات تدوس على الحصى خلفهما فتحولا ليريا أمامهما رئيس خدم وقور فقالت "**ماري**" :

– أوه. ثم رمته بابتسامة ساحرة وقالت:

– هل السيدة "**باردو نستنجر**" موجودة؟ كنت أنظر لأرى إن كانت بغرفة المكتب. أجابها رئيس الخدم قائلا:

– نعم، إن السيدة "**باردو نستنجر**" موجودة بالداخل تفضلا من هنا.
ولم يسعهما إلا أن يتبعا رئيس الخدم، وكان "**جورج**" يفكر في عجائب الأقدار.. تنطق زميلته باسم ما مصادفة واتفاقا وإذا بهما يقعان على صاحبته على الرغم من غرابته. وتمتمت "**ماري**" تقول:

– دعني أتصرف.. سيكون كل شيء على ما يرام. وتركها "**جورج**" تتصرف، فقد رأى الموقف يتطلب ذكاء المرأة. وتقدمهما رئيس الخدم إلى غرفة الاستقبال. وما إن غادرهما حتى انفتح الباب فوراً، ودخلت سيدة ضخمة متوردة الوجه ذات شعر أبيض بفعل البروكسيد. تقدمت "**ماري مونتريزور**" خطوة نحوها ولكنها لم

تلبث أن توقفت وقد تظاهرت بالدهشة وهتفت:

– ولكن.. أنت لست "**آمي**".. ما أغرب هذا! وارتفع صوت غليظ يقول:

– نعم.. هذا غريب. وقد دخل خلف السيدة "**باردو نستنجر**" رجل ضخم له وجه البلدوج ونظرة كئيبة. وفكر "**جورج**" في أنه لم يسبق أن رأى وحشا بغيضا مثله. وأغلق الرجل الباب، ووقف موليا ظهره إليه. وعاد يقول متهكما:

– إنها قصة غريبة، ولكنني أعتقد أننا نفهم لعبتكما الصغيرة. ثم شهر فجأة مسدسا ضخما في يده وقال:

– ارفعا أيديكما. فتشيهما يا "**بيللا**". وكان "**جورج**"، وهو يقرأ الروايات البوليسية يتساءل ما معنى التفتيش. وقد عرف معناه الآن. فإن "**بيللا**" (السيدة "**باردو نستنجر**" سابقا) تأكدت من أنهما لا يحملان سلاحا. وقال الرجل:

– أحسبتما نفسيكما ذكيين؟ تأتيان هكذا وتتظاهران بالبراءة، ولكنكما أقدمتما على غلطة هذه المرة.. غلطة سيئة.. والواقع أنني أشك في أن يراكما أصدقاؤكما بعد ذلك.. آه.. لا تفكر في أية لعبة من ألاعيبك وإلا أرديتك قتيلا فوراً. ذلك لأن "**جورج**" كان قد صدرت منه حركة كما لو كان يفكر في مهاجمة الرجل وارتعشت "**ماري**" وقالت:

– كن حريصا يا "**جورج**". أجابها "**جورج**" وهو يأخذ نفسا طويلا:

– سأكون. وقال الرجل:

– والآن تقدما.. افتحي الباب يا "**بيللا**".. احتفظا بأيديكما فوق رأسيكما. ولتتقدم السيدة أولا. هذا حسن. سأسير خلفكما عبر الدهليز. تقدما وأطاعا. وماذا كان في وسعهما أن يفعلا غير ذلك. صعدت "**ماري**" الدرج ويداها فوق رأسها. وتبعها "**جورج**" وسار الرجل الضخم خلفهما ومسدسه في يده. وبلغت الفتاة رأس السلم وانعطفت نحو الطرقة. وفي نفس الوقت ودون أي إنذار تحول "**جورج**" واندفع نحو الرجل في عنف وضربه برأسه في صدره فترنح الرجل ووقع أسفل السلم. وأسرع "**جورج**" خلفه وانحنى فوقه والتقط المسدس الذي وقع من يد الرجل وهو يسقط. أطلقت "**بيللا**" صرخة وأسرعت إلى باب جانبي وهبطت "**ماري**" السلم بسرعة وقد شحب وجهها وقالت:

– "**جورج**".. هل قتلته يا "**جورج**"؟ كان الرجل ملقى مكانه لا يتحرك. وانحنى "**جورج**" فوقه وقال بأسف:

– لا أظن أنني قتلته.. إنه فقد رشده. أسرعت تقول لاهثة:
– الحمد لله. قال "**جورج**" يتابع حبل أفكاره:
– لو أن معنا ما نوثق به هذا الرجل. أظن أنك لن تجدي حبلا أو شريطا ما هنا؟ قالت "**ماري**":
– كلا.. لن أستطيع.. هلم بنا.. أرجوك.. أتوسل إليك.. إنني خائفة. قال "**جورج**" بقوة:
– لا حاجة بك إلى الخوف، فأنا هنا.
– أرجوك يا عزيزي "**جورج**".. لأجل خاطري.. لا أريد أن انخرط في هذه الفضيحة.. هلم بنا.. أرجوك. غيرت الطريقة الرقيقة التي نطقت بها "لأجل خاطري" رأي "**جورج**" فخرج معها من البيت وأسرعا عبر الطرقة إلى حيث السيارة المنتظرة. وقالت "**ماري**" بإعياء:
– قد أنت السيارة، فإنني أشعر بأنني لن أستطيع ذلك. وجلس "**جورج**" أمام عجلة القيادة وهو يقول:
– لكن يجب أن أجلو سر هذه المسألة، فلا يعلم غير الله وحده ما كان يريد ذلك الرجل الدميم أن يفعل. لن أخبر الشرطة بأمره إذا كنت لا تريدين. ولكنني سأحاول أن أتحقق من الأمر بنفسي. يجب أن أقفو أثرهم.
– كلا يا "**جورج**".. لا أريدك أن تفعل.
– أتقع لنا مغامرة مثيرة كهذه وتريدين مني أن أتراجع عنها؟ كلا، أبدا. قالت "**ماري**" باكية:
– ما كنت أظنك متعطشا للدماء إلى هذا الحد.
– لست متعطشا للدماء. ولم أكن أنا البادئ.. إن ذلك الرجل البغيض هددنا بمسدسه الضخم.. وبهذه المناسبة.. لماذا لم ينطلق هذا المسدس بحق السماء.. أعني عندما ضربته فوق السلم؟ وأوقف السيارة وأخرج المسدس من درج القفازات حيث كان قد وضعه. وبعد أن فحصه صفر طويلا ثم قال:
– عليَّ اللعنة.. إنه غير محشو.. لو أنني عرفت ذلك.. وأمسك وقد أخذته أفكاره، ثم قال:
– "**ماري**".. هذه قصة غريبة جدًّا.
– إنني أعرف ذلك؛ ولهذا أرجوك ألا تهتم بها. قال "**جورج**" بعزم:

– أبدا. أطلقت "**ماري**" تنهيدة تقطع نياط القلوب وقالت:

– أوه، أرى أنني يجب أن أخبرك بكل شيء.. وأسوأ ما في الأمر هو أنني لا أعرف كيف ستقابل كل هذا.

– ماذا تعنين؟ تكلمي.

– هذا هو الأمر.. وأمسكت، ثم قالت:

– أشعر بأن الفتيات يجب أن يخلصن بعضهن لبعض وأن يصررن على معرفة شيء بخصوص الرجال الذين يلتقين بهم. قال "**جورج**" محيرا:

– حسنا.

– وأهم للفتاة هو أن تعرف كيف يتصرف الرجل عند الضرورة، وهل هو سريع البديهة وشجاع وسريع الإدراك، وهذا شيء لا يمكن أن تعرفه الفتاة إلا بعد أن يكون الأوان قد فات، فقد لا تقع الطوارئ إلا بعد أن تتزوج بسنوات، وكل ما تعرفه عن الرجل الذي تزوجته أنه يجيد الرقص ويستطيع الحصول على سيارة أجرة في ليلة عاصفة.. قال "**جورج**":

– وهذان عملان لهما أكبر الفائدة..

– نعم، ولكن المرأة تريد أن تعرف إلى جانب هذا أن الرجل الذي معها رجل حقا.. قال "**جورج**":

– تعنين المسافات الكبيرة؛ حيث يظهر الرجال على حقيقتهم؟

– تماما، لكن ليس لدينا في "**إنجلترا**" مسافات كبيرة، ولهذا يجب أن نخلق الموقف صناعيا وهذا هو ما فعلت.

– ماذا تعنين؟

– هو ذلك.. ذلك البيت ملكي أنا، وقد جئنا إليه لغرض معين وليس عرضا.. والرجل.. ذلك الرجل الذي كدت أن تقتله.

– نعم؟

– هو "**روب والاس**" الممثل، وهو يقوم بأدوار الملاكمين كما تعرف، ولكنه رجل رقيق الحاشية بالتأكيد، وقد تعاقدت معه؛ ولهذا السبب خشيت أن تكون قد قتلته، أما المسدس فلم يكن محشوا بالتأكيد، فهو من مستلزمات الاستديو.. أوه يا "**جورج**".. هل أنت غاضب جدا؟

– هل أنا أول شخص حاولت معه.. هذه التجربة؟

– أوه، كلا. كانت هناك تسع حالات ونصف قبلك. قال "**جورج**" بفضول:
– ومن كان النصف؟ اجابت "**ماري**" ببرود:
– "**بنجو**".
– هل فكر أحدهم في مهاجمة الرجل؟
– كلا. لم يخطر ذلك لأي منهم؟ حاول بعضهم الخداع وسلم الآخرون فوراً. ولكنهم انساقوا كلهم بالتأكيد إلى أعلى وتركوا أنفسهم يوثقون ويكممون. ولكني كنت أتدبر الأمر بحيث أحرر نفسي، كما في الروايات، وكنت أحررهم بدورهم ونهرب إذ نجد البيت مهجورا.
– ولم يفكر أحد في ضرب الرجل أو في عمل أي شيء آخر؟
– كلا.. قال "**جورج**" برفق:
– ما دام الأمر كذلك فإنني أصفح عنك.
– اشكرك يا "**جورج**". وقال "**جورج**":
– الواقع أنه لم يبق أمامنا غير أمر واحد يجب تسويته. ماذا نفعل الآن. لا أدري أين أذهب.. "**لامبث بالاس**" أو دكتور "**كامون**".
– عم تتحدث؟
– رخصة الزواج.. وهي رخصة خاصة.. إنك مولعة بأن يخطبك رجل ثم تطلبين الزواج برجل آخر.
– لم أسألك أن تتزوجني.
– بل فعلت.. في "**هايدبارك كورنر**". وهو مكان ما كنت أختاره لكي أعرض عليك فيه الزواج، ولكن لكل منا حساسيته الخاصة في هذا الموضوع.
– لم أفعل شيئا من هذا القبيل. إنما سألتك بطريق المزاح إذا كنت تريد أن تتزوجني.. كنت هازلة.
– لو أنني استشرت محاميا فإنني واثق بأنه سيقول لي إنه كان طلبا واضحا للزواج. ثم إنك تعرفين أنك تريدين الزواج بي.
– أبدا..
– ليس بعد فشل تسع مرات ونصف.. فكري في شعور الأمان الذي تشعرين به وأنت تعيشين مع رجل يستطيع أن ينقذك من ورطة خطرة. بدا الضعف على "**ماري**" إزاء هذه الحجة، ولكنها قالت بعزم:

– لن أتزوج بأي رجل ما لم يركع أمامي على ركبتيه. نظر "**جورج**" إليها. كانت جميلة ولكنه كان أشد عنادا منها، وقال بقوة:

– إن الركوع أمام امرأة أمر محط لقدر الرجل، ولن أفعل هذا. تمتمت "**ماري**" بإحساس رقيق:

– يا للخسارة. وعادا إلى "**لندن**". وكان "**جورج**" متجهما صامتا. أما "**ماري**" فقد أخفت وجهها بحافة قبعتها. وبينما هما يمران أمام "**هايدبارك كورنر**" قالت برفق:

– ألا يمكن أن تركع أمامي؟ فقال "**جورج**" بعزم:

– كلا. وشعر بأنه يسيطر على الموقف وأنها تعجب به لمسلكه. ولكنه رأى أنها أشد منه عنادا لسوء الحظ. وأوقف السيارة فجأة وهو يقول:

– لحظة واحدة. ووثب من السيارة وأسرع إلى محل فاكهي كان قد تجاوزه وعاد سريعا حيث إن الشرطي الذي راح يتقدم نحوهما ليسألهما عن سبب وقوفهما لم يجد وقتا لكي يصل إليهما. وانطلق "**جورج**" بخفة وهو يلقي تفاحة في حجر "**ماري**" قائلا:

– الفاكهة مفيدة ورمزية.

– رمزية؟

– نعم. ففي البدء أعطت حواء تفاحة لآدم، وفي أيامنا هذه يعطي آدم التفاحة لحواء. هل تفهمين؟ قالت "**ماري**" بشك:

– آه.. نعم. قال "**جورج**" يسألها صوريا:

– أين أذهب بك؟

– إلى البيت.. أرجوك. وانطلق إلى "**جروسفينور سكوير**". كان وجهه جامدا خلوا من كل تعبير. ووثب إلى الأرض ودار حول السيارة ليساعدها على الخروج. ونظرت إليه برجاء أخير وقالت:

– عزيزي "**جورج**".. ألا تريد؟ لا لشيء إلا إرضاء لي.

– أبدا. ووقع الحادث في هذه اللحظة بالذات، فقد زلت قدمه وحاول أن يجد توازنه ولكنه فشل وركع على الطين أمامها. وأطلقت "**ماري**" صيحة فرح وصفقت بيديها قائلة:

– عزيزي "**جورج**". سأتزوجك الآن. يمكنك أن تذهب رأسا إلى "**لامبث بالاس**" وأن تحدد موعدا مع أسقف "**كانتربري**". قال "**جورج**" بترفع:

– ولكنني لم أقصد.. كانت مو.. كانت قشرة موزة.. وأمسك بالقشرة في عتاب ولكن "**ماري**" هتفت:

– لا أهمية لهذا. لقد تم الأمر، فحين نتشاجر وترميني بأنني عرضت عليك الزواج، سأستطيع عندئذ أن أرد عليك بأنك ركعت على ركبتيك لكي أوافق، وكل هذا بسبب قشرة موزة مباركة.. أما كنت تريد أن تقول إنها مباركة. قال "**جورج**":

– شيء من هذا القبيل. وفي الساعة الخامسة والنصف قيل للسيد "**ليدبيتر**" إن ابن أخته بالخارج وإنه يريد أن يراه. وقال السيد يحدث نفسه:

«إنه أقبل لكي يعتذر.. أستطيع أن أقول إنني قسوت في معاملته. لكن كان هذا لصالحه». وأصدر أوامره بإدخال "**جورج**". ودخل هذا الأخير بادي المرح وقال:

– أريد أن أتحدث معك يا خالي. إنك ظلمتني ظلما كبيرا صباح اليوم وأريد أن أعرف إذا كنت وأنت في مثل سني تستطيع أن تخرج إلى الشارع مطرودا من أحد أقاربك وأنك فيما بين الحادية عشرة والربع والخامسة والنصف تحصل على دخل قيمته عشرون ألف جنيه في السنة. هذا هو ما فعلت أنا.

– لا ريب في أنك مجنون يا بني.

– لست مجنونا وإنما واسع الحيلة... إنني سأتزوج فتاة غنية وجميلة من فتيات المجتمع... كانت تريد أن تتزوج "**دوقا**" ولكنها لم تلبث أن تراجعت من أجلي.

– تتزوج فتاة من أجل مالها؟ ما كنت أظن ذلك منك.

– وإنك لعلى حق. ما كنت لأجرؤ على أن أسألها ذلك لو لم تكن هي البادئة لحسن الحظ. وقد تراجعت في قولها فيما بعد ولكنني جعلتها تغير موقفها يا خالي.. لكن هل تعرف كيف فعلت؟ كلفني ذلك بنسين فحسب واستطعت أن أمسك بعجلة الحظ. سأله "**ليدبيتر**" وقد اهتم ماليا فقال:

– بنسين؟!

– نعم... موزة... من عربة يد. لا يفكر كل شخص في موزة. من أين أحصل على رخصة الزواج.... أمن دكتور "**كامون**" أم من "**لامبث بالاس**"؟

*****

زمردة المهراجا

أهم الشخصيات

- "**جيمس بوند**" : يتميز بالجدية والصدق والأمانة، عثر على الزمردة المسروقة.
- مهراجا "**مارابوتنا**" : لديه ثروة خيالية، ويمتلك الزمردة العجيبة.
- "**جريس**" : بائعة قبعات نسائية مشهورة، يبغضها "**جيمس بوند**" لأنها أصبحت مغرورة.
- اللورد "**إدوارد كامبيون**" : رياضي مشهور، صاحب كوخ "**أمنيتي**".
- "**كلود سوبوورث**" : صديق "**جريس**"، يقضي وقته في اللهو.
- "**جونس**" : سارق الزمردة ادعى أنه المفتش "**مربليس**" من إدارة "**اسكتلانديارد**".

بمجهود جدي أولى "**جيمس بوند**" كل اهتمامه مرة أخرى إلى الكتاب الأصفر الذي بين يديه، لم يكن الكتاب يساوي أكثر من شلن واحد، ومع ذلك كان عنوانه مثيرا وهو: "هل تريد أن يزداد دخلك السنوي إلى ثلاثمائة جنيه؟"... وكان "**جيمس**" قد فرغ من قراءة صفحتين بأسلوب سليم تعلم منهما أن يواجه مخدومه، وأن ينمي شخصية جبارة وأن يتالق بجو من الكفاية والمقدرة. وبلغ الآن موضوعا أكثر رقة فقد قال الكتاب إن هناك وقتا للصراحة، ووقتا يجب أن تكون فيه كتوما، وأن الرجل القوي يجب ألا يصرح بكل ما يعرف. وأطبق "**جيمس**" الكتاب ورفع رأسه ونظر إلى صفحة المحيط الزرقاء الممتدة أمامه وطغى عليه شعور جارف من الشك، وخطر له أنه ليس رجلا قويا؛ فإن الرجل القوي كان لابد من أن

يسيطر على الموقف في مثل ذلك الوقت لا أن يكون ضحية. ولسادس مرة في هذا الصباح راح "**جيمس**" يراجع أخطاءه. كانت هذه إجازته هو... إجازته؟ هاها.. ضحك ضحكة صفراوية... من الذي أقنعه بالمجيء إلى هذا الشاطئ الأنيق المعروف باسم مصيف "**كيمبتون أون سي**"؟ إنها "**جريس**". ومن الذي أرغمه على كل هذه النفقات التي لا قبل له بمواجهتها؟ "**جريس**"... وقد أسرع فقبل هذه الخطة فوراً، وجاءت به إلى الشاطئ، لكن ما النتيجة؟ ها هو ذا يقيم في فندق متواضع يبعد عن الشاطئ بنحو كيلومترين. وكان يجب على "**جريس**" أن تنزل في فندق آخر مشابه (غير الفندق الذي ينزل هو به لأن أصدقاء "**جيمس**" كانوا قوما محافظين)، ولكنها هجرته ونزلت في ذلك الفندق الفخم المعروف باسم "**اسبلانادا هوتيل**". ويبدو أنها كان لها أصدقاء هناك... أصدقاء... ضحك "**جيمس**" تلك الضحكة الصفراوية مرة أخرى. وعادت ذاكرته إلى السنوات الثلاث الأخيرة التي غازل فيها "**جريس**". لم تسعها الفرحة حين أبدى اهتمامه بها لأول مرة، لكن كان ذلك قبل أن تبلغ الشهرة والمجد في صالونات السادة "**باتلز**" لبيع القبعات النسائية بـ "**هاي ستريت**". وفي البداية كان "**جيمس**" هو الذي يدعي ويتعجرف، أما الآن فوا أسفاه. انقلب الموقف الآن، واستولى الغرور على "**جريس**" بعد أن زاد دخلها وأصبحت تكسب أكثر من قبل... نعم أصبحت مغرورة جداً. وعاد إلى ذاكرته بشيء من الغموض بيت من الشعر يقول معناه "لنشكر السماء إذ تصوم من أجل رجل شجاع". لكن لم يكن هناك شيء من هذا القبيل جدير بالملاحظة فيما يتعلق بـ "**جريس**"، فقد كانت تتناول في إفطارها في فندق "**اسبلانادا**" كل ما لذ وطاب، ونسيت حبه لها كل النسيان، والحق أنها كانت تتقبل الآن اهتمام شاب أحمق يدعى "**كلود سوبوورث**" تأكد "**جيمس**" أنه لا يتمتع بأية قيمة أخلاقية. غاص "**جيمس**" بكعبه في الأرض وأخذ يتأمل الأفق بشيء من الحزن... "**كيمبتون أون سي**"؟ أي جنون دفعه إلى المجيء إلى مثل هذا المكان؟ إنه مصيف أنيق لا يؤمه إلا القوم الأثرياء. وبه فندقان كبيران وشارع طويل يقع على جانبيه أكواخ جميلة، وفيللات رائعة لا يسكنها إلا طبقة من الممثلات واليهود الأثرياء، والإنجليز الأرستقراطيين الذين كان من حسن حظهم أنهم تزوجوا أرامل موسرات. إن أصغر كوخ مفروش إيجاره لا يقل عن خمسة

وعشرين جنيها في الأسبوع، وهذا وحده يعطينا فكرة عما يمكن أن يكون عليه إيجار الفيللات الكبيرة. وهناك إحداها بالذات وتقع خلف "**جيمس**"، وهي ملك لذلك الرياضي المشهور اللورد "**إدوارد كامبيون**"، ويقيم فيها معه في الوقت الحاضر مجموعة من الضيوف بينهم مهراجا "**مارابوتنا**" الذي يقال إن ثروته خيالية لا يمكن حصرها. وقد قرأ "**جيمس**" كل شيء عنه في الجرائد المحلية صباح اليوم، وعن أملاكه وقصوره التي يملكها في "**الهند**"، وعن مجموعة مجوهراته الرائعة، ولا سيما تلك الزمردة العجيبة التي قال إن حجمها كحجم بيضة حمامة... وكان "**جيمس**" قد قضى كل حياته في المدينة، ولم يكن لديه غير شعور مبهم عن حجم بيضة الحمامة، لكنه كان شعورا طيبا على كل حال. قال وهو يتأمل الأفق بكآبة مرة أخرى: "لو أنني أملك زمردة كهذه لأريت "**جريس**". كان إحساسا غامضا ولكن مجرد النطق به جعله يشعر بالارتياح. ونادته أصوات ضاحكة من الخلف فتحول، وما كاد يفعل حتى رأى "**جريس**" ومعها "**كلارا سوبوورث**" و"**أليس سوبوورث**" و "**دورتي سوبوورث**" و... للأسف "**كلود سوبوورث**". وكانت كل فتاة منهن تتأبط ذراع الأخرى ويتبادلن الضحكات. وصاحت "**جريس**" متخابثة:

– إنك أصبحت غريبا تماما. أجاب "**جيمس**":

– نعم. كان في مقدروه، بل أحس أن في مقدوره أن ينطق برد أفضل، فإنه ما كان ليستطيع أن يعبر بشخصيته الجبارة بكلمة واحدة مثل كلمة نعم. ونظر بتقزز إلى "**كلود سوبوورث**"... كان يرتدي ثيابا أنيقة يبدو فيها كما لو كان بطل كوميديا موسيقية، وتمنى "**جيمس**" لو يأتي كلب مسعور في هذه اللحظة فيغرز أسنانه في بنطلون الشاب الناصع البياض ويمزقه شر ممزق. كان هو نفسه يرتدي بنطلونا من الفانلا رأى أنه الأفضل. وقالت "**كلارا**" وهي تأخذ نفسا طويلا بارتياح كبير:

– أليس الهواء رائعا؟ إنه يرفع معنويات المرء حقا. وضحكت في حين قالت "**أليس سوبوورث**":

– إنه هواء منعش نقي... منشط ومقو كما لو كان عقارا ناجعا. وضحكت هي الأخرى. وقال "**جيمس**" يحدث نفسه: "وددت لو أضرب رأس كل منهن

برأس الأخرى... ما معنى هذه الضحكات المستمرة؟ إنهن لم ينطقن بشيء يستحق الضحك". وقال "**كلود**" الطاهر بكسل:

– هل نسبح أو يكفي ما لقيناه من تعب؟ وقوبلت فكرة السباحة بالهتاف والصياح، وانضم "**جيمس**" إليهم، بل إنه أفلح بشيء من البراعة في أن ينتحي مكانا بـ "**جريس**" وأن يقول لها:

– اسمعي يا "**جريس**"... إنني لا أكاد أراك هذه الأيام. قالت "**جريس**":

– حسنا... ولكنني واثقة بأننا معا الآن. ويمكنك أن تأتي وتتناول الغداء معنا في الفندق على الأقل... ونظرت إلى بنطلون "**جيمس**" بتردد فقال بحدة:

– ما الخبر؟ أعتقد أنني لست أنيقا لأجلك بما فيه الكفاية. قالت "**جريس**":

– أظن يا عزيزي إنه يجب أن تبذل جهدا كبيرا لكي تعني بمظهرك. فإن الجميع هناك لا تنقصهم الأناقة... انظر إلى "**كلود سوبوورث**". قال "**جيمس**" متجهما:

– إنني نظرت إليه... لم أر في حياتي رجلا أشبه بالحمار مثله. اعتدلت "**جريس**" في وقفتها وقالت:

– لا حاجة بك إلى أن تنتقد أصدقائي يا "**جيمس**"، فليس هذا من الأخلاق في شيء. إنه يرتدي ثيابا أنيقة كأي "جنتلمان" غيره في الفندق. قال "**جيمس**":

– ياه... هل تعرفين ماذا قرأت اليوم في عمود أنباء المجتمع؟ قرأت أن "**الدوق**"... ما اسمه؟ إنني نسيت اسمه ولكنه "**دوق**" على كل حال... قرأت عنه أنه لا يعني بمظهره مطلقا. قالت "**جريس**":

– لا بأس بذلك فهو "**دوق**". وقال "**جيمس**":

– حسنا. وما أدراك أنني لن أكون "**دوقا**" في يوم من الأيام؟ قد لا أكون "**دوقا**" ولكنني سأكون نبيلا على الأقل. ولمس الكتاب الأصفر في جيبه، وسرد على مسامعها قائمة طويلة من النبلاء بدؤوا حياتهم بداية أكثر غموضا منه هو "**جيمس بوند**". وضحكت "**جريس**" قائلة:

– لا تكن أحمق يا "**جيمس**"... أتتصور نفسك "**إيرل أوف كيمبتون أون سي**"؟ نظر "**جيمس**" إليها نظرة مشوبة بالغضب واليأس.. أحدث جو "**كيمبتون أون سي**" أثره في رأس الفتاة. وشاطئ "**كيمبتون أون سي**" عبارة عن طريق ممتد

من الرمال تقوم فوقه الكبائن والأكواخ على امتداد نحو كيلومترين تقريبا. ووقف الجميع أمام مجموعة من ستة أكواخ تحمل في مكان ظاهر لافتة تقول إنها مخصصة لنزلاء فندق "**اسبلانادا**" فقط. وقالت "**جريس**" متألقة:

– ها نحن قد وصلنا ولكنني أخشى أنك لن تستطيع الانضمام إلينا يا "**جيمس**". عليك أن تذهب إلى الخيام العامة هناك. وسنلتقي في الماء... إلى الملتقى... قال "**جيمس**" وهو يسير إلى الناحية التي أشارت إليها:

– إلى الملتقى. كانت هناك اثنتا عشرة خيمة أمام البحر، يقوم على حراستها بحار عجوز في يده لفة من الورق الأزرق. وأخذ قطعة النقود التي أعطاه "**جيمس**" إياها وأعطاه مقابلها تذكرة انتزعها من اللفة التي في يده، ثم ناوله منشفة وقال له بصوت أجش وهو يشير بإبهامه إلى ما وراء كتفه:

– قف في الصف. وعرف "**جيمس**" عندئذ معنى المنافسة، فقد خطر لكثيرين غيره النزول إلى البحر، فلم تكن كل خيمة مشغولة فحسب، لكن كان يقف أمام كل منها. جمع من الناس يحملق كل منهم إلى الآخر، وانضم "**جيمس**" إلى أصغر صف وانتظر. وانفصلت ستارتا الخيمة وخرجت منها فتاة جميلة تكاد لا ترتدي شيئا وتغطي رأسها بطاقية، ومشت مشية الشخص الذي لا يشغله شيء ومضت حتى حافة الشاطئ واستلقت فوق الرمال واستغرقت في أحلامها. وقال "**جيمس**" محدثا نفسه: «لا جدوى من الانتظار». ثم انضم إلى جماعة أخرى. وبعد خمس دقائق انفصلت ستارتا الخيمة الثانية وخرج منها أربعة أطفال وخلفهما أبواهم، وكانت الخيمة صغيرة جدا بحيث خيل إلى الذين ينتظرون أنهم يشهدون منظرا سحريا. وفي هذه اللحظة بالذات اندفعت سيدتان من الستارتين. وقالت الأولى مبهورة الأنفاس:

– معذرة. وقالت الأخرى وهي تحملق إليها:

– معذرة. وعادت الأولى تقول:

– إنني أتيت قبلك بعشر دقائق على الأقل كما لعلك تعلمين. لكن الأخرى أجابتها متحدية:

– إنني هنا منذ نحو ربع الساعة كما يشهد الجميع بذلك. واقترب البحار العجوز عندئذ وقال:

– مهلا... مهلا. وراحت السيدتان تتكلمان في وقت واحد، وعندما فرغتا أشار بإبهامه إلى السيدة الثانية وقال:

– الدور دورك. ثم انصرف وقد أصم أذنيه عن احتجاجات السيدة الأخرى. كان لا يعرف من التي جاءت قبل الأخرى، ولم يكن ذلك ليهمه في شيء، ولكن حكمه، كما يقولون في المباريات كان حكما نهائيا غير قابل للنقض. وأمسكه "**جيمس**" من ذراعه بيأس وقال له:

– لحظة من فضلك.

– نعم يا سيدي؟

– متى يأتي دوري؟ ألقى البحار العجوز نظرة إلى صف المنتظرين وقال:

– ربما بعد ساعة وربما بعد ساعة ونصف... الحق أنني لا أدري. وفي هذه اللحظة رأى "**جيمس**" "**جريس**" والفتيات "**سوبوورث**" يجرين برشاقة نحو الماء فقال:

– اللعنة... آه، اللعنة. وتحول إلى البحار العجوز وقال له:

– ألا يمكن أن أجد خيمة أخرى في مكان آخر؟ ما رأيك في أحد هذه الأكواخ التي هناك... إنها تبدو كلها شاغرة. أجابه البحار العجوز بوقار:

– إنها أكواخ خاصة. ثم ابتعد بازدراء. وانفصل "**جيمس**" عن صف المنتظرين وهو يشعر بأنه خدع ومضى بمحاذاة الشاطئ في شيء من الحنق... لقد تجاوز كل شيء حده وفاض به الكيل ورمى الأكواخ التي أمامه بنظرة تفيض حقدا، ولم يعد في تلك اللحظة حرا ليبراليا بل أصبح اشتراكيا شيوعيا... لماذا يكون للأثرياء أكواخ خاصة يستمتعون بها في كل وقت دون أن يضطروا إلى الوقوف في الصف؟ وقال بغموض:

"إن المجتمع الذي نعيش فيه مجتمع فاسد". ومن جوف الماء ارتفعت صيحات "**جريس**" الفاتنة، وعلت عليها صيحات "**كلود سوبوورث**" وهو يرشها بالماء ويقول ها.. ها.. ها.. قال "**جورج**" وهو يصر بأسنانه، وهو شيء لم يسبق أن بدر منه من قبل وإنما قرأ عنه في الكتب والروايات:

"اللعنة". ووقف وهو يطوح بعصاه معطيا ظهره للبحر. ونظر بحقد إلى "**عش النسر**" "**والمنظر الجميل**" و "**أمنيتي**". كان من عادة أهالي "**كيمبتون أون سي**"

أن يطلقوا على أكواخهم أسماء غريبة. وكان "**عش النسر**" كوخا عاديا، وكان المنظر الجميل بعيدا كل البعد عن اسمه. أما الكوخ الأخير فقد بدا له أفضل من غيره. وتحقق في هذه اللحظة من أن بابي الكوخين الأولين مغلقان، أما باب الكوخ الأخير "**أمنيتي**" فقد كان مواربا ونظر "**جيمس**" إليه بتفكير. وكان الشاطئ في هذه اللحظة لا يؤمه غير أمهات يبدين اهتمامهن بأطفالهن. ولم تكن الساعة قد تجاوزت العاشرة بعد، والطبقة الأرستقراطية كانت لا تزال سادرة في النوم حتى هذه الساعة. ولم يكن من المتوقع أن يأتي أحد منهم وقال "**جيمس**" يحدث نفسه:

«لا ريب في أن الخدم يذهبون إليهم الآن بإفطارهم وهم لا يزالون في أسرتهم، ولن يأتي أحد منهم قبل الثانية عشرة». ونظر إلى الماء ثانية. وارتفعت صيحة "**جريس**" في هذه اللحظة تتبعها صيحة "**كلود سوبوورث**" ها ها ها. فكان لهاتين الصيحتين أثرهما في نفس "**جيمس**" فقد قال:

«حسنا. سوف أفعل». ودفع باب "**أمنيتي**" ودخل. ووقف لحظة مذعورا وهو ينظر إلى الأشياء المعلقة في كل مكان، ولكنه لم يلبث أن أطمأن فقد كان الكوخ منقسما إلى قسمين، في الناحية اليمنى منه، وعلى مشجب، بلوزة صفراء وقبعة كبيرة وتحتهما خف للبلاج، وفي الناحية الأخرى بنطلون من الفانلا رمادي اللون وبلوفر وقبعة مائية. وأسرع "**جيمس**" فنضا عنه ثيابه، وبعد ثلاث دقائق كان في البحر يسبح ويضرب الماء بيديه، ويبدي براعة تدل على تفوقه في السباحة. وصاحت "**جريس**":

– أوه.. أهذا أنت؟ خشيت ألا تتمكن من النزول إلى البحر إلا بعد مدة طويلة مع كل هذا الحشد الذي ينتظر هناك. قال "**جيمس**":

– حقا. وفكر بصراحة في ورقة الكتاب الأزرق وفي الكلمات التي يضمها: "إن الرجل القوي يعرف كيف يكون كتوما عند اللزوم"، كان مزاحه في هذه اللحظة قد أصبح معتدلا، وقد استطاع أن يقول برفق ولكن بعزم مخاطبا "**كلود سوبوورث**" الذي كان يعلم "**جريس**" ضروب السباحة.

– كلا كلا يا صاحبي... كل هذا غير صحيح وبعيد عن الصواب... سأريها أنا. وكانت لهجته ثابتة بحيث لا يسع الآخر إلا أن يبتعد وهو في حالة يرثى لها. ولكن انتصار "**جيمس**" كان قصير الأمد لسوء الحظ فإن الطقس ودرجة حرارة المياه

الإنجليزية لا يشجعان المستحمين على البقاء في الماء مدة طويلة، فلم تلبث "**جريس**" والفتيات "**سوبوورث**" أن شعرن بالبرودة فجأة. وسرعان ما اصطكت أسنانهن وازرق لونهن فأسرعن إلى الشاطئ، وعاد "**جيمس**" وحده إلى "**أمنيتي**" وبينما كان يجفف جسده بقوة ويشرع في ارتداء قميصه تملكه شعور من السرور والرضا، فقد أحس بأنه فرض شخصيته الجبارة. وتوقف في مكانه فجأة وقد تجمد الدم في عروقه من الخوف، فقد سمع أصواتا نسائية بالخارج، وكانت أصواتا مختلفة عن أصوات "**جريس**" وصاحباتها. وما هي إلا لحظة حتى أدرك الحقيقة فإن أصحاب "**أمنيتي**" كانوا قادمين. ومن الجائز أن "**جيمس**" كان يمكن أن يبقى مكانه لو أنه كان قد ارتدى ثيابه كاملة وانتظر دخولهن في وقار وحاول أن يفسر موقفه. أما وهو لم يكن قد ارتدى ثيابه بعد فقد استولى عليه الذعر. وكانت نوافذ "**أمنيتي**" تغطيها ستائر ثقيلة فأسرع "**جيمس**" إلى الباب وأمسك بالأكرة بيأس المستميت. وحاولت بعض الأيدي أن تدير الأكرة من الخارج ولكن عبثا. وارتفع صوت فتاة يقول:

– إنه موصد.. حسبت أن "**بوج**" قال إنه مفتوح.

– كلا، لم يقل "**بوج**" ذلك... إنما "**ووجل**" هو الذي قال. قالت الفتاة الأولى:

– إن "**ووجل**" هذا حمار... ما أحمقنا. يجب أن نعود لنأتي بالمفتاح. وسمع "**جيمس**" صوت خطواتهن وهن يبتعدن فأطلق تنهيدة عميقة تدل على الارتياح وأسرع بيأس وارتدى بقية ثيابه. وبعد دقيقتين كان يسير بغير اكتراث بمحاذاة الشاطئ وعلى محياه أمارات البراءة. ولحقت به "**جريس**" وصاحباتها بعد ذلك بربع ساعة وقضوا بقية الصباح في ألعاب بريئة فراحوا يتقاذفون بالحجارة ويكتبون على الرمل ويلهون. ثم نظر "**كلود**" إلى ساعته وقال:

– ساعة الغداء... من الأفضل أن نعود الآن. وقالت "**أليس سوبوورث**":

– إنني أشعر بجوع شديد. وقالت الفتيات الأخريات إنهن جائعات كذلك. وقالت "**جريس**" متسائلة:

– هل تأتي معنا يا "**جيمس**"؟ وكان الشاب هائج الأعصاب فصاح يقول بانفعال:

– كلا، مادامت ثيابي لا تروقك. ومن الأفضل ألا آتي مادمت شديدة التدقيق في هذه الناحية. وكان في قوله هذا تلميح لـ "**جريس**" لكي تعتذر، ولكن هواء البحر كان قد حرك مشاعر "**جريس**" بطريقة معادية فقالت:

– حسنا جدا، كما تريد... سأراك بعد الظهر إذن. وتركته مكانه كالمصعوق. وقال وهو ينظر إليهم وهم يبتعدون:

– حسنا.. اللعنة. ومضى إلى المدينة كئيبا. وهناك في "**كيمبتون أون سي**" مطعمان، وهما مزدحمان دائما يسودهما الضجيج والصخب. وعادت قصة الخيام ثانية. وكان عليه أن ينتظر دوره بل يتعين عليه أن ينتظر بعد دوره أيضا؛ فإن امرأة ضخمة أتت لتوها سبقته إلى المقعد الذي خلا قبل أن يتمكن من الجلوس فوقه. وأخيرا جلس أمام مائدة صغيرة، على مقربة من ثلاث فتيات مشعثات أخذن يرفعن عقيرتهن بغناء أوبرا إيطالية ولحسن الحظ لم يكن "**جيمس**" يحب الموسيقى وراح ينظر إلى قائمة الطعام دون أي حماس، ودس يده في جيبه وهو يقول:

– لن أجد شيئا مما سأطلب بالتأكيد، فأنا سيئ الحظ. والتقطت أصابعه في قاع جيبه شيئا غير مألوف بدا له كأنه حصاة كبيرة مستديرة، وقال:

– ما حاجتي إلى أن أضع حصاة في جيبي بحق الشيطان. وتقبضت أصابعه عليها. ولكن أتت النادلة في هذه اللحظة فقال لها:

– سمك مقلي وبطاطس محمرة من فضلك. قالت الجرسونة وهي تنظر إلى السقف حالمة:

– لم يعد هناك سمكا مقليا.

– أعطني طبقا من البفتيك إذن.

– ولا بفتيك. سألها "**جيمس**" عندئذ:

– ماذا عندكم إذن؟ بدا الامتعاض على وجه النادلة وأشارت بإصبعها على "يخني الفاصوليا" واستسلم "**جيمس**" للأمر الواقع وطلب طبقا منه، وما إن ابتعدت النادلة حتى أخرج يده من جيبه وهي لا تزال تتقبض على الحصاة، وفتح أصابعه ونظر إلى الحصاة بشرود لكنه لم يكد يلقي عليها نظرة حتى أصابته صدمة شديدة وازدادت عيناه اتساعا، فإن الشيء الذي في راحة يده لم يكن حصاة وإنما كان زمردة، ولم يكن هناك أي شك في هذا... زمردة خضراء كبيرة الحجم.

وحملق "جيمس" إليها مذهولا مذعورا. كلا، لا يمكن أن تكون زمردة لا ريب في أنها قطعة من الزجاج الملون، فليس هناك زمردة بهذا الحجم ما لم تكن... وراحت الكلمات تتراقص أمام عينيه... مهراجا "مارابوتنا"... زمردة مشهورة بحجم بيضة الحمام... أيمكن أن تكون هي تلك الزمردة التي ينظر إليها الآن... وعادت النادلة ومعها طبق اليخني، فاطبق "جيمس" أصابعه بعصبية وانفعال شديدين. ومرت بجسده قشعريرة وخيل إليه أنه يعيش في كابوس مخيف، فلو كانت هي هذه الزمردة حقا... لكن كيف يمكن ذلك. وفتح أصابعه ونظر إليها بقلق. لم يكن خبيرا في الأحجار الكريمة ولكن هذه الجوهرة ووميضها لم يتركا لديه أي شك في ذلك. وألقى مرفقيه فوق المائدة وأخذ ينظر إلى طبق اليخني الذي أمامه من غير أن يراه ويجب أن يفكر في الأمر جيدا فإنه إذا كانت هذه الجوهرة هي زمردة "المهراجا" فماذا يجب أن يفعل؟ وومضت كلمة شرطة في ذهنه... إذا عثرت على شيء له قيمة فيجب أن تذهب به إلى الشرطة... هكذا علموه منذ الصغر. نعم.. لكن كيف جاءت الزمردة إلى جيبه بحق السماء؟ هذا هو السؤال الذي ستلقيه عليه الشرطة بكل تأكيد... وهو سؤال أخرق ولكنه مع ذلك سؤال لا يستطيع أن يجد ردا شافيا عليه، كيف جاءت هذه الزمردة إلى جيب بنطلونه؟ ونظر إلى بنطلونه بيأس. وما كاد يفعل حتى بدا الشك في عينيه. ونظر إلى البنطلون مرة أخرى ولكن بدقة. والبنطلون الفانلا يشبه غيره من البنطلونات الفانلا التي من نفس اللون، ومع ذلك فإن "جيمس" أحس إحساسا غريبا بأن البنطلون الذي يرتديه ليس بنطلونه بالذات، واضطجع في مقعده إلى الوراء وقد أذهلته قوة الاكتشاف. ورأى الآن بعين الخيال ما حدث. فقد ارتدى بنطلونا غير بنطلونه وهو في عجلة من أمره لمغادرة الكوخ. وهو يتذكر الآن أنه علق بنطلونه في المشجب.. نعم. إن ذلك يفسر كل شيء، وهو قد أخذ بنطلونا آخر غير بنطلونه هو. لكن مهما يكن من أمر فماذا تفعل مثل هذه الزمردة في جيب البنطلون. كلما فكر في هذا الأمر بدا له ذلك غريبا. إنه يستطيع أن يفسر الأمر للشرطة بالتأكيد. كان موقفا يدعو إلى الارتباك، ما في ذلك شك فإن عليه عندئذ أن يصرح لهم بأنه دخل الكوخ من غير أن يكون له الحق في ذلك. وهي ليست جريمة كبيرة على كل حال لكنها ستضعف مركزه.

- هل أستطيع أن أحضر لك شيئا آخر أيها السيد؟ كانت النادلة هي التي تكلمت وهي تنظر إلى طبق اليخني الذي ظل كما هو من غير أن يقربه. وأسرع "**جيمس**" فتناول منه بعضه ثم طلب قائمة الحساب. وبعد أن دفع أسرع بمغادرة المطعم، ووقف بالخارج مترددا ولم يلبث أن لفت نظره عنوان ضخم في جريدة معروضة في أحد أكشاك الجرائد كان هذا نصه: "سرقة زمردة المهراجا" فصاح بضعف:

"يا إلهي" واستند بظهره إلى أحد الأعمدة ثم جمع زمام نفسه واشترى نسخة. ولم تمض لحظة حتى عثر على النبإ الذي يبحث عنه فقد رأى في الصفحة الأولى هذا العنوان الكبير: سرقة غامضة في قصر اللورد "**كامبيون**". سرقة الزمردة التاريخية المشهورة... خسارة فادحة للمهراجا "**مارابوتنا**". وكانت الحقائق قليلة وبسيطة. فإن اللورد "**إدوارد كامبيون**" كان قد دعا لفيفا من الأصدقاء بالأمس وأراد "**المهراجا**" أن يعرض زمردته المشهورة على إحدى المدعوات فصعد ليأتي بها ولكنه لم يجدها مكانها. واستدعى رجال الشرطة فوراً ولكنهم لم يهتدوا إلى أي شيء. ووقعت الجريدة من "**جيمس**" على الأرض، ولم يستطع أن يفهم كيف جاءت الزمردة إلى جيب بنطلون معلق في مشجب بأحد الأكواخ الواقعة أمام البحر. لكن تأكد لديه الآن أكثر من أي وقت مضى أن قصته ستكون مثيرة للظنون والشبهات. فماذا عساه يفعل بحق السماء؟ ها هو ذا يقف في الشارع الرئيسي بمدنية "**كيمبتون أون سي**" وفي جيبه ثروة ضخمة يمكن أن تكون فدية ملك؛ بينما جميع رجال الشرطة يبحثون عنها. كان أمامه أحد حلين اثنين: إما أن يمضي إلى مركز الشرطة وأن يذكر لهم قصته، وهذا حل لم يعجبه قط، وإما أن يتخلص بطريقة ما من الزمردة. وخطر له أن يرسلها إلى "**المهراجا**" في طرد ولكنه لم يلبث أن هز رأسه، فقد قرأ روايات بوليسية كثيرة ويعرف الآن أن رجال الشرطة يملكون من وسائل العلم الحديث ما يقودهم إلى كل شيء عن مرسل أي طرد، فيعرفون بكل سهولة أوصافه وعاداته ومهنته وعمره، وهو إذا أرسلها بهذه الطريقة فمن المؤكد أنه لن تمر ساعات قلائل إلا وتكون الشرطة قد ألقت القبض عليه. وخطرت له عندئذ خطة بسيطة، فقد كانت الساعة ساعة الغداء، وسيكون الشاطئ مهجورا في هذه الساعة، وفي مقدوره أن يمضي إلى "**أمنيتي**" وأن يستبدل بالبنطلون الذي

يرتديه بنطلونه الحقيقي. وما خطر له هذا الخاطر حتى أسرع في طريقه إلى الشاطئ. ومع ذلك فقد كان ضميره يوبخه ويعنفه، فإن الزمردة يجب أن ترد إلى "**المهراجا**" . وخطر له أن في مقدروه أن يقوم بعمل المخبر السري بمجرد أن يسترد بنطلونه، ولهذا مضى إلى البحار العجوز وهو مقتنع بأنه منبع لكل المعلومات التي تتعلق بـ "**كيمبتون أون سي**" وسأله قائلا بلهجة مهذبة:

– معذرة. ولكنني أظن أن أحد أصدقائي يملك كوخا في هذا الشاطئ. وأعني به السيد "**شارلس لامبتون**" .. وأظن أنه قال لي إن كوخه اسمه "**أمنيتي**" . وكان الرجل العجوز جالسا على مقعده يدخن غليونه وينظر إلى البحر، فأخذ غليونه وأجاب دون أن ينقل عينيه من البحر:

– إن "**أمنيتي**" ملك للورد "**إدوارد كامبيون**" ، والجميع هنا يعلمون ذلك. ولم أسمع قط عن السيد "**شارلس لامبتون**" هذا... لا ريب في أنه وافد جديد. قال "**جيمس**" :

– شكرا لك. ثم أسرع بالابتعاد وقد أدهشه النبأ. لا يمكن بالتأكيد أن يكون "**المهراجا**" قد دس الجوهرة في جيب البنطلون ثم نسي أمرها بعد ذلك. هز "**جيمس**" رأسه، لم تعجبه هذه النظرية. لكن مما لاشك فيه أن أحد أفراد البيت لابد أن يكون هو السارق. وأعاد الموقف إلى ذاكرته بعض أعماله البوليسية. ومع ذلك فقد عقد النية على تنفيذ خطته الأولى. وتم له كل شيء بكل سهولة، فقد كان الشاطئ خاليًا كما توقع. ومن حسن حظه أن باب "**أمنيتي**" كان لا يزال مواربا، وتسلل بداخله دون أن يلحظه أحد، وكان "**إدوارد**" يلتقط بنطلونه من المشجب حين ارتفع صوت خلفه جعله يستدير فوراً. قال له صاحب الصوت:

– هأنذا أضبطك متلبسا يا صاحبي. نظر "**جيمس**" فاغر الفم إلى رجل يقف بعتبة الباب.. أنيق الملبس في نحو الأربعين من العمر، ثاقب العينين، حاد البصر كالصقر. وعاد الرجل الغريب يقول:

– هأنذا أضبطك متلبسا يا صاحبي. تمتم "**جيمس**" :

– من أنت؟ قال الرجل:

– المفتش "**مربليس**" من "**اسكتلانديارد**" .. وأعطني هذه الزمردة. حاول "**جيمس**" اكتساب بعض الوقت فقال:

– الـ . . الزمردة؟ قال المفتش "**مربليس**" :

– نعم . . الزمردة . وتقلصت شفتاه . وحاول "**جيمس**" أن يسترد رباطة جأشه فقال بوقار :

– لا أدري ماذا تعني؟

– بل تعرف ما أقول يا صاحبي . قال "**جيمس**" :

– الأمر كله غلطة . . يمكنني أن أشرحه لك بكل سهولة . وأمسك . وبدت نظرة إعياء على المفتش وهو يقول :

– إنهم جميعا يقولون هذا ، أظنك عثرت عليها على الشاطئ ، أليس هذا ما تحاول أن تقول؟ كان هذا أشبه بما كان يريد أن يقول حقا . ولكنه حاول مع ذلك أن يكتسب بعض الوقت بأن قال بضعف :

– من لي بأن يضمن لي أنك مفتش شرطة حقا؟ قلب "**مربليس**" ثنية جاكتته لحظة عارضا عليه بهذه الطريقة شارة تأملها "**جيمس**" بعينين جاحظتين . وقال الرجل برفق :

– هل ترى الآن الورطة التي أوقعت نفسك فيها . . يبدو لي أنك جديد في هذه المهنة . . لعلها عمليتك الأولى؟ أومأ "**جيمس**" برأسه فاستطرد الآخر يقول :

– هكذا ظننت . . والآن ، هلا أعطيتني الزمردة يا بني؟ أو تفضل أن آخذها منك بالقوة؟ قال "**جيمس**" أخيرا وقد أسعفه النطق :

– إنها . . إنها ليست معي . وراح يفكر بيأس . وسأله "**مربليس**" :

– هل تركتها في غرفتك؟ عاد "**جينمس**" فأومأ برأسه فقال المفتش :

– حسنا . . حسنا جدا . . سنذهب معا . ودس ذراعه تحت ذراع "**جيمس**" وقال برفق :

– لا أريد أن أعطيك أية فرصة للهرب مني . سنذهب إلى غرفتك معا ، وستعطيني هذه الزمردة . قال "**جيمس**" بصوت مرتبك :

– هل تتركني وشأني إذا أنا أعطيتك إياها؟ بدا التردد والارتباك على "**مربليس**" ولكنه قال :

– إننا نعرف كيف سرقت هذه الزمردة ونعرف كل شيء عن السيدة التي اشتركت في سرقتها . . ومن حسن حظك أن " **المهراجا**" لا يريد إحداث أية ضجة

حول هذا الموضوع. وأظنك تعرف أن الشرطة المحلية يهمها تكتم هذا الأمر. وأومأ "**جيمس**" برأسه وهو يتظاهر بأنه يفهم كل شيء. وقال المفتش:

– وهذا عمل مخالف للقانون بالتأكيد. لكن في مقدورنا أن نطلق سراحك. وعاد "**جيمس**" فأومأ برأسه من جديد، وكانا قد عبرا الشارع المؤدي إلى الشاطئ وانعطفا منه إلى الشارع الكبير المؤدي إلى المدينة. وكان "**جيمس**" يشير إلى الطريق الذي يجب أن يتبعاه، ولكن المفتش لم يشأ أن يتخلى عنه قط. وفجأة تردد "**جيمس**" وتمتم بكلمات غير مفهومة. ونظر المفتش إليه بحدة ثم ضحك. فقد كانا يمران في هذه اللحظة أمام قسم الشرطة. ولحظ أن "**جيمس**" ينظر إلى القسم بخوف فقال برفق:

– لا تخف.. قلت إنني سأمنحك فرصة. وفي هذه اللحظة بالذات بدأت الأحداث تحدث. فقد تشبث "**جيمس**" بذراع المفتش وصاح يقول:

– النجدة.. اللص.. النجدة.. اللص. وأحاط الناس بهما في أقل من دقيقة. وكان "**مربليس**" يحاول أن يحرر يده من قبضة "**جيمس**". وصاح هذا الأخير:

– إنني أتهم هذا الرجل.. إنه دس يده في جيبي. فصاح الآخر:

– ماذا تقول أيها الأحمق؟ وأقبل أحد رجال الشرطة وتولى الأمر بنفسه فساق الرجلين إلى قسم الشرطة وكرر "**جيمس**" اتهامه وقال بانفعال:

– دس هذا الرجل يده في جيبي وسرق محفظتي ووضعها في جيبه الأيمن. وزمجر الآخر قائلا:

– إن هذا الرجل مجنون. يمكنك أن تفتشني بنفسك أيها المفتش إنه يكذب. وبإشارة من المفتش دس الشرطي يده في جيب "**مربليس**" وأخرجها بشيء جعل الجميع يصيحون بدهشة، وصاح المفتش وقد نسي وقار مهنته:

– اللعنة.. لا ريب في أن هذه زمردة المهراجا. وبدا الذهول على "**مربليس**" أكثر من غيره وقال:

– هذا فظيع.. لا ريب في أن الرجل وضعها في جيبي بنفسه، ونحن نمشي معا.. هذه مؤامرة. أحدثت جرأة "**مربليس**" أثرها في المفتش، وانتقلت شكوكه إلى "**جيمس**". وهمس بشيء في أذن الشرطي خرج هذا الأخير على أثره، وقال المفتش:

– والآن. ليدل كل منكما بأقواله.. واحدا بعد الآخر. قال "**جيمس**":

– كنت أمشي بمحاذاة الشاطئ عندما التقيت بهذا السيد فادعى أنه يعرفني. ولم أستطع أن أتذكر أين رأيته قبل ذلك، ولكن الأدب منعني من أن أصارحه بذلك. ومشينا معا. وكنت أشك فيه، وبينما كنا نمر أمام قسم الشرطة وجدت يده في جيبي، فأمسكت به وصحت طالبا النجدة. حول المفتش بصره إلى "**مربليس**" وقال:

– دورك الآن أيها السيد. بدا الارتباك على "**مربليس**" بعض الشيء وقال ببطء:

– هذه القصة حقيقية، فيما عدا نقطة واحدة وهي أنه هو الذي ادعى معرفته بي. ومما لا شك فيه أنه كان يحاول التخلص من الزمردة بوضعها في جيبي في أثناء حديثنا. أمسك المفتش عن الكتابة وقال بغير تحيز:

– آه. إنني أنتظر شخصا لن يلبث أن يأتي لكي يلقي الضوء على هذه المسألة. عبس "**مربليس**" وقال وهو يخرج ساعته من جيبه:

– الحق أنني لا أستطيع الانتظار، فلديَّ موعد مهم،ولا أظنك من الحماقة بحيث تعتقد أيها المفتش أنني أسرق الزمردة وأسير بها في جيبي. أجابه المفتش:

– لا أعتقد شيئا من ذلك أيها السيد. لكن لابد لك من الانتظار خمس أو عشر دقائق حتى نجلو هذه المسألة... آه ها هو صاحب الفخامة. ودخل في هذه اللحظة رجل في نحو الأربعين من عمره، وكان يرتدي بنطلونا باليا وبلوفر قديما وقال:

– حسنا... ما الخبر أيها المفتش.... هل عثرت على الزمردة حقا؟ هذا رائع... عمل رائع جداً... من هذان السيدان اللذان أراهما؟ وانتقلت عيناه من "**جيمس**" إلى "**مربليس**"، وبدت شخصية هذا الأخير تتضاءل وتنكمش وصاح اللورد "**إدوارد كامبيون**":

– من أرى... "**جونس**"؟ سأله المفتش بحدة:

– هل تعرف هذا الرجل أيها اللورد "**إدوارد**"؟ أجاب اللورد "**إدوارد**":

– بالتأكيد، أعرفه... إنه وصيفي... ألحقته بخدمتي منذ شهر. وقد فتشه رجال الشرطة الذين قدموا من "**لندن**" فوراً لكنهم لم يعثروا معه على شيء. قال المفتش:

– إننا عثرنا عليها في جيب معطفه. وأشار إلى "**إدوارد**" وقال:

– وهذا هو السيد الذي لفت نظرنا إليه. وأسرع اللورد "**إدوارد**" يصافح "**جيمس**" ويهنئه وقال:

– تقول إنك شككت في أمره فوراً يا صديقي؟ قال "**جيمس**":

– نعم، وكان عليَّ أن أصوغ القصة بعض الشيء وأن أدعي أنه دس يده في جيبي لكي يضطر الشرطي إلى اقتياده إلى قسم الشرطة. قال اللورد "**إدوارد**":

– حسنا... هذا عظيم... عظيم جدا... يجب أن تأتي معي وأن تتناول الغداء معنا، هذا إذا لم تكن قد تناولت غداءك بعد.. إن الوقت متأخر كما أعرف فالساعة الآن تقترب من الثانية. أسرع "**جيمس**" يقول:

– كلا لم أتناول غدائي بعد... ولكن... قاطعه اللورد "**إدوارد**" قائلا:

– ولا كلمة. سيريد "**المهراجا**" أن يشكرك لإعادتك الزمردة إليه، ثم إنني لم أعرف القصة كلها بعد. وغادرا قسم الشرطة، ووقفا بعتبة الباب، وقال "**جيمس**":

– وبهذه المناسبة أود أن أصارحك بالحقيقة وأذكر لك القصة كلها. وذكر له كل شيء. وراقت القصة "**اللورد**" وقال:

– هذه أحسن قصة سمعتها في حياتي. إنني أفهم كل شيء الآن. لا ريب في أن "**جونس**" أسرع إلى الشاطئ بمجرد أن سرق الزمردة، فقد كان يعلم أن الشرطة ستفتش البيت تفتيشا دقيقا. أما البنطلون القديم الذي ألبسه حين أذهب للصيد فلن يفكر فيه أحد ويمكنه أن يسترد منه الجوهرة في أول فرصة. ولا ريب في أنها كانت صدمة كبيرة له حين جاء اليوم ليستردها ولم يجدها. وما إن رآك حتى أدرك أنك أنت الذي أخذت الجوهرة. ولكنني لا أفهم كيف لم تصدق أنه مفتش شرطة حقا. قال "**جيمس**" يحدث نفسه:

"إن الرجل القوي يعرف متى يجب أن يكون صريحا ومتى يجب أن يكون كتوماً". وابتسم ابتسامة خفيفة وهو يمر بأصابعه في رفق على الشارة التي يحتفظ بها خلف ثنية جاكتته، وهي شارة من الفضة يوزعها نادي "**مرتون بارك**" للدراجات على أعضائه. وكان من غرائب المصادفات أن ينتمي "**جونس**" إلى عضويته هو الآخر.

– أهلاً "**جيمس**". تحول الشاب فرأى "**جريس**" وفتيات "**سوبوورث**" يشرن إليه من الرصيف المقابل فالتفت إلى اللورد "**إدوارد**" وقال:

– معذرة لحظة واحدة. وعبر الطريق إليهن وقالت "**جريس**":

– إننا ذاهبات إلى السينما، وقد خطر لي أنك قد تحب أن تنضم إلينا. قال "**جيمس**":

– إنني آسف، فإنني سأتناول الغداء مع اللورد "**إدوارد كمبيون**". نعم... هذا الرجل الواقف هناك ذو الثياب البالية... إنه يريد أن يقدمني إلى مهراجا "**مارابوتنا**". ورفع قبعته بأدب ولحق باللورد "**إدوارد**".

تمت بعون الله